الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

القسم: اللّغة والأدب العربيّ

التّخصّص: اللّغة والأدب العربيّ

تداوليّة الحوار في ثلاثيّة محمّد ديب

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه علوم

إعداد الطّالبة:
سهام سعداوي

إشراف الأستاذ:
أد/ أحمد حيدوش

أعضاء لجنة المناقشة:

الرقم	اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
01	مصطفى ولد يوسف	أستاذ التّعليم العالي	جامعة آكلي محمد أولحاج- البويرة-	رئيساً
02	أحمد حيدوش	أستاذ التّعليم العالي	جامعة آكلي محمد أولحاج- البويرة-	مشرفاًمقرراً
03	فتيحة بوتمر	أستاذ التّعليم العالي	جامعة آكلي محمد أولحاج- البويرة-	مناقشاً
04	عمران قدّور	أستاذ التّعليم العالي	جامعة أمحمد بوقرّة-بومرداس-	مناقشاً
05	آمنة بلّعلى	أستاذ التّعليم العالي	جامعة مولود معمري- تيزي وزّو-	مناقشاً

تاريخ المناقشة: 2022/12/15م

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

إهداء

إلى كلّ متصفّح لهذا البحث

مقدّمة

ارتبطت حركة الواقعيّة في الأدب بالمدّ الاستعماريّ، وكذلك بحدوث تغييرات جذريّة هامّة على المستوى الاجتماعيّ، فصار الأدب متنفّسا لذوي الطّموح لتحقيق أحلامهم. ونتيجة لهذه الأسباب بدأت تظهر على السّاحة الأدبيّة كتابات سواء باللّغة العربيّة أو الفرنسيّة ذات توجّه واقعيّ، تدين الاستعمار في أعنف أشكاله من جهة، وتحاول تحقيق طموح الإنسان في العيش من جهة أخرى، وذلك بالتزام الرّوائيّ بما تراه عينه دون تغيير وتزييف، لتأتي ترجمته للواقع فعليّة دون زخرفة لفظيّة؛ كي لا يكون الأسلوب طاغيا على الواقع، لأنّ الحقيقة هي هدفه من الكتابة، من خلال شخصيّاته الّتي رسمها وأماكن الأحداث الّتي سجّلها.

إنّ الكثير من الرّوايات الحديثة جعلت من هموم الوطن موضوعا أساسيّا لها، و مرجعيّة يتّكئ عليها الرّوائيّ في تشكيل خطابه، وتوصيل وجهات نظره بالتّركيز على أحداث معيّنة، غير أنّ الاختلاف بين الرّوائيين يكمن في التّعبير عن هذه المرجعيّة، حيث تنوّعت الآليات، والطّرق الفنيّة الّتي توثث عوالم أعمالهم الرّوائيّة.

ومن الأقلام الّتي برزت في السّاحة الأدبيّة الجزائريّة الّتي اعتمدت هذا التّوجّه الواقعيّ نجد محمّد ديب في ثلاثيّته(الدّار الكبيرة، الحريق، النّول)، وهي خطاب سرديّ يحمل العديد من القراءات والمضمرات الّتي تختبئ وراء تقنيّات سرديّة كالحوار، والأقوال الأدبيّة، الّتي يمكن الكشف عنها ضمن فضاء مفتوح يسمّى – التّداوليّة– وقد أعطى هذا الفضاء مجالا جديدا لمقاربة الأدب أو ما اصطلح عليه بتداوليّة الأدب، حيث عملت على إخراجه من إغراقات المناهج السّابقة، وإعادة قراءته بمفاهيم وتصّورات جعلتها قادرة على استيعاب الأدب، الّذي يحمل خصوصيّة تجعله خطابا تخييليّا يماثل الخطاب اليوميّ، على الرّغم من أنّ هذا الأخير هو المنطلق الأساس للتّداوليّة، ممّا سمح للسّياق أن يكون قاسما مشتركا بين المخاطِب والمخاطَب.

إلّا أنّ خصوصيّة الأدب جعلت الأمر يختلف في تعامل التّداوليّة مع الخطابات الأدبيّة؛ فالأدب تتعدّد محطّاته ويختلف متلقّوه سواء أكان في لغة واحدة أو في لغات عديدة عندما يخضع للتّرجمة، ضف إلى ذلك عامل الزّمان والمكان، إذ لا يرتبط بلحظة إنجازه، وتلقّيه من حيث الزّمان والمكان كما هو الحال في الملفوظ الفعليّ، ما يتيح لنا القول باختلاف السّياق أيضا بين المخاطِب والمخاطَب. وهذا يحيلنا إلى مفهوم جديد هو تلك الهويّة الّتي يمنحها المخاطَب الغريب عن ذلك

السّياق للمخاطِب على وفق قراءته. وقد أسهب جون سيرل(**John Rogers SEARLE**) حول المسألة التّداولية في الخطاب الأدبيّ(التّخييل) ضمن جهاز مفاهيميّ: كحكي الحكي عوض إنجاز الملفوظات، الصّدق والكذب، التّظاهر بجديّة الأفعال الكلاميّة؛ أي تصنّع التّلفّظ...إلخ

هذه العلاقة الّتي تجمع بين المخاطِب والمخاطَب في الحقيقة تنتقل داخل العمل الرّوائيّ لتصبح علاقة بين الشّخوص الورقيّة، وهي في مدوّنتنا هي علاقة بين المتخاطبين من خلال حواراتهم، إذ استطاع محمّد ديب أن يخلق انطباعا يوهم القارئ بأنّ أحداث الرّواية وحواراتها حقيقيّة وواقعيّة، وكأنّ المتخاطبين فيها ليسوا مجرّد أشخاص من ورق. وما يهمّنا ليس فعل الحكي الّذي يقدّمه المتحاورون، وإنّما الطّرق اللّغوية المفعّلة لتقديم ذلك، سواء كان مسكوتا عنه، أو مصرّحا به.

تكمن أهمّية هذه الأطروحة: تداوليّة الحوار في ثلاثيّة محمّد ديب، في أنّه محاولة للعمل على إبراز الخصائص التّداوليّة عند محمّد ديب من خلال حواراته المعتمدة في الثّلاثيّة بالتّركيز على طروحات بول غرايس في تحليل الحوارات. وقد ركّزنا على الحوارات فقط لأنّها الأنسب لتطبيق مبدأ التّعاون. وكذا الوقوف على دور الحوار في تشكيل الخطاب الرّوائيّ وإبراز أهمّ سماته من جهة، واستنطاق لغة محمّد ديب استنطاقا تداوليّا بهدف الوصول إلى أبعد حدّ لإفهام المخاطَب من جهة أخرى. الحوار الرّوائيّ يعدّ نوعا من أنواع الخطاب في النّصوص الأدبيّة عامّة والرّوائيّة خاصّة، وإذا كان تنوّع الصّيغ اللّغويّة في تقديمه ضمن سياقات خطابيّة مختلفة، فهل استطاع محمّد ديب أن ينقل لنا كلّ التّفاعلات الّتي جرت عن طريق الحوارات بين أطراف المتخاطبين سواء عن طريق السّلوك أو الانفعالات الّتي تحتمل تأويلات تؤدّي إلى مقاصد معيّنة، وفق مسار تداوليّ يضبط إطار التكلّم بين المتحاورين، لاسيما عند التّباعد في طرح وجهات النّظر، إلى جانب فهم حركيّة الفعل الرّوائيّ؟

هذه الثّلاثيّة مترجمة تستدعي التّركيز على مبدأ هامّ في التّداوليّة وهو المقاصد، فقد تبيّن لنا أنّ موضوع المقاصد متعلّق بالمخاطِب، ما يجعل البحث عنها في النّصوص المترجمة يحتاج إلى دراسات للكشف عن أسرار التّرجمة في نقل تلك المقاصد وتأويلها، خاصّة وأنّ هذه الثّلاثية تبدو وكأنّها قد كتبت لتبليغ المقاصد وليس مجرّد عرض لمختلف الأحداث. فهل هي رسالة يسعى من خلالها الكاتب إلى الكشف عن حياة الجزائريين بأكملها زمن الاحتلال من خلال حوارات شخوص

الرّواية، ورصد حالتهم الاجتماعيّة والسّياسيّة آنذاك؟ ذلك ما تحاول هذه الأطروحة الإجابة عنه. إلى جانب أسئلة أخرى، تتمثّل فيما يلي:

– ماهي الآليات التّداوليّة الّتي يمكن تفعليها لفهم المقاصد الّتي تحملها الحوارات في الثّلاثيّة؟

– إلى أيّ مدى يمكن تطبيق المنهج التّداوليّ على الخطاب الرّوائيّ بصورة عامّة والحوار فيه بصورة خاصّة؟ وما هي المرجعيّة الّتي يستند إليها المخاطِب في الرّواية؟

– كيف يتمّ إنجاز الأفعال الكلاميّة غير المباشرة في الخطاب الرّوائيّ؟ وما هي مرجعيّتها؟

– ماذا تقدّم التّداوليّة للخطاب الرّوائيّ المترجم بصورة عامّة ولحوارات الثّلاثيّة بصورة خاصّة؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة، كان من الضّروريّ بناء العمل وفق منهجيّة تتحدّد معالمها في مقدّمة وثلاثة فصول مسبوقة **بمدخل** تعرّضنا فيه إلى حصر الإطار المفهوميّ والمرجعيّ للتّداوليّة وذلك عن طريق استقراء المصطلحات وضبط المفاهيم، حيث ركّزنا فيه على المنطلقات الفلسفيّة واللّغويّة، مع عرض لأهمّ المفاهيم.

فأمّا **الفصل الأوّل**، فقد خصّص لدراسة مبدأ التّعاون، استخرجنا فيه الحوارات الواردة في ثلاثيّة محمّد ديب، مع تقديم مضامينها، فحاولنا تحليلها على وفق مبدأ التّعاون لبيان مواطن الالتزام به والخرق فيه. والدّراسة في هذا الفصل لم تقف عند حدود الالتزام والخرق بل تجاوزتهما إلى البحث عن أسباب الخروج عن مبادئ التّعاون وأبعاده وأهدافه، وآلية البحث عن ذلك تمّ اعتمادها أيضا أثناء البحث عن الالتزام بهذا المبدأ.

وأمّا **الفصل الثّانيّ**، فقد خصّصناه للحديث عن تداوليّة أساليب الحوار في الثّلاثيّة، واقتصرنا فيه على الأفعال الكلاميّة الطّلبيّة، فكانت الغلبة للأفعال التّوجيهيّة غير المباشرة كالاستفهام و الأمر والنّهي والنّداء، حيث تبدو الأكثر حضورا في حوارات الثّلاثيّة، مع رصد مظاهر خروجها إلى معان غير مباشرة. وكيفيّة انتظام هذه الأفعال لتشكّل مختلف التّفاعلات الكلاميّة(الطّبيعة التّفاعليّة)، وذلك بالحديث عن إطار المشاركة والإطار الزّمانيّ والمكانيّ والهدف والدّور، فحركيّة الثّلاثيّة استندت إلى كلّ هذه العناصر، حيث عول محمّد ديب على مخاطبين كثر ومنحهم عناية فائقة تظهر في تأثيرهم على الأحداث وقدرتهم على التّأثير في المخاطبين الآخرين، منها شخصيّة

عمر الّتي استحوذت على اهتمام محمّد ديب؛ حيث جعلها قطبا يجذب إليه الشّخصيّات الأخرى يؤثّر فيهم ويتأثّر بهم. كما أنّ من شروط تحليل التّفاعل الكلاميّ التّقابل الفعليّ للمتكلّمين فهذا يخلق انسجاما في الإطار الزّمانيّ والمكانيّ والهدف والدّور.

وحاولنا في **الفصل الثّالث** تقديم مقاربة تداوليّة للخطابات الأدبيّة المترجمة عامّة، والرّوائيّة خاصّة، وذلك عن طريق إجراء مقابلة بين الحوارات الأصليّة والحوارات المترجمة، بهدف عرض مسوّغات تطبيق المنهج التّداوليّ على الخطاب الرّوائيّ المترجم، والكشف عن تداوليّة الحوار بين الأصل والتّرجمة.

وختمنا الدّراسة بمجموعة من النّتائج الّتي توصّلنا إليها.

لقد سعينا إلى تطبيق آليات **المنهج التّداوليّ** على الحوارات في الثّلاثيّة، واقتصر ذلك على مبدأ التّعاون، والاستلزام الحواريّ، ثمّ تبيّن بعد التّحليل استحالة فصل الاستلزام الحواريّ عن الأفعال الكلاميّة غير المباشرة وذلك لاستجلاء أساليب الحوار وطرائقه، مع مراعاة السّياق و مبدأ القصديّة؛ لأنّ الحوارات في مجملها مقاصد في سياقات محدّدة. كما وجدنا أيضا أنّ الحوار في الرّواية يعتمد على بنية تفاعليّة فرضت علينا الاستناد إلى مقولات التّحليل المحادثاتيّ، والّتي منها التّفاعل الكلاميّ. كما استعنّا بالمنهج الإحصائيّ في إحصاء الحوارات والأفعال الكلاميّة غير المباشرة داخل الثّلاثيّة لإعطاء فكرة عن حضورها في حوارات الثّلاثيّة.

لقد حظيت ثلاثيّة محمّد ديب بالعديد من الدّراسات من جوانب مختلفة، إلاّ أنّنا في حدود معرفتنا ومطالعتنا لم نجد بحثا تناولها من زاوية تداوليّة، أو دراسة تناولت كيفيّة تقديم مادّة الحوار.

ولإنجاز هذا العمل، اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع لعلّ أهمّها:

-**Herbert Paul, GRICE, logic and conversation.**

-**John Langshaw AUSTIN, quand dire c'est faire.**

-**John Rogers SEARLE, sens et expression (étude des actes de langage.)**

-**Dominique MAINGUENEAU, pragmatique pour le discours littéraire.**

-**Catherine KERBRAT-ORECCHIONI, la conversation.**

- **Catherine KERBRAT-ORECCHIONI, l'implicite.**

- بول غرايس، المنطق والمحادثة، ترجمة: محمّد الشّيباني، سيف الدّين دغفوس، ضمن كتاب إطلالات على النّظريّات اللّسانيّة والدّلاليّة في النّصف الثّاني من القرن العشرين.

- جون أوستين، نظريّة أفعال الكلام العامّة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قنيني.

- محمّد لطفي الزّليطني، نحو منهج تداوليّ في تحليل الخطاب الأدبيّ.

وختاما يمكن القول إنّ صعوبات كثيرة واجهتنا أثناء إنجاز الأطروحة أهمّها:

1- الاشتغال في حقل التّداوليّة يقود إلى مفاهيم متشعّبة، فهو حقل متداخل الاختصاصات، تختلف منطلقات الدّارسين فيه، وعليه سعينا في هذه الدّراسة إلى تقريب تلك المفاهيم والاعتماد على الأكثر استعمالا منها.

2- أحدثت ترجمة المصطلحات التّداوليّة إلى اللّغة العربيّة فوضى مصطلحيّة عمّقت صعوبة تحديد المفاهيم، كما أحدثت فروقا جوهريّة بينها، ولتفادي الوقوع في الهفوات كنّا دائما نضع المصطلح الأجنبيّ بين قوسين كمقابل للمصطلح العربيّ المترجم.

3- المدوّنة طويلة، ميّزها الطابع الحواريّ ما صعّب علينا مهمّة حصر حواراتها وإعطاء كلّ حوار حقّه في التّحليل، كذلك صعوبة التّوفيق بين الرّوايات الثّلاث المشكّلة للمدوّنة.

4- اشتراك بعض الحوارات في مفاهيم تداوليّة عدّة، ما أوقعنا في التّكرار في كثير من المرّات، فمثلا حوار نجد أنّ حوارا واحدا قد يرد في مبدأ التّعاون، وفي الأفعال الكلاميّة، وفي التّفاعل الكلاميّ.

5- صعوبة تقسيم الحوارات وفق مبدأ واحد من مبادئ التّعاون، كحصر الحوارات الّتي تشترك في مبدأ الكميّة والكيفيّة والعلاقة والطّريقة، حيث إنّ الحوار الواحد قد يشتمل على أكثر من مبدأ، وتمّ مخالفة هذه المبادئ إمّا مجتمعة أو متفرّقة. وتنطبق هذه الصّعوبة أيضا على تحليل الأفعال التّوجيهيّة، إذ اشتمل الحوار الواحد على أكثر من فعل كلاميّ توجيهيّ غير مباشر.

6- قلّة المراجع الّتي عالجت الخطابات الأدبيّة المترجمة من منظور تداوليّ، خاصّة في شقّها التّطبيقيّ، ومن ثمّ صعوبة الاعتماد على الخطاب وترجمته والتّوفيق بينهما، فنحن هنا أمام خيارين إمّا أن ندرس الخطاب الأصليّ أو ندرس الخطاب المترجم، لكنّنا آثرنا الاعتماد على الاثنين معا.

وأخيرا، إذا كان هذا البحث قد استقام على هذا النّحو، فإنّه لا يسعنا إلّا أن نوجّه شكرنا الجزيل إلى الأستاذ المشرف: **أحمد حيدوش** لتفضّله بقبول الإشراف على هذا العمل أوّلا ولا ننسى اجتهاده الكبير في تتبّع جزئيّاته قراءة ونقدا وتوجيها. كما لا يفوتنا أن نخصّ بالشّكر الخالص كلّ من قدّم لي يد العون على نحو أو آخر.

مدخل:

استقراء المصطلحات وضبط المفاهيم.

1- مصطلح التّداوليّة(La pragmatique).

2- مصطلح القصديّة(L'intentionnalité).

3- مصطلح الحوار(Le dialogue).

4- أنواع الحوار.

5- الحوار وعلاقته بمصطلحات أخرى.

6- الحوار الرّوائيّ وخصائصه.

1- مصطلح التّداوليّة(la pragmatique):

تشير جلّ الدّراسات المهتمّة بالتّداوليّة إلى أنّها حقل لسانيّ انتقل إلى اللّغة من الفلسفة، حيث تتلّخص جذورها الأولى فيما ذهب إليه مجموعة من الفلاسفة، الّذين أشاروا إلى دور السّياق في تحليل الخطاب؛ أي دراسة المعنى المكتسب من تراكيب اللّغة واستعمالاتها في مواقف مختلفة وأغراض متباينة. ومن بين جهود الفلاسفة نجد دراسات فريج(Frege) حول علاقة اللّغة بالسّياق، وبهذا يعتبر واضع حجر الزّاوية لعلم الدّلالة والتّداوليّة في الفصل بين اللّغة العلميّة والعاديّة، فالأولى صريحة أحاديّة المعنى أمّا الثّانية فمتعدّدة المعاني وثريّة لتحقيق وظائفها التّواصليّة.[1] إضافة إلى دراسات حول علاقة اللّغة بالحقيقة عند راسل(Russel) وفتجنشتاين (Wittegenstein) وستراوسن (Strawson). وقد اقترن اسم فتجنشتاين بفلسفة اللّغة ومحاولات في اللّغة المثاليّة المنطقيّة الّتي عدل عنها لاحقا حين وجد أنّها فارغة من المعنى؛ لأنّها لا تحيل إلى الواقع فاتّجه نحو اللّغة العاديّة.[2] ولبيان معاني الألفاظ الّتي نستعملها لابدّ لنا أن نعود إلى سياق الكلام الّذي وقع فيه التّبادل الكلاميّ، إذ إنّ المعاني تتحدّد بالاستعمال اللّغويّ. وقد شبّه فتجنشتاين هذه العمليّة باللّعبة اللّغويّة. وهنا مكمن تقاطع التّداوليّة مع أفكار فتجنشتاين فكلاهما يهتمّ باستعمالات اللّغة، حيث إنّ:« الجملة تتوفّر على معنى من خلال شبكة من الجمل الّتي تتوفّر على معنى مقدّر من خلال النّظام الّذي تنطوي تحته، وفي خاتمة المطاف يحدّد معناها الحقيقيّ الّذي يمكن مشاهدته والتحقّق منه في صلب الممارسة اليوميّة لألعاب اللّغة.»[3]

ظهرت ملامح التّداوليّة مع مقال لبيرس (Peirce) عام 1878م بعنوان" كيف نجعل أفكارنا واضحة؟" متى يكون للفكرة معنى؟ وقد أجاب بيرس عن هذا السّؤال بقوله:« اللّفظ المجرّد لا معنى

---

[1] ينظر: فيليب بلانشيه، التّداوليّة من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، ط1، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، اللّاذقية، سوريا2007. ص 30.

[2] ينظر: محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللّغة، دط، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان1985. ص ص31، 53.

[3] الجيلالي دلّاش، مدخل إلى اللّسانيّات التّداوليّة (لطلبة معاهد اللّغة العربيّة وآدابها) ترجمة: محمّد يحياتن، دط، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر1992. ص18.

له إذا لم يكن في مقدورنا استخدامه.»[1]

يعود استعمال مصطلح التّداوليّة إلى الفيلسوف الأمريكيّ شارل موريس(Charle Morris) حينما ميّز المجالات الّتي تختصّ بدراسة العلامة(علم التّركيب، علم الدّلالة، التّداوليّة)، وقد سمّاها فيليب بلانشيه(Philippe Blanchet) بـ: الثّالوث الدّلائليّ.[2] وهذه الأخيرة (التّداوليّة) تعنى بالعلاقة بين العلامات ومستخدميها(مؤوّليها) ولها بعد تداوليّ.[3]

ومن هذا المنطلق برزت معطيات جديدة أسّست التّداوليّة واستثمرها جون لانشو أوستين(John Langshaw Austin) في كتابه " how to do things with words"[4]

بعد تحديد المرجعيّات الفلسفيّة والسّيميائيّة واللّغويّة للتّداوليّة، بدأت مجموعة من العلوم تتجاذبها لذا تباينت تعريفات مصطلح التّداوليّة انطلاقا من اهتمامات كلّ باحث(أفعال الكلام، السّياق، الذّاتيّة، الحجاج، الضّمنيّات...إلخ)، وستقتصر هذه الدّراسة على تقديم بعض التّعريفات الّتي تخدم البحث. كما ينبغي علينا أن نشير إلى أنّ هذا التّداخل بينها وبين مختلف العلوم أدّى إلى ظهور ترجمات عديدة لمصطلح (pragmatique) وهذا ما لاحظناه من خلال الممارسة في حقل التّداوليّة، شأنها شأن كلّ الحقول، فالأزمة المصطلحيّة في جوهرها تعود إلى تبعية الفكر العربيّ والاكتفاء بالنّقل؛ لهذا وجد هذا الاضطراب سبيله إلى الخطاب العربيّ عن طريق التّرجمة، خصوصا تلك المصطلحات الّتي وُجدت نتيجة لخلفيّة فكريّة فلسفيّة، إذ ورد مصطلح (pragmatique) بصيغ عدّة منها: التّبادليّة، النّفعيّة، الذّرائعيّة،...إلخ[5] وأوّل من ترجم هذا المصطلح إلى اللّغة العربيّة بمصطلح(التّداوليّة) هو الباحث المغربيّ طه عبد الرّحمن وفي ذلك يقول:« وقد وقع اختيارنا منذ 1970م على مصطلح "التّداوليّات" مقابلا للمصطلح الغربيّ"

---

[1] نعمان بوقرّة، المدارس اللّسانيّة المعاصرة، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر2004. ص 172.

[2] ينظر: فيليب بلانشيه، التّداوليّة من أوستن إلى غوفمان، ص 31.

[3] ينظر: آن روبول وجاك موشلار، التّداوليّة اليوم علم جديد في التّواصل، ترجمة: سيف الدّين دغفوس، محمّد الشّيباني، ط1، المنظمة العربيّة للتّرجمة، لبنان2003. ص 29.

[4] ترجم عبد القادر قنيني هذا الكتاب بعنوان(كيف ننجز الأشياء بالكلام)، و محمّد يحياتن العنوان (القول من حيث هو الفعل)، في حين ترجمه طلال وهبة بعنوان(الفعل بالكلمات)، أمّا(أوركيوني أوردته بعنوان(quand dire c’est faire) في كتاب théorie des actes de langage ص8.

[5] ينظر: سعد البازعي وميجان الرّويلي، دليل النّاقد الأدبيّ، ط3، المركز الثّقافيّ العربيّ، المغرب2002. ص167.

براغماتيقا" لأنّه يوفي المطلوب حقّه، باعتبار دلالته على معنيي "الاستعمال" و"التّفاعل" معا. ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدّارسين الّذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم.»[1] ركّز طه عبد الرّحمن في قوله هذا على الصّبغة التّنفيذيّة للّغة (الاستعمال والتّفاعل) فالاستعمال يقصد به المنجز اللّغويّ، والتّفاعل هو ما يرمي إليه الاستعمال.

وفي عام 2020م ظهر مقابل آخر جديد لمصطلح (pragmatique) هو: الفِعليّات.[2]

2- مصطلح القصديّة(L'intentionnalité):

تحدّث أوستن في محاضرته الأولى عن شرط تحقّق فعل الكلام من خلال البحث عن العلاقة بين القصديّة وفعل الكلام:« في حالة الوعد كما هو الشّأن في العديد من الأقوال الإنشائيّة ينبغي على الشّخص الّذي يقوم بالوعد أن يتوافر على القصد(في هذه الحالة أن يفي بما وعد).»[3] كما أضاف شرطا أساسيّا آخر(في المحاضرة الثّانية) وهو الجديّة :« إذا كان الشخص الّذي تكلّم قد قام بذلك بجد.»[4] والشّرط الأخير ملازم للشّرط الأوّل إذ هي مبادئ مهّمة لتحليل كلام المخاطِب وفهمه، وفي هذه الحالة يمكننا أن نتساءل: هل المجنون يقصد ما يفعله أو ما يقوله؟ إذن الخطاب الجديّ يحمل خاصيّة عقليّة تمثّل توجّه المخاطِب وغرضه. وقد عرّفها جون سيرل(John Searle) بقوله:« هي المصطلح العامّ لجميع الأشكال المختلفة الّتي يمكن أن يتوجّه بها العقل، أو يتعلّق نحو الأشياء أو الحالات الفعليّة في العالم(...) وهي بمعنى التوجّه، يجب أن تكون دائما مرتبطة "بالقصد".»[5]

---

[1] طه عبد الرّحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثّقافيّ العربيّ، المغرب2000. ص 28.

[2] ينظر: يان هوانغ، معجم أوكسفورد للتّداوليّة، ترجمة وتقديم: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتب الجديدة المتّحدة، بيروت جوان 2020. ص ص 34، 60.

[3] جون أوستن، القول من حيث هو فعل(نظريّة أفعال الكلام)، ترجمة: محمّد يحياتن، ط2، عالم الكتب للنّشر والتّوزيع، الجزائر2010. ص 16.

[4] المرجع نفسه، ص 30.

[5]جون سيرل، العقل واللّغة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، ط1، المركز الثّقافيّ العربيّ، المغرب2006. ص ص 128، 129.

من خلال ما سبق يتبيّن لنا الرّبط بين قصديّة الأفعال العقليّة وقصديّة الأفعال الكلاميّة، وهذه إشارة واضحة إلى حصر القصديّة في الحالات الفعليّة؛ أي الظّواهر العقليّة الّتي تظهر فيها القصديّة عن طريق ربطها بالتوجّه. فعل القصد مرتبط بالنيّة.

وقد تراوحت دلالات القصد بين الإرادة ومعنى الخطاب وهدفه، فتجريده من هذه المدلولات يجعله لا يفيد شيئا، إذ هي الّتي تشكّل أصل الكلام و جوهره.[1] إلى جانب ذلك فإنّ القصديّة منطلق أساسيّ في المجال التّواصليّ فلا:« وجود لأيّ تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصديّة وراء فعل التّواصل، ودون وجود إيداع أو على الأقلّ دون وجود توليف للعلامات، ولأنّها كذلك فإنّ (سيرل) يرى بأنّ المقاصد ذات تكوين(بيلوجيّ) ولها أطر معيّنة في ذهن المرسل، وعليه ففلسفة اللّغة عنده تعدّ فرعا من فلسفة العقل.»[2]

يمكن القول إذن، إنّ القصديّة قرينة تداوليّة لفهم الأغراض وعن طريق ذلك يتمّ الفهم بين الطّرفين والتّأويل وبلوغ القصد العميق:« ومن المهمّ وضوح القصد حتّى لا يُساء فهم الخطاب(...)، ولئلّا يعتقد المرسل إليه أنّ المرسل يهزل في الأمر أو النّهي أو غيرها من الأفعال اللّغويّة.»[3] والقصد العميق يقودنا إلى الحديث عن مصطلح أعاد تحليل الخطاب صياغته من منظور جديد يركّز على استعمال هذه الطّريقة في الكلام بصفة عامّة، بعدما كان الأمر مقتصرا على النّصوص والأعمال الفنيّة وتسمّى هذه الظّاهرة الضّمنيّات ويقصد بها الدلالة غير المصرّح بها في الكلام الّتي تحكمها الوضعيّة التّخاطبيّة وكفاءة المتلقّي في رصد الجوانب الخفيّة واستنتاجها. هذا الأخير(الاستنتاج) هو:« قضيّة ضمنيّة بإمكاننا أن نستنبطها من القول ونستنتج محتواها الجانبيّ بتركيب معلومات ذات أوضاع مختلفة داخليّة وخارجيّة.»[4] وفي هذه الحالة يتمّ

---

[1] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشّهريّ، استراتيجيّات الخطاب(مقاربة لغويّة تداوليّة)، ط1، دار الكتب الجديدة المتّحدة، دب، دت. ص 188.

[2] المرجع نفسه، ص 183.

[3] نفسه، ص 194.

[4] Catherine KERBRAT-ORECCHIONI, l'implicite, Armand Colin,2ème tirage, éditeur Paris 1986.p.25.

تفعيل تلك الكفاءة وإخضاعها لخصوصيّات السّياق. أمّا عن دوافع الخطاب الضّمنيّ فإنّ أوركيوني(Orecchioni) تحدّدها في:

1- يلجأ المتكلّم إلى مداراة الفكرة وعدم التّصريح بها مباشرة حتّى لا تزعج المتلقّي تفاديا للحساسيّة والإحراج وهذه سمة حضاريّة أساسيّة في المجتمع الحاضر.

2-البعد عن أمور الكشف عنها قد يؤدّي إلى الإضرار بالمتلقّي أو المجتمع ككلّ، والبعد عن أمور تسمّم النّقاش أو تؤثّر على العلاقات أو تسريب معلومات غير مؤكّدة. أو يكون الدّافع حفاظا على الأسرار وعدم كشف الحقائق.

3- تتّخذ الضّمنيّات بوصفها وسيلة لإحداث إحساس بالجمال عند المتلقّي ويظهر ذلك في بعض المواقف ذات الطّابع البلاغيّ الّتي تصلح فيه التّلاعبات الحاذقة.[1]

ويمكن أن نسمّيه كذلك الدّافع الفنّيّ الجماليّ وقد درس النّقد القديم هذه الظّاهرة في إطار البلاغة وتحاول التّداوليّة دراستها من منظور جديد يركّز أيضا على الكلام العاديّ للنّاس في حياتهم اليوميّة.

كما يهتمّ تحليل الخطاب أيضا بدراسة الخطاب الأدبيّ من منظور الضّمنيّات سواء من حيث أجزاء النّصّ والضّمنيّات فيها أو من حيث العمل الأدبيّ ككلّ، كرسالة ضمنيّة تؤوّل في إطار سياق ظهورها، وخير مثال على ذلك قصص كليله ودمنه وعلاقة رسالة الخطاب بحياة ابن المقفع.

كما ركّز ديكرو(Ducrot) من جهة أخرى على الافتراض المسبق[2] (présupposition) والاهتمام بما يترتّب عن كلام من كلام ثان، نظرا لأبعاده(الافتراض) اللّغويّة، وقد تناول بالدّراسة تحديد الأدوات اللّغويّة الّتي تستعمل للضّمنيّات وتصنيفها واشتغالها.

3- مصطلح الحوار(Le dialogue):

[1] Catherine KERBRAT-ORECCHIONI, l'implicite,pp.277,282,284.

[2] voir Ozwald Ducrot, dire et ne pas dire, principe sémantique linguistique, collection savoir Herman, éditeur de sciences des arts, 3ème édition, Paris 1991, p.167.

ورد في أساس البلاغة للزّمخشري أنّ الحوار من:« حاورته: راجعته الكلام، وهو حسن الحوار وكلّمته فمّا رد عليّ محورة، وما أحار جوابا أي ما رجع.»[1] والحوار من الجذر اللّغويّ حور:« والحَوْرُ: الرّجوع عن الشّيء وإلى الشّيء، حار إلى الشّيء وعنه حوْراً ومَحارا ومحارة وحوورا»[2]. كما جاء في معجم الوسيط:«(حاوره)، محاورة، وحوارا: جاوبه، وجادله. وفي التّنزيل العزيز:" قال له صاحبه وهو يحاوره..."*»[3]

يتّضح أنّ المعنى اللّغويّ للحوار يتراوح بين المواجبة والمناوبة والأخذ والرّدّ بين شيئين كذلك مراجعة بهدف التّفاهم والاتّفاق.

الحوار، إذن، مصطلح يطلق على كلّ تبادل للكلام بين الأشخاص ويرتكز على التّبليغ والتّفاعل، بوصفهما هدفين أساسيين من استعمال الكلام وضمان استمرار العمليّة التّواصليّة. وانطلاقا من خاصيتي التّواصل والتّفاعل:« يطرح تحليل الحوار مستويين هامّين: المستوى اللّسانيّ بكلّ مكوّناته المعجميّة والتّركيبيّة والدّلاليّة من جهة، والمستوى الخارج- لساني- extra linguistique بكلّ مكوّناته المقاميّة والنّفسيّة والثّقافيّة من جهة ثانية. والحوار يتضمّن من النّاحية العلميّة تفاعلا تواصليّا l'interaction communicationnelle يحتضن خصائص تواصليّة وخصائص تداوليّة.»[4] وهذه الأخيرة هي الغاية والهدف من الدّراسة للكشف عن قواعد التّلفّظ بالخطاب وفقا لما تقتضيه العلاقة بين المخاطِب والمخاطَب.

---

[1] الزّمخشريّ، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السّود، ج1، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت1998. ص221.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادّة(حور)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت2003م.

* الآية34،36 من سورة الكهف، رواية ورش لقراءة الإمام نافع.

[3] إبراهيم مصطفى، أحمد الزّيّات، حامد عبد القادر، محمّد علي النّجّار، المعجم الوسيط،(حور)، ط4، مكتبة الشّروق الدّوليّة، مجمع اللّغة العربيّة، مصر2004م.

[4] محمّد نظيف، الحوار وخصائص التّفاعل التّواصليّ، دراسة تطبيقيّة في اللّسانيّات التّداوليّة، دط، أفريقيا الشّرق، المغرب 2010. ص 7.

وبهذا فالكلام يخضع لإستراتيجيّات معيّنة أثناء تأديته تبعا للعلاقة بين طرفيّ الخطاب الّتي تندرج ضمن خصائص مشتركة أو تصنيف معيّن وفق نظام تراتبيّ يسمّيه عبد الهادي بن ظافر الشّهريّ بالعلاقات الأفقيّة والعلاقات العموديّة.[1] هذه العلاقات تفرض على المخاطِب أو توجّهه في خطابه لاتّخاذ الإستراتيجيّة المناسبة لمخاطبة المخاطَب، وعن كيفيّة تجسيدها وفق قواعد معيّنة تسمّى بقواعد التّخاطب، والّتي ترمز لهذه العلاقات، ومن بين هذه القواعد نجد المبدأ الأوّل للتّخاطب الّذي يعرف بمصطلح مبدأ التّعاون(cooperative principale)[2]عند بول غرايس(Paul GRICE) وهذا المبدأ بدوره يتفرّع إلى جملة من القواعد يصوغها صاحبها في أربع فئات، و قد: « استعار غرايس هذه العناوين من الفيلسوف الألمانيّ كانط.»[3]

في البداية لابدّ أن نشير إلى ورود مجموعة من المصطلحات المختلفة تصبّ كلّها في قواعد غرايس، وهذا راجع إلى عمليّة التّرجمة، لهذا وجب علينا التّنويه إلى أنّ مبدأ الكمّ هو مبدأ الكمّيّة، ومبدأ الكيف هو مبدأ الكيفيّة أو مبدأ النّوع أو النّوعيّة، ومبدأ المناسبة هو مبدأ العلاقة والورود، أمّا مبدأ الطّريقة فهو مبدأ الأسلوب أو الجهة. وفي عملنا سنتبنّى مصطلحا واحدا لكلّ مبدأ كما وردت عند العياشي أدراوي. وهي كالتّالي:

1- الكم: [4](quantity): ترتبط بكمّيّة المعلومات الّتي يجب توافرها وتتفرّع إلى فرعين:

1-1- اجعل مساهمتك في الكلام بالقدر المطلوب.

[1] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشّهريّ، استراتيجيّات الخطاب(مقاربة لغويّة تداوليّة)، ص ص 89، 90.

[2] VOIR: PAUL GRICE, logic and conversation, in cole and moyan(eds) syntaxe and semantics3, vol.3, speech acts, ed. By Peter Cole and Jerry L Morgan. NEW York: academic press 1975, p.45.

[3] هشام عبد الله الخليفة، نظريّة التّلويح الحواريّ، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت 2013. ص 30.

[4] Grice,ibid ,p. 45.

1-2- لا تجعل مساهمتك في الكلام أكثر ممّا هو مطلوب.[1] وفي هذه النّقطة نجد دعوة إلى مساواة اللّفظ والمعنى دون إخلال أو تطويل.

2- الكيف(quality)[2]: وتتعلّق بالصّدق أي اجعل مساهمتك في الكلام صادقة، وتتفرّع كذلك إلى فرعين:

2-1- لا تقل ما تعتقد أنّه كاذب .

2-2- لا تقل ما ليس لك برهان على صدقه[3].

3- العلاقة(relevance)[4]: ويقصد بها وضع حدّ لمقصد معيّن[5] (مناسبة الكلام لموضوع الكلام).

4- الطّريقة(manner)[6]: وهي ترتبط بما قيل وليس بما يقال وتتعلّق أيضا بالجانب الأخلاقيّ، وتتفرّع إلى:

4-1- تجنّب الإجمال.

4-2- كن واضحا وتجنّب اللّبس.

4-3- كن موجزا.

4-4- كن ممنهجا مرتّبا لكلامك.[7]

---

[1] ينظر: العيّاشي أدراوي، الاستلزام الحواريّ في التّداول اللّسانيّ، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر 2011. ص 100.

[2] Grice, logic and conversation,p.47.

[3] ينظر: العياشي أدراوي، المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[4] Grice, ibid, p.47.

[5] ينظر: العياشي أدراوي، المرجع نفسه، ص ص 99، 100.

[6] Grice, ibid, p.47.

[7] ينظر: العياشي أدراوي، المرجع نفسه، ص 100.

وقدّم جرايس للأداة البلاغيّة (التّهكّم) تحليلا ضمن قاعدة الكيف، وعلى الطّرف النّقيض قدّم سبيربر(Sperper) وويلسون(Wilson) تفسيرا آخر للتّهكّم في إطار تداوليّ – هو انتقاد لرأي جرايس– يسمّى بـ: التّفسير من الدّرجة الثّانية:« والّذي يقوم على إدراك أنّ المتلقّي يردّد كلام مصدر آخر(حقيقيّ أو متخيّل) وهو بنفس الوقت يتحلّل من التزامه بذلك القول عن طريق الإيحاء(...) ولا يشكّل خرقا لقاعدة النّوعيّة، فهو يشكّل خرقا واضحا لقاعدة الكمّيّة.»[1]

وهذه القواعد أعيدت صياغتها وأصبحت تعرف بقوانين الخطاب فيما بعد، وقد ترجم طه عبد الرحمّن هذه القواعد بمصطلحات(قاعدتا كمّ الخبر، قاعدتا كيف الخبر، قاعدة علاقة الخبر بمقتضى الحال أو المناسبة، قاعدة جهة الخبر).[2]

بالوقوف على هذه القواعد يتّضح أنّ المعنى لا يخضع لقواعد لغويّة أو ما اصطلح عليه سابقا في مستويات تحليل الحوار بالمستوى اللّسانيّ، وإنّما احترام القواعد العامّة للتّواصل والجهد التّعاونيّ في التّبادلات الكلاميّة لضبط مسار وحدود الحوار بالإضافة إلى تحديد الهدف أو الغاية من الكلام، هذا الجهد التّعاونيّ بمثابة إبرام عقد بين المتحاورين سواء قبل أو أثناء الحديث، وهذا لا يعني الإجماع بينهما:« إنّ مبدأ التّعاون لا يستلزم تناغما بين المتحاورين، ذلك أنّ كلّ تفاعل تسري فيه التّوتّرات غير أنّه حتّى في حال التّفاعل الأكثر سجالا يجب توفّر حدّ أدنى من التّعاون وإرادة مشتركة في احترام بعض القواعد.»[3]هذه النّزعة التّعاونيّة(العمل المشترك) الّتي يحضر فيها الطّرفان الفاعلان في الخطاب يحيل إلى مفهوم آخر هو مفهوم السّلطة الّتي تعتمد على اللّغة، فهي سلطة تضمن رصيد قيمة الملفوظات حتى لا يكون مجرّد كلام وفق سياقات متعدّدة تحدّد أدوار المتحاورين يتضمّن تفاعلات يسمّيها مانقونو(Maingueneau): التّفاعلات المتناظرة والتّفاعلات التّكميليّة (المساواة بين المخاطبين، الفوارق بين المتخاطبين).[4] تجسّد السّلطة الّتي

---

[1] باسل حاتم وإيان ميسون، الخطاب والمترجم، ترجمة: عمر فايز عطّاري، دط، مطابع جامعة الملك سعود، الرّياض 1998. ص ص151، 152.

[2] ينظر: طه عبد الرّحمن، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقليّ، ط1، المركز الثّقافيّ العربيّ، المغرب1998. ص ص138، 139.

[3] دومينيك مانقونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمّد يحياتن، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر2008. ص34.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص 24.

تلعب دورا هامّا في الخطاب، وتحدّد إستراتيجيّة معيّنة سواء توجيهيّة أو تلميحيّة ...إلخ أثناء تأدية الكلام. السّلطة في هذه الحالة ليست بمفهومها الضّيق وإنّما يقصد بها إضفاء مشروعيّة على الكلام حسب أوضاع المتفاعلين الاجتماعيّة.

كانت غاية غرايس بهذا المبدأ التّعاونيّ هو تحقيق التّواصل النّاجح و رسم طريق أنموذجيّ للحوار – في نظره– بين المتخاطبين، هو بمثابة بوصلة تحدّد اتّجاه المتخاطبين ويسترشدون بها لمعرفة مواضع مخالفتها، وهذا الهدف جعله محلّ انتقادات من طرف مجموعة من الدّارسين أمثال روبين لاكوف(Robin lakoff)، براون وليفنسون(Brown, Levenson)، وليتش(Leech)، حيث أدخلوا عليها تعديلات واقترحوا مبادئ مكمّلة لهذا المبدأ. والسّبب وراء ذلك هو تركيز غرايس على:« الجانب التّبليغيّ وإهماله للجانب التّهذيبيّ.»[1] وهذا الأخير يكون هو أساس خروج بعض المعاني من المستوى الصّريح إلى المستوى الضّمنيّ حينما تكون الغلبة للتأدّب على حساب الوضوح. وفي الوقت نفسه هذه الاقتراحات كانت محلّ نقد أيضا. وفي هذا الجانب نجد أنّ لطه عبد الرحمن رأيا خاصّا في الاصطلاح على هذه القواعد، حيث اقترح مصطلحات مستمدّة من مفاهيم تراثيّة– وقد أشرنا إليها سابقا–[2]. كما تجدر الإشارة إلى أنّ غرايس لم يغفل عن الجانب التّهذيبيّ فحسب وإنّما أهمله وركّز على الجانب التّبليغيّ.[3] بما أنّه قد أشار إليه و هذا يبيّن أنّه لم تكن فكرته تقديم نظريّة متكاملة للحوار بقدر ما كان هدفه التّركيز على الجانب الاستدلاليّ أو ما يعرف بالاستلزام الحواريّ، و الّذي سنراه لاحقا، بمعنى أنّ هذا المبدأ التّعاونيّ كان وسيلة لغاية ولم يكن غاية في حدّ ذاته.

والمبادئ المكمّلة لمبدأ التّعاون هي:

- **مبدأ التّأدّب لروبين لايكوف (Rules of politesse).**[4]

[1] طه عبد الرّحمن، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقليّ، ص ص 239، 240.

[2] ينظر: ص 20 من هذه الأطروحة.

[3] ينظر: طه عبد الرحمن، المرجع نفسه، ص ص 239، 240.

[4] Voir: Robin Lakoff, the logic of politeness or minding your p's and q's, in papers from the minths regional, meeting Chicago linguistic society, 1973,pp.298.

- **مبدأ التّواجه لبراون وليفينسون(face).**[1]
- **مبدأ التّأدّب الأقصى لليتش (maxims of politeness).**[2]
- **مبدأ التّصديق لطه عبد الرحمن.**[3]

إلى جانب التّعاون الّذي يؤطّر الحوار لابدّ من التّأدّب في الكلام، وينطلق هذا المبدأ بالوقوف على درجتين متساويتين من التّبليغ والتّهذيب، بمعنى الالتزام بالتّهذيب بنفس درجة الالتزام بالتّبليغ دون المفاضلة بينهما. وقاعدة هذا المبدأ هي" كن مؤدّبا"[4] وتتفرّع عن هذا المبدأ ثلاث قواعد هي: قاعدة التّعفّف، قاعدة التّشكيك، قاعدة التّودّد.

أ- قاعدة التّعفّف: لا تفرض نفسك على المخاطَب طلب الاستئذان عند محاولة التّدخّل في شؤون الآخرين وهذا يناقض الطّلبات المباشرة.

ب- قاعدة التّشكيك: لتجعل المخاطب يختار بنفسه عن طريق الاستفهامات بدل التّقرير.

جـ- قاعدة التّودّد: لتظهر الودّ للمخاطب، والّتي توجب على المخاطِب أن يعامل المخاطَب معاملة النّظير للنّظير، ولا تفيد هذه المعاملة إلّا إذا كان المخاطِب أعلى مرتبة من المخاطَب أو في مرتبة مساوية له.[5]

وهناك مبدأ آخر هو مبدأ التّواجه وقوامه مقابلة الوجه للوجه، ويسمّى عند عبد الهادي بن ظافر الشهري بمبدأ التّوجّه ومتعلّق باحترام رغبات، وإرادة الإنسان، ويرتكز على عاملين: قيمة الوجه الاجتماعيّة، ونسبة تهديد الوجه، وهو المبدأ الّذي يكشف عن سلوك المتخاطبين وعن التّمييز بين وجهين في الإنسان يستحضرهما في وضعيات خطابيّة مختلفة، تارة يقدّم الوجه السّلبيّ وتارة أخرى الوجه الإيجابيّ كواجهة يسعى الإنسان أن يقدّمها للآخر، ليصون به وجهه ووجه غيره، وتحدّث الباحثان(براون وليفينسون) عن الأفعال التّهديديّة الّتي هي في الأساس أفعال لغويّة مرتبطة بنسبة

---

[1] Voir : Penelope Brown and Stephen c. Levinson, politeness: Some universals in language usage, Cambridge: Cambridge University Press, 1987, p.311.

[2] Voir: Geoffrey N, Leech, principles of pragmatics, Longman,1983,p.131.

[3] ينظر: طه عبد الرّحمن، اللّسان والميزان، ص249.

[4] Voir: Robin Lakoff, the logic of politeness,pp.292-305.

[5] ينظر: العيّاشي أدراوي، الاستلزام الحواريّ في التّداول اللّسانيّ، ص119.

التّهديد، فميّزا بين أفعال تهدّد الوجه الإيجابيّ، وأفعال تهدّد الوجه السّلبيّ.[1] وتوجد حالات تجمع بين الوجه السّلبيّ والوجه الإيجابيّ للأفعال في حالات الشّتم.[2] وبهذا يقصد أنّ بعض الأقوال هي أعمال تدفع إلى عمل يقبله المخاطَب أو يرفضه، كما يقوم السّلوك بتقديم الاعتذارات...إلخ

أمّا مبدأ التّأدّب الأقصى هو مبدأ مكمّل لمبدأ التّعاون، وقد ساق طه عبد الرحمن مثالا يوضّحه فيه:

«أ- مُدّني بمال.

ب- أريد أن تمُدّني بمال.

جـ- هل تستطيع أن تمدّني بمال؟

د- ليتك تمدّني بمال.»[3]

الملاحظ في هذه الأمثلة أنّها تدور حول معنى طلب المال، لكن طريقة التّعبير عن ذلك تختلف من مثال إلى آخر، فالأوّل جاء فيه طلب المال بشكل مباشر، بينما الثّانيّ مُنحت حريّة اختيار المخاطَب بين التّنفيذ والرّفض، في حين أنّ المثال الثّالث أكثر درجة من المثال الثّانيّ في حريّة الاختيار، وفي المثال الأخير سُبقت بتمنّ لا إلزام فيه ولا إكراه على الفعل بل يتمنّى وقوعه مع ترك حريّة الاختيار.

ويمكن تلخيص قواعد مبدأ التّأدّب الأقصى فيما يلي:

« قاعدة فنّ التّأدّب (في أمر الوجوب والإباحة)

أ- تقليل الخسارة للآخر.

ب- تكثير الرّبح للآخر.

[1] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشّهريّ، استراتيجيّات الخطاب(مقاربة لغويّة تداوليّة)، ص ص 103، 104.

[2] ينظر: مانقونو، مصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص 60.

[3] طه عبد الرّحمن، اللّسان والميزان، ص 247.

قاعدة الجود والكرم (في أمر الوجوب والإباحة)

أ- تقليل الرّبح للذّات.

ب- تكثير الخسارة للذّات.

قاعدة الاستحسان (التّعبيرية والتّأكيد)

أ- تقليل التّنقيص من الآخر.

ب- تكثير إطراء الآخر.

قاعدة التّواضع (التّعبيريّة والتّأكيد)

أ- تقليل الإطراء من الذّات.

ب- التّنقيص من الذّات.

قاعدة الموافقة (التّأكيد)

أ- تقليل الاتّفاق بين الذّات والآخر.

ب- تكثير الموافقة بين الذّات والآخر.

قاعدة التّعاطف (التّصديق)

أ- تقليل التّنافر والعداوة بين الذّات والآخر.

ب- تكثير التّواد والتّعاطف بين الأنا والآخر.»[1]

هذه القواعد قائمة على ثنائيّات ضدّيّة وهي بدورها تتمظهر في جانبين الأوّل إيجابيّ والآخر سلبيّ وكلّما كان الجانب إيجابيّا بالنّسبة للمخاطِب يكون سلبيّا بالنّسبة للمخاطَب والعكس بالعكس فهو يفيد جهة واحدة فقط ما يجعله محلّ صراع بينهما، وتفرّعت هذه القواعد عن قاعدة أساسيّة هي

[1] جيوفري ليتش، مبادئ التّداوليّة، ترجمة: عبد القادر قنيني، دط، أفريقيا الشّرق، المغرب 2013. ص174.

قاعدة «اللّباقة.»[1] ونرى أنّها(القواعد) تختصّ بنماذج أفعال الكلام الّتي تنطبق عليها، وهي محدّدة بـ:(أمر الوجوب، الإباحة، التّعبيريّة، التّأكيد، التّصديق).

مبدأ التّصديق: قدّم طه عبد الرّحمن في كتابه اللّسان والميزان جملة من الانتقادات للمبادئ السّابقة وصنّفها وفق ترتيب تفاضليّ، حيث إنّ مبدأ التّأدّب أفضل من المبدأ التّعاونيّ ومبدأ التّواجه أفضل من مبدأ التّأدّب وهكذا إلى غاية الوصول إلى مبدأ شامل- في نظره- قدّمه بديلا بالاستناد إلى المفاهيم التّراثيّة الإسلاميّة وسمّاه مبدأ التّصديق، إذ ينطلق هذا المبدأ من تطابق القول مع الفعل. وهو مبدأ يقوم على ركيزتين أساسيّتين هي نقل القول وتطبيق القول؛ الأوّل يتعلق بالجانب التّبليغيّ والثّاني يتعلّق بالجانب التّهذيبيّ، ويتفرّع مبدأ التّصديق إلى ثلاث قواعد هي:

1- قاعدة القصد: لتتفقّد قصدك في كلّ قول تُلقي به للغير.

2- قاعدة الصّدق: ومدار هذه القاعدة هو" لتكن صادقا في كلامك".

3- قاعدة الإخلاص: لتكن في تودّدك لغيرك متجرّدا عن أغراضك.

ولهذه القواعد – حسب طه عبد الرّحمن- أفضليّات هي:

- أن يفعل المخاطِب ما لم يقل أفضل له من أن يقول ما لم يفعل.
- أن يسبق فعل المخاطِب قوله أفضل له من أن يسبق قوله فعله.
- أن يكون المخاطِب أعمل بما يقول أفضل له من أن يكون غيره أعمل به.[2]

يتّضح لنا أنّ هدف طه عبد الرّحمن من وراء مبدأ التّصديق هو ضبط سلوك الإنسان مع غيره، وإخراج كلام المخاطِب من دائرة المجاملة والتّزييف فهو يسعى إلى نوع من المثاليّة في تعبير الإنسان، حتّى وإن حاولت المبادئ السّابقة أن تبرز جانبا أخلاقيّا إلّا أنّ هدف طه عبد الرّحمن كان أبعد وأشمل وهو التّقرّب إلى الغير عن طريق قاعدة الصّدق والإخلاص، خصوصا وأنّه استقى هذا المبدأ من التّراث الإسلاميّ، إذن، فهو مبدأ أخلاقيّ بامتياز.

[1] ظافر الشّهريّ، استراتيجيّات الخطاب(مقاربة لغويّة تداوليّة)، ص112.

[2] ينظر: طه عبد الرّحمن، اللّسان والميزان، ص ص250، 251، 253.

4-أنواع الحوار:

نميّز أنواع الحوار من زاويتين: زاوية الشّكل، وزاوية الموضوع، من الزّاوية الأولى نجد أنّ الحوار يظهر من خلال الحوار الخارجيّ الدّاخليّ أو المونولوج، أمّا من زاوية الموضوع نلاحظ أنّ الحوار في النّصّ الرّوائيّ يعالج مواضيع مختلفة يجوز أن نصطلح عليها وفقا لتلك المواضيع بـــ: الحوار السّياسيّ والحوار والدّينيّ والحوار التّاريخيّ ...إلخ، إذ نجد هذا النّوع من الحوارات حاضرا بقوّة في الخطاب الرّوائيّ، و تلك الحوارات المتمايزة حسب موضوعها يمكن أن تتشكّل في حوار أحاديّ داخليّ فنجد الشّخصيّة الرّوائيّة تطرح فكرة ما عن قضايا سياسيّة دينيّة أو تبدي وجهة نظرها أو شعورها تجاه موضوع ما، كما يمكن أن يعالج الموضوع عن طريق حوار خارجيّ.

وأنواع الحوار عديدة ومتنوّعة – لا مجال لذكرها جميعا هنا– لذا سنكتفي، فقط، بعرض بعض الأنواع الّتي نراها تتناسب مع مدوّنتنا وتستجيب لمتطلّباتها.

4-1- الحوار الخارجيّ:

إنّ السّمة الغالبة في هذا النّوع من الحوار هي: التّناوب(الحوار التّناوبيّ)، و الّذي يقوم على تداول الكلام بين طرفين، إذن:« هو حوار تتناوب فيه شخصيّتان أو أكثر للحديث في إطار المشهد داخل العمل القصصيّ بطريقة مباشرة(...) وهو أكثر أنواع الحوار تداولا وانتشارا في الأدب القصصيّ(...) ويتأسّس الحوار المباشر على فكرة المشهد الّذي تعرض عبره أقوال الشّخصيّات.»[1]

والغاية الأساسيّة من استعمال الحوار الخارجيّ هي إبراز المتخاطبين وملامحهم الفكريّة، ورصد تحرّكاتهم المختلفة داخل الفضاء الرّوائيّ، وأيضا لتحديد:«علاقة زمنية ظاهرة في المشهد من خلال وضع الشّخصيّات في إطار الفعل والحركة والنّطق.»[2]

هو إذن، نمط من أنماط التّواصل، حيث:« يحقّق المتحاوران اتّصالا لفظيّا كاملا أو ناقصا عن طريق دلالات التّوقّف والصّمت والإيماءات(...) ويصطلح على هذا النّمط أيضا اصطلاح

[1] فاتح عبد السّلام، الحوار القصصيّ، تقنيّاته وعلاقاته السّرديّة، ط1، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت1999. ص41.

[2] المرجع نفسه، ص44.

المعروض المباشر، فالعرض هنا صيغة مشهديّة مجسّدة للشّخصيّات وهي في حالة الكلام، وتظهر علاقات ردود الأفعال من خلال دلالة المفردات المتداولة في الحوار.»[1]

4-2- الحوار الدّاخليّ:

الحوار الدّاخليّ(المونولوج) شكل خطابيّ يعني مخاطبة النّفس، وهو تقنية تستعمل في الأعمال الرّوائيّة بهدف تقديم تلك الشّحنة النّفسيّة والنّوايا المتعلّقة بالشّخصيّة الّتي تحاورت مع ذاتها بصفة غير معلنة. وفي معجم تحليل الخطاب لباتريك شارودو(Patrick Charaudeau) ترجم المونولوج بالحوار الفرديّ ويدلّ على :« خطاب غير موجّه، إلّا إلى المتكلّم نفسه: يفكّر المتكلّم بصوت مرتفع (...) الحوار الفرديّ يمكن حسب الحالات أن يصاغ بضمير أنا أو ضمير أنت(...) هو خطاب طويل لشخص لا يسمح لمخاطبيه بالكلام، أو لا يجيبه مخاطبوه بردّ، أي خطاب موجّه (لشخص آخر غير المتكلّم نفسه)، ولكنّه يفلت من مبدأ تداول أدوار الكلام.»[2]

يتّضح من خلال هذا التّعريف أنّ الحوار الدّاخليّ نوع من احتكار الكلام من قبل المخاطِب ليبيّن الصّراع القائم بين رغباته وميولاته وبين القيم الاجتماعيّة والأخلاقيّة...إلخ لكّنه يحتفظ بالوضع التّلفظيّ المشترك بينه وبين المخاطَب، إذ يكون خطابه مضمرا عن مخاطَبه، ولكنّه أشرك المخاطَب في كلامه، فالمخاطَب داخل النّصّ يُلغى دوره مؤقّتا ويترك جانبا ليستحضر مخاطَبا آخر يشارك في هذه العمليّة وهو المتلقّي القارئ الّذي بدوره يفهم المقصود ويؤوّله.

وفي هذه الحالة يكون المخاطِب قد استحضر مخاطّبا(أنموذجيّا) يرقى لمستوى تطلّعاته وكأنّه بنفس درجة وعيه وتقديره للأشياء، يحاوره ويستجيب له حتّى وإن كانت هذه الاستجابة فعليّا مؤجّلة في اللّحظة الفعليّة لممارسة قوله، وعلى هذا النّحو يكون الحوار مستمرّا باستمرار تلقّي الطّرف الآخر لحواره وبتعدّد المتلقّين، فالتّداوليّة تأسّست على وفق مبدأ العلاقة بين العلامات و مؤوّليها من منظور شارل موريس، وتأويل هذه العلامة وفق الموقف السّياقيّ الّذي وردت فيه مرتبط

[1] فاتح عبد السّلام، الحوار القصصيّ، تقنيّاته وعلاقاته السّرديّة، ص 42.

[2] باتريك شارودو ودومينيك مانقونو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيريّ، حمّاد صمّود، دط، دار سيناترا، تونس 2008. ص ص 379، 380.

بالمخاطَب. والمخاطَب يتعدّد مع تعدّد التّأويلات وهذا ما يضمن سيرورة الموقف الاتّصاليّ والتّواصليّ والتّفاعليّ.

بينما تنعدم هذه المواقف الثّلاثة في الحوار الدّاخليّ في الخطاب العاديّ؛ إذ يستحيل أن يدرك نوايا وما يجول في خاطر الطّرف الآخر إذا لم يفصح عنها. عكس الخطاب المتخيّل يقوم الرّوائيّ بتصوير كلّ خلجات النّفس ويدخل هذا في حقل السّرد فيما يسمّى بالتّبئير الرّوائيّ والوقوف عند درجة الصّفر، وهذا يستحيل أيضا أن تدركه شخصية من شخصيّات الرّواية، بينما نجد في الحوار الخارجيّ تزاحما في المواقف وتنافسا بين الأطراف على المشاركة، ما يجعل ممارسة اللّغة في مثل هذه الحالات أقرب إلى الخطاب العاديّ الحيّ حتّى وإن اختلف مستواهما. ويحقّ لنا أن نتساءل في هذه الحالة عن مصير القصديّة، فهذه الأخيرة مرتبطة بالمخاطِب وليس بمن ينوب عنه في الكلام، والسّؤال هل تتحقّق القصديّة في الكلام المنقول فعلا؟ وإذا تحقّقت هل تتحقق بنفس المفهوم المتعارف عليه؟ وهذا ما سنحاول الإجابة عنه في الفصل الأخير المتعلّق بالحوارات بين الأصل والتّرجمة.

4-3-الحوار السّياسيّ:

قبل الخوض في الحوار السّياسيّ لابدّ أن نعرّج على معنى مصطلح السّياسة الّتي يراها حسن صعب في كتابه "علم السّياسة" دالّة على كلّ الأمور المتعلّقة بشؤون الدّولة، الأحداث السّياسيّة، والتّحدّث بالسّياسة الدّاخليّة. و تشير جلّ الدّراسات إلى أنّ السّياسة قديمة العهد ارتبطت بثقافة الإنسان وحضارته، تسهم في نموّ الشّعوب وتطوّرها، وينسبها الغرب إلى الحضارة اليونانيّة، بما أنّ هذه الأخيرة مهد للحضارات القديمة اقترن اسمها بكلّ سبق فكريّ، لكنّ حسن صعب أشار إلى حقيقة مفادها أنّ السّياسة عرفت وجودا في مرحلة سابقة عن مرحلة الفكر اليونانيّ ومن الخطأ الاعتقاد بأنّ الفكر السّياسيّ بدأ مع اليونان.[1] بما أنّها مرتبطة بوجود الإنسان، هو يمارس السّياسة إذ نجده يحاور المخاطَب بخطاب يكون سياسيّا بهدف التّأثير فيه وزرع أفكار تشغل وعيه وترسم له إطارا وخريطة يسير على وفقها. وقد اهتمّ التّحليل النّقديّ للخطاب بتجلّيات عنصر السّياسة

[1] ينظر: حسن صعب، علم السّياسة، ط8، دار العلم للملايين، بيروت1985. ص 19.

والإيديولوجيا في كلّ النّصوص تقريبا بكلّ أنواعها بالانطلاق من مقولات التّحليل النّقديّ لدراسة لغة السّياسة الّتي تقوم على الاستعارات والتّشبيهات...إلخ مع إبراز وظائفها وغاياتها.

يعدّ توظيف السّياسة في بعض الخطابات الرّوائيّة جزءا من الواقع الاجتماعيّ الّذي تنتمي إليه الشخصيات(مثلما كان الشّعر ديوان العرب أصبحت الآن الرّواية ديوان العرب أيضا)، والّتي تعكس صورة لشخصيّات واقعيّة ذات رؤية معيّنة تحمل رسالة إيديولوجيّة وطموحا إنسانيّا وقناعة لتحقيق الإرادة الحرّة، والرّوائيّ يسرّب تلك الأفكار السّياسيّة وكلّ ما يحدث في السّاحة السّياسيّة عبر مواقف تجسّدها الشّخصيّات عن طريق التّحاور فيما بينها لطرح كلّ ما تؤمن به وتدعو النّاس إليه، ويجب أن تكون هذه الشّخصيّات السّياسيّة في الخطاب الرّوائيّ:« مؤهّلة لذلك فكريّا وإنسانيّا، لكي تكون السّياسة في الفنّ- كما في الواقع- همّا أصيلا من همومها الذّاتيّة، وشاغلا ملحّا من مشاغل حياتها الاجتماعيّة.»[1] من واجب هذه الشّخصيّات أن تكون قادرة على الإقناع بما تقوله داخل البناء الرّوائيّ، توهمنا بأنّها شخصيّات واقعيّة وليست شخصيّات فنّيّة تُنسى بنسيان الرّواية، ويكون دورها قادرا على منح الإقناع بكلّ ما تفعله وتقوله في إطار أحداث الرّواية، كما يجب أن نجد لها وجودا خارج تلك الكلمات والأفكار في الخطاب الرّوائيّ.

4-4-الحوار غير اللّفظيّ:

يُبنى الحوار على أساس التّبادل الكلاميّ الّذي ينقله طريق الأثر السّمعيّ(الصّوت)، واللّغة كما يعرّفها ابن جنّي في باب القول على اللّغة وما هي:« أمّا حدّها (فإنّها أصوات) يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم.»[2] وهي مقولة تلخّص جوهر اللّغة، وبهذا تكون اللّغة عن طريق الاتصال بين المتكلّمين وتكييف كلامهم حسب الموقف والسّياق، والحوار يكون إمّا منطوقا أو مكتوبا، كما أولى الدّارسون الحوار المنطوق عناية كبيرة لأنّه مرتبط بالأداء الفرديّ.

والحوار يكون إمّا عن طريق الصّوت اللّغويّ كأبرز أنماط التّواصل أو الصّوت(غير اللّفظيّ) كالإيماءات والإشارات وتكون إمّا مصاحبة للّفظ أو تنوب عنه، وتتّخذ أشكالا مختلفة، كحركة اليد

[1] طه وادي، الرّواية السّياسيّة، دط، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر، لونجمان، القاهرة 2003. ص59.

[2] ابن جنّي، الخصائص، الجزء1، تحقيق محمّد عليّ النّجّار، ط1، دار الكتب المصريّة، بيروت، لبنان2001. ص33.

والرّأس والعينين... إلخ إذ هي مصدر غنيّ بالمعلومات يضمن فعاليّة التّفاعل. وقد ذكرها الجاحظ في باب البيان قائلا:« فأمّا الإشارة فباليد، وبالرّأس، وبالعين، والحاجب والمنكب،(...) والإشارة واللّفظ شريكان، ونعم العون هي له، و نعم التّرجمان هي عنه. وما أكثر ما تنوب عن اللّفظ، وما تغني عن الخطّ (...) ولولا الإشارة لما تفاهم النّاس معنى خاصّ الخاصّ(...) ومبلغ الإشارة أبلغ من مبلغ الصّوت.»[1] فالكلام لا يكون مفهوما ونافعا إلّا إذا تخلّلته مجموعة من الإشارات والإيماءات وهذا النّوع من التّواصل غير اللّفظيّ يكون مقصودا أو غير مقصود، فكثيرا ما نشاهد في حياتنا اليوميّة أناسا يستخدمون إشارات دون وعي منهم، وكذلك تختلف درجة الاستخدام من شخص لآخر فهناك من يعوّل عليها، بل إنّ حسن استخدامها في نظر الجاحظ يعتبر معيارا بلاغيّا في الخطابة.

كما ذكر تقدّم الإشارة على اللّفظ في مقامات تستوجب السّريّة التّامّة بقوله:« وفي الإشارة بالطّرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح، مرفق كبير ومعونة حاضرة، في أمور يسترها بعض النّاس من بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس.»[2] وأحيانا يعجز الصّوت عن تبليغ المعنى فتتدخّل الإشارات لتعوّض جميع العبارات والحالات الشّعوريّة المختلفة، إضافة إلى الحيّز الّذي يكون فيه الصّوت، فالمسافة بين المتحاورين تلعب دورا في التّفاهم؛ لأنّ ذبذبات الصّوت تقلّ كلّما ابتعد الطّرف الثّانيّ، أو في حالة تداخل الأصوات فيما بينها في الضّوضاء، وهنا يجد المخاطِب نفسه مجبرا على استخدام الإشارات وكذلك يجد المخاطَب نفسه في موقف يلزمه على استقبالها بصريّا. ونوعيّة الصّوت أيضا تعمل على تمييز المعنى ووضوح المقصود فالصّوت الجهوريّ الخالي من العيوب النّطقيّة والأمراض الكلاميّة أكثر ضبطا للسّلوك الاجتماعيّ للآخرين وتنظيم التّفاعل مع الآخرين وإبقاء التّواصل في أعلى مستوياته. كما نجد أيضا مجموعة من الملامح الصّوتيّة تدخل في هذا النّظام التّواصليّ، كدرجة الصّوت علوّا وانخفاضا(النّبر) على مستوى المقاطع، ضخامة الصّوت، أو الصّوت على مستوى الجمل(التّنغيم)، تسهم في تبليغ المقاصد

[1] الجاحظ، البيان والتّبيين، ج1، تحقيق: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجيّ للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط7، القاهرة1998. ص ص77، 78، 79.

[2] المصدر نفسه، ص77.

والحالات الشّعوريّة، فالانفعالات الّتي تنقلها نبرة الصّوت أشد وقعا من الانفعال الّذي تنقله الكلمات.

أمّا على مستوى الخطاب المكتوب فنجد الحوار الرّوائيّ مثلا تتخلّله مجموعة من علامات التّرقيم المختلفة لتعكس النّبر والتّنغيم وتعوّض تلك الإثارة الصّوتية.

ويحصي الجاحظ دلالات البيان عدّا، فيجدها خمسا:« وجميع أصناف الدّلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أوّلها اللّفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخطّ، ثم الحال الّتي تسمّى النّصبة.»[1] ويفهم من قول الجاحظ مختلف الوسائل التّعبيريّة الممكنة الّتي قسّمها إلى قسمين من لفظ وغير لفظ يكشفان عن المعاني. هذا قول مدرك تماما لجوهر التّواصل وما توصّلت إليه أبحاث المحدثين والمعاصرين في علم الاجتماع حول لغة الجسد أمثال غوفمان(Goffman). فالقدرة على الإبانة والكشف عن كلّ ما يختلج في النّفوس حسب الجاحظ يكون إمّا باللّفظ أو الإشارة أو النّصبة.

يرتبط استخدام الإشارات بثقافة المجتمع الّتي تكسبها معاني معيّنة، إذ يجب أن يكون هذا المعنى مشتركا بين المخاطِب والمخاطَب؛ لأنّها مرتبطة بالسّياق الّذي استخدمت فيه، وحتّى في الثّقافة الواحدة لابدّ من الاستناد إلى السّياق، فمثلا هناك حركة اليدين أحيانا تدلّ على الشّعور بالبرد كما يمكن أن تدلّ على القلق والاستعداد للشّجار أو الشّعور بالنّدم والحسرة أحيانا أخرى. هي بشكل عامّ استقبال رسائل مشفّرة – عكس المنطوق الّذي يقوم بتمثيل هذه الرّسائل بالصّوت– فيتّخذ المخاطِب شكلا ووضعية مناسبة لتعويض الكلمات فيلتقطه المخاطَب سمعا أو بصرا، فتتحوّل حينئذ إلى سلوكات يتحصّل من خلالها المتلقّي على معان مختلفة.

إلى هنا وقع التّركيز على الطّرف الأوّل من الحوار بشكل لافت، ولكن لا يجب أن نغفل الطّرف الثّاني، له نصيب أوفر في عملية التّحاور، كما للمخاطِب شروط يجب أن يتقيّد بها ليكون كلامه على قدر كلام المخاطَب فللمخاطَب شروط أيضا منها: السّماع والاستماع والإنصات في حال تلقّي الخطاب المنطوق، ومن ثمّ على المخاطَب أن يتميّز:« باليقظة، لأنّ هذا يساهم في فهم طبيعة أفكار المتحدّث، ومعرفة ما يشغله من أمور، ولعلّ هذا يساعد في تعديل سلوكه(...) وفهم

[1] الجاحظ، البيان والتّبيين، ص76.

حالاته النّطقيّة والنّفسيّة.»[1]

ويطلق بعض الدّارسين على هذا النّوع من المشاركة مع المخاطِب في حالاتهم الانفعاليّة من خلال إظهار التّجاوب معه يطلقون عليه المساندة الوجدانيّة.[2] وتكون هذه الأخيرة عن طريق مجموعة من السلوكيّات سواء لفظيّة أم جسديّة تعمل على اختصار وتضييق المسافة بينهما وتضفي على علاقتهما نوعا من الحميميّة فيشعر الطّرفان بأنّهما حقّا يتحاوران. فالغاية ليست الإرسال وإنّما يجب أن يكون مضمون المادّة جامعة بينهما وصحيحة التّأويل من المخاطَب لضمان وضبط مسار حوارهم.

5-الحوار وعلاقته بمصطلحات أخرى:

5-1 الحوار وعلاقته بالجدل(Controverse):

كثيرا ما نجد أنّ مصطلح الجدل يتداخل مع الحوار ويلتبس أكثر مع مصطلح المناظرة، وقد أشرنا سابقا[3] إلى أنّ الحوار هو الأخذ والرّد للإدلاء بالأفكار بهدف التّفاهم والاتّفاق، ولكن في حالة ما إذا اشتدّ الكلام وتحوّل إلى خصام وصراع بين الطّرفين صار جدلا، وهذا الأخير عرّفه معجم الوسيط بأنّه:« طريقة في المناقشة والاستدلال.»[4] وفي لسان العرب:« جدَل يجدل: اشتدّت خصومته، ورجل جدلٌ ومجدالٌ شديد الجدل إذا كان قويّ الخصام شديده.»[5]

ويرجع التّنظير لمفهوم الجدل إلى العصر اليونانيّ عند أرسطو، وربط بمفهوم الإقناع عن طريق آليات الجدل؛ بمعنى الاحتجاج المنطقيّ الّذي يقود إلى الاقتناع وفرض مسلّمة معيّنة، ويسمّى هذا في حقل التّداوليّة بالحجاج، وبما أنّ أرسطو فيلسوف فقد اتّخذ الحجاج عنده منحى فلسفيّا، ثم تأثّر العرب بالفكر الأرسطيّ واليونانيّ بصفة عامّة واكتشفوا هذا البعد في نصوصهم

---

[1] سعاد بسناسي، السّمعيّات العربيّة في الأصوات اللّغويّة، طبعة خاصّة، دار أمّ الكتاب للنّشر والتّوزيع، الجزائر 2012. ص111.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 114.

[3] ينظر: ص 17 من الأطروحة.

[4] إبراهيم مصطفى أحمد الزّيّات، محمّد علي النّجّار، معجم الوسيط، ص 111.

[5] ابن منظور، لسان العرب، مادّة (جدل).

كابن سينا والفارابي وابن رشد، كما ركّز الجاحظ على الخطاب الأدبيّ، وفي هذا المقام وجب علينا أن نشير إلى أنّ العرب أشاروا إلى الحجاج والجانب الجدليّ بمصطلحات كالإقناع والإصابة عند الجرجاني والقرطاجنّي وحديثهم عن استحسان المخاطِب لكلام المخاطَب. وهناك عناصر سياقيّة تدرك بالحواس تساهم في إقناع الطّرف الثّانيّ استثمرتها التّداوليّة في العصر الحديث فيما يسمّى بالإستراتيجية الخطابيّة الّتي تركّز على إقناع المخاطَب، كالخصائص الفيزيولوجيّة للمخاطِب وأوصافه الخلقيّة ولغته كالفصاحة الّتي أشار إليها الجاحظ وركّز عليها المحدثون، و مقام الخطاب، والحجّة المنطقيّة الّتي يفرضها الجدل المنطقيّ كنتيجة وربطوها بالعناصر السّياقيّة وقدرة المخاطَب على الاستدلال المنطقيّ وبالتّالي لا يمكن استعمال الحجّة المنطقيّة في كلّ المقامات. وهذه كلّها عناصر لها أبعاد تدخل في الإستراتيجيّة الخطابيّة الّتي لفتت انتباه التّداوليّين فيما بعد.

من هنا يمكن القول إنّ الجدل نوع من الحوار يتّصف بالصّراع وغلبة طرف على طرف ونفي رأيه وحججه وتفنيدها وتصحيح كلام الآخر، بينما يقوم الحوار على مناوبة الحديث بين المتخاطبين، ولكنّه لا يشتمل على النّزاع والخصام كما هو الحال في الجدل، وإنّما يعتمد تقنيّة التّعبير لمعالجة موضوع يتضمّن أفكارا يتمثّلها الطّرف الآخر ويستجيب لها فيحدث تقبّل وتجاوب بينهما.

5-2 الحوار وعلاقته بالمحادثة(Conversation):

لقي هذا المصطلح(المحادثة) اهتماما كبيرا من قبل المشتغلين في حقول معرفيّة كثيرة كالتّداوليّة وتحليل الخطاب ولسانيات النّصّ والإثنوميثودولوجيا[1](الإثنيّة المنهجيّة*، المنهجيّة الإثنولوجية.) كما ترجم مصطلح المحادثة عند مانغونو بالحديث، لكنّنا نجد أنّ أغلب الدّارسين يستعملون مصطلح المحادثة مرادفا لمصطلح الحديث، وقد ربطه مانقونو بالألفة والأنس في

[1] عمر بلخير، الخطاب وبعض مناهج تحليله، مجلّة CAMPUS، العدد1، جامعة مولود معمريّ، تيزي وزّو، الجزائر2006. ص75.

* الإثنيّة المنهجيّة كما ترجمها محمد يحياتن في كتاب المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب لدومينيك مانغونو، ص56.

* المنهجيّة الإثنولوجيّة، كما ترجمها صابر الحباشة في كتاب التّداوليّة من أوستن إلى غوفمان لفيليب بلانشيه، ص93.

الخطاب الشّفويّ لا بالمعلومات، حيث يستعمل للدّلالة على: « تبادل الكلام بين أناس متساوين في المنزلة نسبيّا، حيث يكون التّداول على الكلام حرّا والموضوعات قليلة الإكراه نسبيّا، فالمشاركون الّذين يمكنهم أن يكونوا أكثر من اثنين، هم قريبون في الزّمان والمكان وبينهم علاقات ألفة وأنس، إنّ الحديث يتبدّى وكأنّه خال من أيّة غاية نفعيّة: إنّ الاستجواب أو النّقاش السّياسيّ لا يمكنهما أن يكونا حديثا.»[1] ومن جهة أخرى نجد هناك من ميّز بين الحديث والمحادثة أمثال فان دايك(Van Dijk) بقوله:« ثمّة مصطلحان يستخدمان غالبا بشكل مترادف، ينبغي هنا أن يفرَّق بينهما، هما: حديث ومحادثة. فالمحادثة وحدة تفاعل اجتماعيّة تتكوّن من سلسلة متشعّبة من أحداث (لغويّة)، وتحدّد ارتباطا بسياق اجتماعيّ. وعلى النّقيض من ذلك فمن الأحرى أن يعدّ الحديث تجريدا لغويّا أو نظريّا نصيّا، كالوحدة النّصيّة الّتي تتشكّل في سلسلة منتظمة من المنطوقات الّتي تتجلّى في المحادثة...إلخ، بينما تكون مصطلحات مثل التّرابط والتّتابع...إلخ هي خواص للحديث. إنّ مصطلح الحوار شكل أعمّ، ويتعلّق بالحديث/ بالمحادثة وبأشكال أخرى للتّفاعل اللّغويّ، على سبيل المثال بحوار بين قضاة ومدّعى عليهم. ويتميّز مصطلح الحوار بوجه خاصّ بأنّ الأمر فيه لا يتعلّق بتفاعل أحاديّ.»[2]

إذا أمعنا النّظر في قول فان دايك نجد أنّه وضع المصطلحين في وضع تقابليّ، إذ ربط المحادثة بالحدث اللّغويّ بمعنى الفعل(acte)؛ أي حدث حاصل عن طريق مخاطِب في سياق تفاعليّ على شكل سلسلة أحداث، فهي تشمل المعطيات المشتركة بين المتخاطبين، و الّتي تسمح بالحفاظ على البعد الاجتماعيّ على وفق مسار معيّن. بينما ربط الحديث بالنّصّ وبالتّجريد؛ أي على المستوى النّظريّ، فهو تجسيد للتّتابعات اللّغويّة على مستوى الصّوت والصّرف والمعجم، وبذلك تكون العلاقات التركيبّية كلّها عناصر تتحكّم في دلالة النّصّ وفق معايير التّرابط والتّتابع...إلخ وتجسّد في الواقع عن طريق المحادثة.

5-3-الحوار وعلاقته بالتّفاعل الكلاميّ(Interaction verbale):

[1] دومينيك مانقونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص 32.

[2] تون أ فان دايك، علم النّصّ مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق، سعيد حسن بحيري، ط1، دار القاهرة للكتاب، القاهرة 2001. ص 375.

عملا بمصطلح الحوار والتّعاون والمشاركة الّذي تحدّثنا عنه، يقودنا الحديث إلى أهمّ المفاهيم الأساسيّة للتّحليل التّداوليّ للخطاب، وهو التّفاعل الكلاميّ، الّذي يستند إلى مجهودات غوفمان حول طقوس التّعامل (علم الاجتماع). و مصطلح التّفاعل:« مصطلح شامل يضمّ الكلام ولغة الجسد معا وكلّ الظّواهر المصاحبة لعمليّة التّواصل، ويقوم على ضربين: تفاعل كلاميّ، تفاعل غير كلاميّ. الأوّل يختصّ بالكلام، بينما الثّاني يقتصر على صفات المتكلّم وثقافته، ومنزلته الاجتماعيّة...إلخ، والّتي تمنح كلام المتكلّم دلالات مقصودة.»[1] يقصد إذن، بالتّفاعل الكلاميّ؛ تعبير الإنسان بمختلف الوسائل اللّسانيّة والجسديّة والسّلوكيّة عن مواقفه تجاه الآخر أو المجتمع، وبالتّالي بالنّسبة لغوفمان فإنّ النّاس يتحاورون يوميّا ليس فقط عن طريق الكلام، وإنّما الجسد والسّلوكات أيضا(التفاعل غير الكلاميّ). ثمّ بعد ذلك تمّ التّركيز على التّفاعل الكلاميّ وظهور المدرسة الأمريكيّة لتحليل المحادثة في إطار اهتمام التّداوليّة باللّغة العاديّة، من خلال تنزيلها إلى الواقع والاهتمام بوظائفها لا بأبنيتها. هذا التّعامل الواقعيّ للّغة أسهم في توضيح آداب الحديث الخاصّة ببعض الثّقافات، والّتي يخضع لها المتحاورون.[2]

إنّ المخاطِب لا يقوم بوظيفة النّقل فقط (التّبليغ) في العمليّة التّخاطبيّة، وإنّما يتّجه إلى الطّرف الثّاني بقصد الإفهام والتّأثير فيه، ولذلك فكلامه يكون على أقدار السّامعين، وعلى وفق ما يقتضيه موقعه والسّياق، للتّعبير عن مقاصده وتحقيق غايات وأهداف معيّنة، ذلك ما يفرض عليه آليات خطابيّة بهدف إشراك المخاطَب عن طريق هذه الآليّات. ويمكن للحوار أن يحقّق التّفاعل بين أطرافه على وفق سياقات تداوليّة تفاعليّة تشكّل جوهره.

لقد أظهرت دراسة أوركيوني مدى قصور مخطّط جاكبسون(Jakobson) الشّهير(مخطّط التّواصل) بتركيزه على المخاطِب عند صياغة خطابه وأهدافه ومقاصده، معتبرة أنّ المخاطَب في حدّ ذاته يثير العديد من الإشكالات:« باعتباره شريكا في التّفاعل.»[3] وهذا الأخير أفردته بفصل

---

[1] بوتمر فتيحة، سهام سعداوي، التّداخل المصطلحيّ في تحديد مفهوم المحادثة، مجلّة مقامات للدّراسات الأدبيّة والنّقديّة، المجلد 5، العدد2، الجزائر2021. ص294.

[2] ينظر: جاك موشلار، آن روبول، القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدّين المجدوب، دط، دار سيناترا، تونس2010. ص ص 37، 38.

[3] Katherine Kerbrat-Orecchioni, l'implicite, p.131.

خاصّ مستقلّ هو الفصل الثّالث من كتابها المعنون (l'implicite) والمترجم ب: الضّمنيّات، المضمر، والّتي تعكس(الضّمنيّات) تأثير المخاطِب في المخاطَب وإشراكه في التّفاعل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وعن طريق هذه المشاركة تنتج سيرورة حواريّة تفاعليّة بتبادل التّأثير والتّأثّر.

لعبة التّأثير–هذه– بين المخاطِب والمخاطَب أعطت حمولة جديدة لهذين الأخيرين في إطار تفاعليّ، لتتجاوز حدود الإرسال والاستقطاب الّتي كانت المرجعيّة اللّغويّة لهما، ليكونا تحت تصوّر جديد يرتكز على معادلة الأخذ والرّدّ بين الطّرفين.

5-4 الحوار وعلاقته بالمناظرة(Débat):

ورد في لسان العرب المناظرة:« أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معا كيف تأتيانه(...) والتّناظر التّراوض في الأمر ونظيرك: الّذي يراوضك وتناظره، وناظره من المناظرة. والنّظير: المثل، وقيل: المثل في كلّ شيء، وفلان نظيرك أي مثلك لأنّه إذا نظر إليهما النّاظر رآهما سواء(...) ويقال ناظرت فلانا أي صرت له نظيرا في المخاطبة.»[1]

هذا التّعريف يعبّر عن شكل حواريّ مختلف يعدّ جزءا من الحوار، فمفهوم الحوار أعمّ وأشمل من المناظرة، و يبتعد عنها حينما يحضر التّضاد بين المتخاطبين، ومنه فكلّ مناظرة حوار وليس كلّ حوار مناظرة، والمقصود بالنّظر هو التّأمّل والتدبّر في المحسوسات والمجرّدات للوصول إلى جوهر الأشياء بالبصيرة، وإعمال النّظر بدقّة وبعين ثاقبة تلامس جوهر الأشياء والتّسليم بها، وبهذا يصل إلى تغيير موقف المخاطَب. الاختلاف أساس المناظرة مع اشتراط المعيّة، عن طريق نظر المتخاطبين إلى بعضهما والتّفكير معا والمناقشة معا والبحث عن الحقائق معا:« فالمناظرة يكون الغرض منها الوصول إلى الصّواب في الموضوع الّذي اختلفت أنظار المتناقشين فيه.»[2] من هنا يظهر أنّ المناظرة تقوم على افتراضات سابقة من قبل المتناظرين، وتقوم على غلبة طرف على طرف آخر.

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادّة (نظر)،ج5، ص ص217، 218، 219.

[2] الإمام محمّد أبو زهرة، تاريخ الجدل، ط1، دار الفكر العربيّ، مصر 1934. ص5.

5-5 الحوار وعلاقته بالحواريّة (Dialogisme):

الحوار مصطلح قديم رافق الفكر الإنساني منذ القديم، في حين ارتبط مصطلح الحوارية بالنّقد الحديث. والمقصود به ذلك الحوار المتخيّل للنّصوص الّذي يكسر الحدود الزّمانيّة والمكانيّة بينهما، وبهذا يكون حلقة وصل بين مختلف توجّهات أصحابها الثّقافيّة والإيديولوجيّة الّتي يمرّرها السّارد للمتلقّي. وتبلور هذا المفهوم، واستقرّ عند كريستيفا(Kristeva) بما يعرف لاحقا بالتّناص، و يعود ظهوره إلى النّاقد ميخائيل باختين(Mikhaïl Bakhtine):« اعتمادا على إنتاج دوستويفسكي حيث تعدّد الأصوات. ويتجلّى هذا التعدّد في مستوى الضّمائر واللّغة مثلما يتجلّى في مستوى الأفكار والمواقف(...) واعتمادا على مفهوم الحواريّة التي تنطلق من التّفاعل بين صوتي المتكلّم والسّامع.»[1] إذ تعني العلاقة بين الملفوظات المنتجة سابقا والّتي سينتجها المتخاطبون بعد صدور الملفوظ. والحواريّة هي الأخرى أتت من مادة (حور) – الّتي أشرنا إلى معناها اللّغويّ سابقا–[2] فتلك العلاقة التّفاعليّة بين لغة المخاطِب و لغة المخاطَب هي الّتي تضمن الاستمراريّة والتّأثير بينهما من خلال الحوار. فقائل النّصّ ليس أوّل من نطق به، فهو ليس فعلا فرديّا وإنّما نشاط تفاعليّ اجتماعيّ:« أي قول يقال يشتمل على أصوات وآراء منسوبة إلى آخرين غير الّذي قال القول، ولذلك فالقائل في نطاق الكلام لا يكون مصدرا ثابتا للمعنى القائم في قوله. وإنّما قدره أن يكون قائلا مشاركا يسهم في عمليّة اجتماعيّة لإعادة بناء قارة للدّلالة من خلال عدد لا ينتهي من الخطابات.»[3] وفي هذا القول الّذي هو لباختين أراد من خلاله أن يوصل فكرة مفادها أنّ التّفاعل يكون على مستوى لغة المخاطِب ولغة المخاطَب وبهذا تضمن سيرورة علاقة التّأثير والتأثّر، كما تكون اللّغة ظاهرة اجتماعيّة للتّفاعل الكلاميّ وليس المقصود باللّغة كظاهرة ذلك التّعريف السّائد في عرف اللّسانيّين المكوّنة من مجموعة من الأدلّة اللّغويّة(العلامة اللّغويّة) الّتي تمنح صفة تفرّديّة للّغة عن أخرى على المستوى النّظريّ المجرّد؛ وإنّما يقصد بها تناول اللّغة كموضوع للدّراسة على أساس وظيفتها التّواصليّة الملموسة والمبيّنة للواقع.

---

[1] محمّد القاضي وآخرون، معجم السّرديّات، ط1، دار محمّد عليّ للنّشر، تونس 2010. ص ص 161،162.

[2] ينظر: ص17 من هذه الأطروحة.

[3] محمّد القاضي وآخرون، المرجع نفسه، ص101.

انطلاقا من تعدّد الأصوات في الرّواية وضّح حميد لحميداني الفرق بين الحوار والحواريّة في النّصّ الرّوائيّ(رواية الوطن في العينين لحميدة نعنع) قائلا:« جميع أنماط الحكي لابدّ أن تحتوي على صراع، وتعارض داخليّ بين أصوات متناقضة، غير أنّه ليست من الضّروريّ أن تكون كلّ أنواع الحكي ذات طبيعة حواريّة بالمعنى الّذي حدّده باختين. فإن كان التّعارض في الرّواية لا يجري بين قوى متكافئة ومتساوية الحضور فإنّه لا يمكن أن يصبح حواريّة، ولكنّه سيبقى محصورا في نطاق ما يمكن أن نسمّيه فقط حوارا.»[1] إذ نجد في بعض الرّوايات مثلا أشكالا مختلفة من الإيديولوجيّات والآراء، ولكنّنا نجد فيها رأيا واحدا مهيمنا يحاول استبعاد باقي الآراء. و للحكم على حواريّة الرّواية لابدّ من تكافؤ درجة الحضور وانعدام طغيان صوت واحد فيها.

ولكي تكون الرّواية حواريّة لابدّ أن تظهر فيها مجموعة من العناصر أهمّها التّهجين والأسلبة والباروديا والتنويع. ونقتصر هنا على عنصرين أساسيين هما:

أ- **التّهجين (l'hybridation)** هو:« مزج لغتين اجتماعيّتين داخل ملفوظ واحد، والتقاء وعيين لغويّين مفصولين داخل ساحة ذلك الملفوظ، ويلزم أن يكون التّهجين قصديّا.»[2] ويقصد بذلك أنّ العمل الرّوائيّ على مستوى الجمل أو الأسلوب يبدو ظاهريّا أنّه يعود إلى مخاطِب واحد، ولكن عند تنزيله عمليّا نجده يجمع بين ملفوظين(لغتين) وبالتّالي رأيين ورؤيتين وموقفين مختلفين تجاه العالم. ويمكن تمثيل ذلك بطرفين متعارضين أحدهما يتبنّى الدّيكتاتوريّة والثّانيّ يطالب بالدّيموقراطيّة وتكريسها – طبعا- داخل نصّ روائيّ. فالطّرف الأوّل يسعى إلى تغييب صوت الثّاني والطّرف الثّاني مضادّ تماما للطّرف الأوّل رافض تماما لموقفه، ينادي بتكريس مبدأ تكافؤ الفرص بين الجميع. كلّ هذا يصاغ في ملفوظ واحد باللّغة نفسها، وما يقصده باختين بتمازج لغتين اجتماعيّتين هو ذلك الاختلاف بين المواقف، وكأنّ كلّ طرف يفرض نفسه بلغة تميّزه عن الآخر، فالأوّل يتحدّث بلغة الدّيكتاتوريّة في حين يتحدّث الثّانيّ بلغة الدّيموقراطيّة. ولتوضيح أكثر نورد المثال التّاليّ:

---

[1] حميد لحميداني، أسلوبيّة الرّواية، مدخل نظريّ، ط1، منشورات دراسات سيميائيّة أدبيّة لسانيّة، الدّار البيضاء1989. ص51.

[2] ميخائيل باختين، الخطاب الرّوائيّ، ترجمة: محمّد برادة، ط1، دار الفكر للدّراسات والنّشر والتّوزيع، القاهرة1987. ص18.

في رواية ليلة المليار لغادة السمّان نجد التّهجين في قولها:« **حسنا.. أنت تملك البيت، ولكن لماذا ينام البيت خاويا وننام نحن على الرّصيف؟ أيّ وطن هذا الّذي يسمح بنوم البشر في سرير الوحل بالحدائق العامّة، وثمّة بيوت خاوية مختومة بشمع اللّامبالاة والسّفر المترف؟ أنا محتلّ لبيتك؟ ولكنّك أنت محتلّ لحقي في الحياة الكريمة(...) كلمات ردّ عليها بأقسى منها: أنا كادح عصاميّ جمعت كلّ قرش بعرق جبيني، واشتريت هذا البيت بعد اغتراب وعذاب سنوات.**»[1] يكشف هذا المقطع عن صراع طبقيّ بين الفقر والغنى.

ب- الأسلبة : (la stylisation) بنوعيها التّنويع والبارروديا، وتعني:« قيام وعي لسانيّ معاصر بأسلبة مادّة "لغويّة أجنبيّة عنه"، يتحدّث من خلالها عن موضوعه، فاللّغة المعاصرة تلقي ضوءا خالصا على اللّغة موضوع الأسلبة، فنستخلص منها بعض العناصر ونترك البعض الآخر في الظّلّ..»[2] يندرج هذا العنصر في التّنوّع الأسلوبيّ للرّواية ويعني قيام شخص باستحضار كلام آخر أجنبيّ عنه لدعم أهدافه وتحقيق أغراضه، مرتكزا على مواصفات مضمرة، تبيّن للوهلة الأولى وجود صدع بين وعيين كونها مادّة لغويّة أجنبيّة مدرجة في الحديث(مؤسلبة)، ويرتبط هذا بكفاءة المخاطِب لنقلها عبر ملفوظ يتمّ تفعيله وفق خصوصيّات وإطار الحديث، يتعلّق الأمر، إذن، بقضيّة ضمنيّة تستوجب بلوغ القصد العميق لتمرير فكرة معيّنة. ففي مشهد معيّن يقوم المخاطِب باستعارة كلام القدماء مثلا في الأمثال والحكم أو من النّصوص التّراثيّة، وتلك خاصيّة اللّغة المعاصرة الّتي أشار إليها باختين تسلّط الضّوء على ما قيل من أجل ما يقال.

ولتوضيح ذلك نورد هذا المثال:« **ربّما أكون "عوليس " العصر، فقدت حياتي في الحلم أو الكابوس الّذي أعيشه...**»[3]

نهل الكاتب هنا من الأدب اليونانيّ بإعادة أسلبة شخصيّة" عوليس" في هذا المقطع الرّوائيّ وقام بتحيينها واستثمارها في روايته قصدا في موقف يتساءل فيه السّارد عن هويّته ووجوده أمام متغيّرات الحياة، وكأنّه في زمان ومكان غير الّذي عاش فيه، فقد نقلها من نصّها الأصليّ إلى

[1] غادة السّمّان، ليلة المليار (رواية)، ط1، منشورات غادة السّمّان، بيروت 1986. ص59.

[2] ميخائيل باختين، الخطاب الرّوائيّ، ص51.

[3] مصطفى ولد يوسف، رواية ضباب آخر النّهار، ط1، دار الأمل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، تيزي وزّو، الجزائر 2018. ص 112.

نصّه، حيث استعارها من ملحمة هوميروس، وهي شخصيّة تريد العودة إلى وطنها في رحلة مليئة بالمغامرات دامت لسنوات يصارع فيها من أجل البقاء تحوّلت فيه حياته إلى كابوس، فالرّوائيّ في هذا المقطع ربط بين عمر الشّخصيّة الّذي مرّ دون أن يعيشه مع السّنوات الّتي ضيّعها عوليس للبحث عن طريق للعودة إلى موطنه الأصليّ، إذ بيّن حجم الضّياع الّذي شعر به، وبهذا استطاع هدم كلّ الحدود الزّمانيّة والمكانيّة بين الخطابين.

أمّا إذا جيء بكلام الغير بهدف السّخريّة أو التّهكّم فتلك هي الباروديا، بينما يقصد بالتّنويع الانتقال بالحواريّة من التّهجين إلى الأسلبة أو من الأسلبة إلى التّهجين.[1]

6- الحوار الرّوائيّ وخصائصه:

يعتبر الحوار نمطا من أنماط التّعبير من شأنه التّقريب بين النّاس سواء كان شفويّا أم كتابيّا أو كان وظيفيّا أم إبداعيّا، ويتطلّب القيام بهذا السّلوك مهارات معيّنة، وأطرا، وآدابا تتحكّم في مسار ممارسيه على وفق شبكة واسعة من العلاقات يتحكّم بعضهم ببعض. للحوار في الخطاب الرّوائيّ بعد فنّيّ؛ لأنّه مرتبط بتقنيّة من تقنيّات تشكيله إلى جانب السّرد والوصف.

للحوار شروط عديدة منها ما يتعلّق بالشّخصيّة، ومنها ما يتعلّق بالوصف والسّرد، ومنها ما يتعلّق باللّغة (لغة الحوار)...إلخ وهذه الشّروط يجب أن تتوافر في الحوار داخل الرّواية منها: الإيجاز، ولا يقصد به الإيجاز الّذي يخلّ بالمعنى وإنّما مرتبط بقوّة التّأثير، إذ لا يتحكّم فيه حجم الكلمات المستخدمة ولا عددها، وإنّما حضورها الفاعل في تشكيل المعنى، وكثيرا ما نجد حوارا قصيرا ولكن نشعر بالملل وكأنّنا استغرقنا زمنا طويلا في قراءته.[2] فالحوار يجب أن يكون مقتضبا ومكثّف المعاني حتّى لا يسرف فيه وتصبح الرّواية حينها مسرحيّة، ولأنّه: « يعطينا الوسيلة لتجسيد سيكولوجيّة الشّخصيّات، يفترض به أن يجنّبنا عناء شرح الخصائص العقليّة. كلّ جملة في الحوار يجب أن تصف الشّخصيّة المتحدّثة.»[3] ولا يتأتّى ذلك بالتّصريح والتّقرير، وإنّما ببراعة كاتبه وذكائه فهما اللّذان يكشفان عن طبيعته وشخصيّاته ومواقفها، وهو نوع من الإيحاء بالحقيقة الّتي تظهر في

[1] ينظر: حميد لحميداني، أسلوبيّة الرّواية، ص 90.

[2] ينظر: بثينة العيسى، بين صوتين، فنّيّات كتابة الحوار الرّوائيّ، ط1، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، دب 2014. ص ص 5، 6.

[3] المرجع نفسه، ص 24.

حوار الشّخصيّات، بمعنى أنّ الرّوائيّ لا يصف الشّخصيّة وإنّما الحوار هو الّذي يكشف عنها، ويكون فعلا مصدرا كاشفا عن قسمات الشّخصيّة وأبعادها الخفيّة لتقديمها للمتلقّي من خلال أدائها. وباختصار فإنّ الحوار يدلّ على الشّخصيّة، وهو المسؤول عن تحريك أحداثها وتطويرها، ورسم الشّخصيّات، وإضفاء الحيويّة على المواقف الّتي تتواجد فيها.

أمّا الشّروط المتعلّقة باللّغة على مستوى الحوارات، فقد اشترط عبد الرّحمن منيف أن تكون لغة بينيّة؛ واقعة بين اللّغة الفصيحة واللّغة العاميّة، فلا مغالاة في اللّغة العاميّة ولا إفراط في اللّغة العربيّة الفصيحة، لأنّ:« اللّهجة المغرقة في محليّتها تشكّل حاجزا بين الرّواية ومداها العربيّ، ولذلك ليس لها مستقبل إذا بقيت بصيغتها(...) كما أنّ العربيّة الفصيحة، المقعّرة القاموسيّة، مثل ذلك الحوار الّذي يجري على ألسنة شخصيّات المسلسلات المكسيكيّة، لا يمكن أن يمثّل الحقيقة أو الصّدق.»[1]

وربّما يكون تحقيق الشّروط المتعلّقة بالسّرد والوصف والشّخصيّات أسهل بكثير من الشّروط المتعلّقة باللّغة، ففي بحثنا هذا وجدنا أنفسنا نتعامل مع مادّة ترتكز بنسبة كبيرة على الحوار، وفي نفس الوقت هي مادّة مترجمة عن النّصّ الأصليّ، هذا ما يجعلنا نتساءل: هل باستطاعة لغة الحوارات المترجمة أن تكون بنفس الحرارة والصّدق الّتي تحملها الحوارات الأصليّة؟

تعتمد لغة المترجم على المكافئ والمقابل في نقل العديد من الخصوصيّات الثّقافيّة والتّعابير الجاهزة، والأقوال المأثورة المأخوذة من عمق الحياة الاجتماعيّة منها أسماء الأماكن وغيرها، والمهمّة لن تكون سهلة عندما يتعلّق الأمر بالحوارات، خصوصا أنّ الروايات المعاصرة توظّف المستوى الثّانيّ للغة (العاميّة) وهي اللّغة الّتي تتجلّى تقريبا في كلّ الكتابات العربيّة (في حواراتها)، ممّا يضفي عليها طابعا محليّا خاصّا يكون أكثر قوّة في التّأثير والإقناع في نصّها الأصليّ. ففي هذه الحالة لا تكون العمليّة نقلا لغويّا محضا، بل تكون انعكاسا لنمط العيش لشعب له ثقافة تلخّص تراكمات تاريخيّة وحضاريّة منحت قيمة للأشياء.

[1] عبد الرّحمن مُنيف، رحلة ضوء، ط3، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، دار الّتنوير للطّباعة والنّشر، الأردن 2012. ص 27.

يكشف الحوار عن صنوين متلازمين هما الزّمان والمكان، بوصفهما إطارا للحدث والشّخصيّة الرّوائيّة. الزّمن في الرّواية، وفي الأدب بشكل عامّ، هو زمن ذاتيّ عكس الزّمن الحقيقيّ الّذي يمتاز بالموضوعيّة والّذي يدرس في العلوم الدّقيقة كدراسة حركة الأجسام، والزّمن الّذي تستغرقه بين نقطة الانطلاق والوصول وهو ميدان خاصّ بالفيزياء، بينما الزّمن الأدبيّ هو:« "الزّمن الإنسانيّ"... إنّه وعينا للزّمن كجزء من الخلفيّة الغامضة للخبرة، أو كما يدخل الزّمن في نسيج الحياة الإنسانيّة، والبحث عن معناها إذن لا يحصل إلّا ضمن نطاق عامّ للخبرة هذا أو ضمن نطاق حياة إنسانيّة تعتبر حصيلة هذه الخبرات. وتعريف الزّمن هنا هو خاصّ، شخصيّ، ذاتيّ. أو كما يقال غالبا– نفسيّ، وتعني هذه الألفاظ أنّنا نفكّر بالزّمن الّذي يدخل في خبرتنا بصورة حضوريّة مباشرة.»[1]

بالإضافة إلى زمن آخر أطلق عليه عبد الملك مرتاض اسم: زمن ما قبل الكتابة.[2]

انطلقت الدّراسات السّرديّة عن الزّمن – مع جيرار جينيت–(Gerard Genette) حول مفهومه بشكل مكثّف في تطبيقاته على رواية البحث عن الزّمن الضّائع لمارسيل بروست (MarcelProust)، حيث اهتدى إلى هذه الدّراسة انطلاقا من ثنائيّة توماشوفسكي (Tomashevsky) المتن الحكائي والمبنى الحكائي، وبهذا توجّه نحو السّرد انطلاقا من تحديد مفهوم السّرد في حدّ ذاته وعلاقته بالأنماط الحكائيّة الأخرى في كتابه "الصّور1" الّتي مهّدت الطّريق لكلّ الاستنتاجات الّتي تضمّنها كتاب "الصّور3 " فيما بعد، مركّزا على البنية الدّاخليّة للنّصّ وإغفال العناصر السّياقيّة، ولكن فيما بعد صارت دراسته حول تحليل الخطاب السّرديّ أكثر شموليّة بصدور كتابه عتبات النّصّ، حيث ركّز فيه حول العناصر السّياقيّة وعلاقتها بالنّصّ مستفيدا من نظريّات تحليل الخطاب والتّداوليّة.

يستخدم الرّوائيّ مجموعة من الظّروف والإشارات تعود إلى تواريخ محدّدة لإظهار أنّ هذه الأحداث سابقة أم لاحقة، وهذه الظّروف والإشارات صنّفتها فرونسواز أرمينيكو(Françoise Armengaud) ضمن تداوليّة الدّرجة الأولى الّتي تُعنى بدراسة الرّموز والإشارات المبهمة الّتي

[1] سيزا قاسم، بناء الرّواية، دراسة مقارنة في "ثلاثيّة" نجيب محفوظ، دط، مهرجان القراءة للجميع، القاهرة 2004. ص 66.

[2] ينظر: عبد الملك مرتاض، في نظريّة الرّواية، بحث في تقنيات السّرد، دط، عالم المعرفة، الكويت 1998. ص183.

تحيل إلى زمان ومكان المخاطِب[1]، كما يجب علينا أن نقول إنّ بينفينيست(Benveniste) قد أولى عناية بالغة لهذا الجانب في دراسته لذاتيّة المخاطِب.[2]

يرتبط الزّمن بالفعل والفاعل الّذي قام بالفعل بمعنى الإنجاز في لحظة التّلفّظ، أمّا المكان فيكون إمّا بالتّسميّة أو بالمحدّدات الّتي تشير إليه، وتعين المؤشّرات المكانيّة على تحديد مكان المخاطِب وزمن التّكلّم في آن واحد.[3]

استنادا إلى ما سبق، فإنّ الرّواية خطاب تخييليّ تتداخل فيه الملفوظات والأزمنة والأحداث والأمكنة والمتخاطبين، لتشكل عالما تلميحيّا يمرّر به الروائيّ الوقائع الحقيقيّة، وهذا ما لاحظناه من خلال قراءتنا الّتي من خلالها سنحاول إيجاد مكمن المقاربة بين الخطاب الرّوائيّ والتّداوليّة في فصولنا اللّاحقة.

[1] ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التّداوليّة، ترجمة سعيد علواش، دط، مركز الإنماء القوميّ، الرباط1986. ص ص38، 41.

[2] ينظر: تمّ التّفصيل في هذا العنصر في الجزء المتعلّق بالتّفاعل الكلاميّ في الفصل الثّانيّ من هذه الأطروحة.

[3] ينظر: ظافر الشّهريّ، استراتيجيّات الخطاب، ص ص83، 84، 85.

الفصل الأوّل:

الخصائص التّداوليّة لحوارات الثّلاثيّة.

1- تقديم المدوّنة.

2- تحليل حوارات الدّار الكبيرة.

3- تحليل حوارات الحريق.

4- تحليل حوارات النّول.

1- تقديم المدوّنة:

ثلاثيّة محمّد ديب (الدّار الكبيرة، الحريق، النّول) هي الترجمة الّتي قام بها الباحث السوريّ سامي الدّرّوبيّ، عن الثّلاثيّة باللّغة الفرنسيّة(la gande maison, l'incendie, le métier à tisser) وهي أوّل ترجمة لهذه الرّواية وعليها وقع اختيارنا.[1]

تدور أحداث الدّار الكبيرة في غرب الجزائر و بالتّحديد في مدينة تلمسان، في دار السّبيطار الّتي تقطن بها العديد من العائلات الفقيرة، دار شاهدة على حياة العوز والحاجة الّتي مسّت معظم العائلات الجزائريّة، الدّار الكبيرة عنوان لذلك المكان الّذي يعيش فيه عدد كبير من الأفراد لدرجة وصفها محمّد ديب باستحالة معرفة عدد سكّانها، شساعتها وقدرتها على تحمّل عدد كبير من الفقراء توحي بالقدرة على تحمّل تلك الحياة القاسيّة الّتي أثقلت كاهل الجزائريّ، ويسهب محمّد ديب في وصف هذه الدّار مركّزا على عائلة عيني وأبنائها الّذين يسكنون في غرفة واحدة ويتقاسمون المطبخ مع باقي السّكّان، وهذا يوحي بتراكم المشاكل في جوّ مشحون بالتّذمّر لا راحة فيها ولا حريّة ولا استقلاليّة في العيش، كما يعكس حالة الفقر الّتي طبعت حياة الجزائريّين آنذاك، إذن هي حالة يشترك فيها الجميع. بطل الرّواية هو الطّفل " عمر" ذلك اليتيم الّذي عاش طفولة بائسة بكلّ أشكالها. والملفت في الرّواية أنّ كلّ حضور لشخصية عمر وشخصية عيني والدة عمر يكون محور الحديث فيه هو الحاجة إلى الطّعام، وكأنّ هذه الدّار هي دار الجوع. وفي ثنايا الرّواية نلمس درجة من الوعي عند عمر خلافا لأقرانه في المدرسة، حينما سئلوا عن الوطن فراح الجميع يردّد فرنسا هي أمّنا، وجد عمر نفسه متسائلا كيف يعقل لفرنسا أن تكون أمّي؟ وبمقارنة بسيطة ساذجة سذاجة أفكار الطّفل أجراها في ذهنه بين فرنسا وعيني تفطّن إلى أنّ مصدر تعليمه (المدرسة) هي

---

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، الحريق، النّول، ترجمة: سامي الدّروبيّ دط، دار الوحدة، بيروت1985.
وتقع التّرجمة الأولى في 397 صفحة، موزّعة كالآتي:
الدّار الكبيرة: 104 صفحة، **الحريق:** يحتوي على جزأين، الجزء الأوّل فيه 85 صفحة في حين أنّ الجزء الثّانيّ فيه 68 صفحة. أمّا **النّول** فمقسّمة إلى ثلاثة أجزاء، يحتوي الجزء الأوّل على 41 صفحة أمّا الجزء الثّانيّ ففيه 55 صفحة، والجزء الأخير جاء في 34 صفحة وما تبقّى من الصّفحات للتّقديم. وبعد هذه الترجمة جاءت ترجمة الجزائريّ أحمد بن محمّد بكلي بعنوان(الدّار لكبيرة، الحريق، المنسج)، دط، مطبعة الفنون الجميلة، الجزائر2011.

في الحقيقة كذبة كبيرة، هي طمس للهويّة وللانتماء، وفعلا هذه كانت سياسة فرنسا في الجزائر المتمثّلة في ضرب كلّ مقوّمات الشّخصيّة الجزائريّة.

كما تلخّص الرّواية أيضا الحسّ الثّوريّ عن طريق شخصية من شخصيات الرّواية وهي حميد السراج الّذي يعدّ الوقود الّذي يشعل فتيل الثّورة.

أمّا رواية الحريق فهي الرّواية الثّانية من الثّلاثيّة، وتدور أحداثها في منطقة مغايرة عن المكان الّذي دارت فيه أحداث رواية الدّار الكبيرة، وقد سعى فيها محمّد ديب إلى نقل حياة الرّيف هناك وبالتّحديد في " بني بوبلان" وهي منطقة يرتادها عمر من حين لآخر رفقة جارة له، صوّر من خلالها معاناة الفلّاحين الّذين يشتغلون في أراضيهم لتقديم المحاصيل للفرنسيّين مقابل أجر زهيد لا يكفي قوتا ليومهم في مشهد يعكس قمّة الاستغلال وانتهاك الحقوق.

وفي تفاصيل الرّواية حوارات تبادل فيها الفلّاحون الآراء وبدأت ملامح الوعي تلوح في الأفق و تظهر لدى العديد من الشّخصيّات الرّاغبة في التّغيير، حيث بدأت الأوضاع تتأزّم وتؤجّج الرّغبة في الثّورة أكثر وتشعل النّار أكثر إلى أن بلغت ذروتها وانفجرت ورمت بحممها، وتجسد ذلك في الحريق الّذي وقع في المنطقة، وهو بمثابة إعلان للثّورة. فهذا الصّراع بين الفلّاحين الّذين يعانون من الفقر والمعمّرين الّذين ينعمون بالخيرات هو الّذي حدّد معالم تطوّر الوعي عند فئة الفلّاحين في مقابل شخصية حميد السراج في رواية الدّار الكبيرة، إذ إنّ كلّ الفئات رافضة للوضع سواء المتعلّمة منها أو غير المتعلّمة.

أمّا الرّواية الثّالثة من الثّلاثيّة فهي النّول وتدور أحداثها في مصنع النّسيج الّذي يعمل فيه عمر بعد بلوغه سنّ الخامسة عشرة، فقد أسندت إليه مهمّة اللّفّ في هذا المصنع، أين احتكّ بأشخاص كثر تتباين أعمارهم وأفكارهم يتبادل معهم أطراف الحديث، وأحيانا يكتفي فقط بالاستماع لأحاديثهم محاولا إدراك ما يدركون. كما وقف محمّد ديب في هذه الرّواية على حدث بارز تمثّل في نزوح الكثير من النّاس المحتاجين الّذين ينحدرون من الجبال والأرياف إلى مدينة تلمسان، ممتهنين حرفة التّسوّل في مشهد غريب يلفت الأنظار وهم يبحثون عن لقمة العيش، بعد أن يئسوا منه في الرّيف، حيث وجدوا أنفسهم مرغمين على ترك حقولهم ومزارعهم الّتي لم تعد مصدر رزقهم.

2- تحليل حوارات الدّار الكبيرة[1]:

تزخر رواية الدّار الكبيرة بمختلف أصناف الحوارات، إذ تضمّنت تشكيلة متنوّعة من حيث الأسلوب والغرض. وفي بحثنا كان لابدّ أن تتّخذ الحوارات تصنيفا معيّنا، لكن بعد القراءة والمراجعة الدّقيقة تبيّن لنا في الأخير أنّها حوارات وردت في مواقف وأزمنة مختلفة وذات مقاصد مختلفة كذلك، وهذا ما جعلنا نعدل عن فكرة تصنيفها وفق الاشتراك في المبدأ، فكان بإمكاننا مثلا أن نصنّف كلّ الحوارات الّتي تشترك في مبدأ الكمّ، والّتي تشترك في مبدأ الكيف وهكذا، ولكن رأينا هذا التّصنيف لن يفضي إلى نتيجة، فعدلنا عنه.

أثناء التّحليل سنقع في اللّبس بين مصطلحي الكمّ وأحد فروع مبدأ الطّريقة وهو الإيجاز؛ فإذا كان الأوّل مرتبطا بكميّة المعلومات المقدّمة من طرف المخاطِب، ألا يحق لنا أن نتساءل عن الإيجاز، فهو أيضا مرتبط بطول الكلام وقصره؟ حاولنا الإجابة عن هذا التّساؤل من خلال النّماذج المطروحة فوجدنا أنّ الفرق بينهما مرتبط بطريقة عقد الحوار وتقديم الكلام، فالأوّل يتحقّق عند طلب المعلومات كما هو الحال عند السّؤال والاستفسار...إلخ وتقديم الطّرف الثّاني لمعلومات حول السّؤال...إلخ، بينما الإيجاز مرتبط بكلام المخاطِب فيتحقّق عند اشتراك الطّرفين في الحديث عن شيء ما ويأتي عن طريق الإطناب، وهو ما لاحظناه من خلال الحوار الّذي سيعرض لاحقا بين شخصيتي عيني ومريم عندما طلبت الأولى من الثّانية رفع المائدة.

كما أنّنا لم نحتفظ بالحوارات كما جاء ترتيبها في الرّواية، بل اعتمدنا على توزيع آخر حسب مجموعة من المتخاطبين الحاضرين في المدوّنة، وهي: عمر، عيني، عيوشة، مريم، العمّة، فاطمة، ...إلخ

لقد تعدّدت الحوارات الواردة في المدوّنة، فلم تكن بين طرفين فحسب، بل تعدّدت الأطراف وتضافرت لتجمع على شيء واحد للنّقاش، أو لتتعارض في أفكارها ورؤاها، كما تعدّدت أنواعهم، واختلفت طبقاتهم، فمنهم الصّديق، ومنهم العدوّ الّذي يمثّله الطرّف الفرنسيّ بصورة خاصّة إضافة إلى الجزائريّ (خائن الوطن). وقد تمّ تقديم الحوارات باستعمال إشارات قولية صريحة مثل: (قال،

[1] سأعتمد في تحليل الحوارات على مبادئ غرايس الّتي وضعها للحوار، وذلك على امتداد صفحات تحليل المدوّنة والّتي أوردها في مقاله Logic and Conversation,pp.41- 58 .

قالت،...إلخ) وهي تقنية اختارها محمّد ديب لتحقيق التّناوب والتّجاوب واندماج المخاطَب مباشرة في الكلام.

كما يجب أن ننوّه أيضا قبل البدء بتحليل الحوارات، إلى أنّ الحوارات القصيرة نوردها كما هي، بينما الطّويلة نكتفي فقط بعرض فكرتها ومضمونها، حيث وجدنا بعض الحوارات تتجاوز صفحة أو صفحتين. ويمكن أن نورد أهمّ هذه الحوارات ونحلّلها على النّحو التّالي، وذلك اعتمادا على المتخاطبين:

2-1- حوارات عمر:

لننظر إلى هذا الحوار الّذي يدور بين عمر والصّبية مع رشيد برّي:

"- **هات قليلا ممّا تأكل. أنا...أنا... أنا ما أعطيتني... حليم أخذ كلّ شيء...أنا ما أخذت شيئا.**"[1]

حدث هذا الحوار عندما طلب عمر من رشيد برّي قليلا من الخبز، فتعالت الأصوات الأخرى طامعة في الظّفر بلقمة صغيرة. وهو حوار يلائم مبدأ التّعاون، جاء على القدر المطلوب، ومشاركة أطراف الحوار مناسبة وفي صميم الموضوع. حوار واضح وموجز بعيد عن اللّبس والغموض.

ولننظر أيضا إلى هذا الحوار الّذي يدور بين عمر و أحد التّلاميذ:

"- **ما أتيت اليوم بشيء، لاشكّ أنّك أعطيت خبزك لآخر، إخفاء له، لا...لا...أحلف لك، لا تكذب، أحلف لك، لا تطلب منّي إذن أن أدافع عنك بعد الآن...هه...، أحلف لآتينّك غدا بقطعة كبيرة.**"[2]

يبدو في هذا الحوار للوهلة الأولى أنّ ردّ عمر لا علاقة له بكلام التّلميذ، فالتّلميذ يحلف بعدم إحضاره الخبز، وعمر بدوره طلب منه أن لا يطلب المساعدة غدا، فالطّرف الثّانيّ يمكنه أن يفهم ما يقصده المخاطِب، إذ يمكن أن يعتبره تهديدا أو واجبا لابدّ منه تجاه عمر، أو اعتبار الخبز الّذي يقدّمه لعمر هو ضريبة وجب دفعها يوميّا للتخلّص من عقابه، أو هو شرّ لابدّ منه، ويدعمه حلف

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص13.

[2] المصدر نفسه، ص 14.

الولد في نهاية الحوار. كما أنّه أخلّ بمبدأ الإيجاز فقد زاد عن كلامه ودعمه بالقسم لإيضاح أكثر وذلك على اعتبار أنّ المعلومة الّتي يقدّمها المخاطِب ذات أهميّة ويعرف هذا المبدأ بـ: «قانون الشّموليّة.»[1]

وفي حوار عمر مع عيني:"- **أهذا هو الغداء؟ نعم هذا هو الغداء! في أيّ ساعة نأكل؟..هي الآن الحادية عشرة والنّصف. لعن الله أبا العكوب وأمّه! اذهب الرّجال لم يخلقوا للبيت.**"[2]

نجد أنّ إجابة عيني غير كافية لأنّها أخلّت بقاعدة الكمّ، ممّا جعل عمر يستنتج أنّ وقت الغداء لم يحن بعد. فقولها: "هي الآن الحادية عشرة والنّصف." لا تعني سوى أنّ الوقت مبكر على الغداء. فعيني لم تقدّم معلومات كافية، غير أنّها قدّمت مؤشّرا زمنيّا يشير إلى أنّ هناك وقتا للغداء اعتادت عليه العائلة، فهذا المؤشّر عامل من عوامل السّياق المرتبطة بقدرة المخاطَب على التّأويل، إذ كان بإمكانها القول: "ليس الآن." والولد بدوره ردّ قائلا: "لعن الله أبا العكوب وأمّه" وهنا قد ازدادت حالته الانفعاليّة، لأنّ والدته لم تعلمه بأنّ وقت الغداء قد حان، وهذا يوحي بأنّ المخاطَب كان مضطربا ومتلهّفا لمعرفة الجواب عن السّاعة وعن نوعيّة الطّعام، فهل سيتحقّق مطلبه أم أنّه سيردّ عليه؟ وهنا خوطب بالتّأكيد القاطع من قبل والدته ولم يكن من باب التّلطّف به وإنّما من باب انعدام الخيارات أمامه. وقد حمل هذا الحوار في **معناه التّداوليّ** معنى التّذمّر من حياة الفقر (معنى مستلزم) إذ خرج كلام عمر عن مبدأ العلاقة، بعدم مناسبة إجابة عيني لكلامه، فهي ليست إجابة حرفية، وإنّما مخالفة تماما على المستوى السّطحيّ وغير مناسبة ظاهريّا، ولكنّ المخاطَب يمكنه أن يصل إلى قصد المخاطِب، ويحاول أن يفسّره ويؤوّله على مستوى أعمق، ويربط علاقة السّؤال بالجواب، وفي هذه الحالة يمكن اعتبارها تلميحا على أنّ الولد ضاق ذرعا من حالته المزرية، فقد أضناه الجوع، هو يسأل عن الأكل والأمّ بدورها لم تجد ما تقدّمه لأطفالها كطعام يملأ بطونهم سوى عشبة العكوب البريّة.

[1] جان سيرفوني، الملفوظيّة، ترجمة: قاسم المقداد، دط، اتّحاد كتّاب العرب، دمشق1998. ص72.

[2] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 15.

وفي حوار آخر نجد هذا الموقف الحواريّ الّذي أصدر فيه عمر صوتا من الحزن" **أعول**"[1] بسبب سوء معاملة والدته لجدّته، فردّت عليه والدته" تعرف ماذا سيقع لك" فأجاب عمر بـ" لايهمّني"هنا كلامه غير متعلّق بسؤال والدته، فكان من المنتظر أن يجيب بنعم لكنّ ردّه غير مناسب لكلام عيني، كذلك طريقة كلامه تحمل جوابا غامضا بالنّسبة لسؤال والدته" يلعن أبوك..."(مبدأ العلاقة والطّريقة). كما أنّ المخاطِب زوّدنا بأفعال غير ملفوظة مثل(فأومأت إليه برأسها) يظهر تشابك الملفوظ مع غير الملفوظ، وهذا الأخير جاء تدعيما للملفوظ: "- **انهض، تعال. فأومأت إليه برأسها أن ينهض الجدّة ردّت الجدّة قائلة: عيني، عيني، بنتي..تعال أنت.. أأنت مجنون فتصرخ هكذا ؟ تعرف ماذا سيقع لك.. لا يهمّني، اخرسي يا... عاهرة. يلعن أبوك، يا ملعونة، تلعن أمّك..**"[2]

ومن الحوارات الّتي جمعت أيضا بين عمر وعيني نجد هذا الحوار"- **أهذا كلّ شيء؟.. حساء بلا خبز؟..أهذا كلّ شيء؟.. لم يبق عندنا خبز. الخبز الّذي جاءت به لالا نفد منذ أمس.. فكيف نأكل الحساء يا أمّي؟ بالملاعق!**"[3]

يسأل عمر عن كيفيّة أكله الطّعام دون خبز، والأم بدورها ردّت بالملاعق وهي إجابة مخالفة لما سأل عنه عمر(مخالفة لقاعدة العلاقة)، ومع ذلك احتفظت بمبدأ التّعاون وليست من قبيل عدم القدرة على الإجابة بطريقة واضحة ومباشرة. فعمر لم يقل بماذا نأكل الحساء؟ وإنّما قصد أكل الحساء دون خبز لن يسدّ جوعه وإنّما يثيره أكثر.

وفي موضع آخر نجد هذا الحوار القصير:"- **إلى أين؟ إلى المرحاض..**"[4] الّذي يبدو من خلاله أنّ مبدأ التّعاون قد تحقّق، فقد استخدم عمر في إجابته القدر المطلوب من الكلمات دون زيادة أو نقصان(مبدأ الكمّ) وكان صادقا في كلامه(مبدأ الكيف)، كما أنّه أجاب إجابة ذات صلة وثيقة بسؤال والدته(مبدأ العلاقة)، وواضحة وموجزة(مبدأ الطّريقة). فقد قال ما يقصده فعلا.

---

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص26.

[2] المصدر نفسه، ص ص25، 26.

[3] نفسه، ص ص 36، 37.

[4] نفسه، ص51.

أمّا هذا الحوار "– **وتلك الّتي صنعتها في ذلك اليوم، هل أدخلها في الحساب؟ نعم أدخلها. وتلك الّتي حملتها إليه وحدها منذ أربعة أيّام؟ ألم نضفها منذ لحظة؟ أنت تعرفين أنّنا أضفناها، فهي داخلة في الحساب.أردت أن أعرف هل أنت متأكّد من ذلك. متأكّد. مصيبة المصائب أن ننسى شيئا ممّا قدمناه له. نحن حتّى بدون هذا النّسيان، لا نتوصّل إلى تدبير أمورنا.**"[1]

فإنّنا نجد في الجزء الأوّل والثّالث منه احترام جميع مبادئ الحوار(التّعاون). دون زيادة أو نقصان(الكمّ) هو صادق في كلامه(الكيف) جوابه مناسب لسؤال عيني(العلاقة)، إجابته موجزة(الطّريقة).

يقتضي سؤال عيني في الجزء الثّاني من الحوار إجابة مختصرة لا تعدو أن تكون في كلمة واحدة هي (نعم)، ولكن عمر لم يختصر ذلك وإنّما أجاب بجملة طويلة نوعا ما، أراد بها أن يزيل الشّكّ الّذي يراود والدته، وحذرها الشّديد حينما تتعامل مع النّقود، وقد قطع ذلك الشّكّ باليقين(مبدأ الطّريقة). وما يؤكّد أنّ عمر فهم والدته، وفهم حجم الخوف الّذي ينتابها هي الجملة الّتي تليها، بها فسّرت عيني سبب إلحاحها على عمر، رغم ذلك عادت عيني لتسأل مرة أخرى ولكن عمر لم يجب فلم يكن بوسعه أن يجاريها.

وفي هذا الحوار:"– **ماهي العين يا مّا؟ عيني: شيطان يأخذك.**"[2]

يتمّ انتهاك مبدأ العلاقة بجملة" شيطان يأخذك" لأنّ عيني لم تجب بجواب متعلّق بالسّؤال، فالولد سأل عن معنى العين والأم ردّت بكلام آخر لا علاقة له بالسّؤال، وهذا يزيد من غموض ما استفسر عنه عمر.

وإذا عدنا إلى هذا الحوار: "– **أين الخبز الّذي ذهبت تشتريه؟ ولكن قل لي، أين كنت؟ أين كنت حتّى هذه السّاعة بينما نحن ننتظر؟ قولوا لي؟ ألا يستحقّ القتل، هذا الكلب المتسكّع.. هيّا اذهب حالا لإحضار الخبز. وأنا أنصحك أن لا تضع قدميك في هذا البيت، إن لم تعد بالخبز. لقد قامت الحرب يامّا. ألأن الحرب قامت لا نأكل؟ الحرب.. الحرب.. أتراك أصبحت معتوها؟ مفهوم**

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 80.

[2] المصدر نفسه، ص 92.

إنّها الحرب."[1] نجد أنّ عيني قد أصدرت فيه جملة من الاستفهامات والأوامر، ولكن عمر لم يرد عليها وإنّما اكتفى فقط بقوله(لقد قامت الحرب يا مّا) فقد سألت عن الخبز، وعن مكانه وعن سبب غيابه. بالعودة إلى كميّة المعلومات الّتي أرادت عيني الحصول عليها، نجد أنّ عمرا أجاب بكلمات ناقصة لم تستوف شرط الكمّ فيها وبالتّالي أخلّ بالمعنى، فهي معلومات ناقصة، كما أنّ إجابته غير مناسبة لكلام والدته، فعمر انتهك شرطين من شروط مبدأ التّعاون هما الكمّ والعلاقة، هي سألت عن أشياء وهو ردّ عن شيء آخر مخالف تماما.

ويتّضح ذلك أكثر في هذا الحوار القصير"– **إنّها تطلب إلينا أن نسرع فننتظر. فلنذهب إليها لنر ما عندها.عيني: اخرس أنت.**"[2] الّذي نجد فيه خرقا واضحا لمبدأ العلاقة، كلام عيني غير متعلّق بكلام عمر.

ويمكننا أحيانا:« أن لا نختار التّعاون ويمكن أن نمتنع عن الإدلاء بأية معلومة بقولنا: لا أستطيع قول أي شيء، أو: وعدت بعدم الكلام...»[3] وذلك ما نلاحظه في هذا الحوار:"– **عمر ألا تريد أن تهدأ؟ ...هذا كلّ ما تركه لنا أبوك، ذلك الرّجل الّذي لا يصلح لشيء: ترك لنا البؤس. غيّب وجهه في التّراب، وسقطت علي جميع أنواع الشّقاء..الشّقاء هو نصيبي طوال حياتي .. هو الآن هادئ في قبره.. لم يفكّر يوما في ادّخار قرش واحد..وهأنتم تتشبّثون بي كالعلق الّذي يمتصّ الدّم. لقد كنت غبيّة.. كان ينبغي أن أترككم في الشّارع، وأن أهرب إلى جبل خال مقفر... الشّقاء هو حظّي من الحياة. ردّ عمر بالصّمت.**"[4]

فعيني بهذا الكلام لم تكن تنوي الحديث مع عمر من قبيل الأخذ والرّدّ، وإنّما جاء كلامها عتابا في عتاب، لقد أدرك عمر أنّ أمّه لم تكن توجّه الحديث له لهذا لزم الصّمت، فلماذا سيشارك في حديث هو في غنى عنه؟ حتّى وإن بدا ظاهريّا أنّها كانت تخاطبه، ولكن بالعودة إلى السّياق والإطار الّذي وجد فيه والأطراف المشاركة فيه، يفهم أنّ الكلام كان موجّها إلى طرف ثالث هو

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 112.

[2] المصدر نفسه، ص93.

[3] ميرود سعاد، الاستلزام الحواريّ في سورة "طه" تحليل تداوليّ وفق نظريّة غرايس، مجلّة المدوّنة، المجلّد الخامس، العدد الأوّل،الجزائر 2018.ص324.

[4] محمّد ديب، المصدر نفسه، ص ص 23، 24.

الجدّة، فهي تتحجّج بعمر لتصبّ غضبها. كما نفهم أيضا أنّ عمر ملّ من كلام والدته كلّ صباح وكأنها أسطوانة تنتهي وتعود إلى نقطة البداية، وهذا كلام يردّد يوميّا وكلّ صباح(نسخة مكرّرة). لهذا لم يبذل عمر جهدا في التّعاون مع والدته، مفضّلا أن يمارس دور المستمع فقط.

وفي حوار زوجة مالك البيت مع عمر الآتي: "– **إنّ وجود عمر في البيت، في هذه السّاعة، نائبة من النّوائب، ردّ عمر: ألا تستحي، يا بنت؟**"[1] يمكن للمرأة أن تعتبر ردّ عمر تلميحا إلى خطأ اقترفته فإجابته لا تتناسب تماما مع قولها(مبدأ العلاقة)، وقد فهم قصد المرأة فهي تحاول إثارة غضبه، كما أنّ وجوده في البيت ضايقها وأزعجها أشدّ الإزعاج، كان من الممكن أن تكون إجابته بالسّؤال مثلا: لماذا وجودي في البيت نائبة من النّوائب؟ والمرأة بدورها على علم بأنّ عمر سيفهم قصدها حتما، حيث يتبيّن أنّها افترضت مسبقا ذلك، وطبعا كلام عمر كان ردّا وفق ما يحمله كلامها من قصد، يؤدّي بدوره إلى افتراض مسبق بأنّ تلك المرأة تكنّ له الكره، إذ يبدو أنّه تعوّد على سلوك هذه المرأة وأخذت تصرّفاتها تجري مجرى العادة، ومن هنا نفهم قصده وكأنّه يقول لها " يكفي يا امرأة" أو "عليك أن تلتزمي الصّمت."

وفي حوار الجارة مع عمر الآتي:

"– **أيجب أن ينتظرك النّاس نصف يوم بكامله؟ روحي اعمليها في الشّارع إذا كنت لا تحبّين أن تنتظري! رأس يهوديّ.**"[2]

نجد أنّ جملة الجواب لا تحتاج إلى كلام كثير وغير مفيد(مبدأ الكمّ)، وفي هذا الموقف كان على عمر أن يجيب عن كلام المرأة باعتذار على وفق ما تقتضيه الآداب، كما أنّ كلام عمر أيضا فيه غموض، فهو غريب(مبدأ الطّريقة) و الجارة بدورها ردّت بعبارة" رأس يهوديّ" وهي عبارة غريبة بالنّسبة للكلام الّذي قاله عمر(مبدأ الطّريقة)، وبهذا تخرج العبارة إلى معنى آخر.

وفي حوار الجارة زهور مع عمر نجد انتهاكا واضحا لمبدإ العلاقة من جهة ومبدأ الكيف من جهة أخرى: "– **عمر، تعال، أرجوك. لا، لا، لا تبك. أنا لم أشأ أن أزعجك. أنت أخي. كفى، كفى، لا تبك. لم أتعمّد ذلك تعمّدا، أنت أخي. وهذه قبلة يا عمر. لن تبكي، أليس كذلك؟ لن تحزن،**

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص16.

[2] المصدر نفسه، ص 51.

هه؟ لا تظل راقدا هنا يا أخي الصّغير. وعليّ أن أسارع فأرفع الفراش لقد انقضى أكثر من نصف النّهار. أنا ذاهبة إلى بني بوبلان. سيأتي صهري قره علي ليأخذني إلى هناك. لقد تحدّث في هذا إلى أمّي، فأختي مرهقة بالعمل، ويجب أن أساعدها، فإذا شئت جئت معي، كالمرّة الماضية..إسأل أمّك هل تسمح لك أن تجيء معي. كم يوما تبقين في بني بوبلان؟ أربعة أيام.. أظنّ.."[1]

لقد طلبت زهور من عمر في هذا الحوار أن يستأذن من والدته ليرافقها إلى بني بوبلان لزيارة أختها هناك، وعمر بدوره ردّ بعبارة" كم يوما تبقين في بني بوبلان؟" فهو لم يرُد على قدر كلام زهور، كما أن ردّه ليس حرفيّا، بل انتهك مبدأ العلاقة، فلا علاقة بين طلب زهور وسؤال عمر. فلهذا الأخير قصد ومعنى آخر من كلامه هو: إن كانت مدّة المكوث قصيرة ستسمح له والدته بمرافقتها.

كلمة "أظنّ" الّتي صدرت من زهور فيها انتهاك لمبدأ الكيف، لأنّها قالت كلاما غير واثقة منه، ولم تقدّم معلومة صحيحة تماما.

وفي حوار عمر مع صاحب الفرن توافرت جميع مبادئ التّعاون في بدايته، حين أجاب عن السّؤال"– **من؟ أنا عمر.**"[2] فقد كانت إجابتة إجابة دقيقة وكانت مشاركته تفيد القدر المطلوب ومناسبة لمضمون السّؤال الّذي طرح عليه، فردّه جاء موجزا "أنا عمر." أمّا في باقي الحوار:" **أفي مثل هذه السّاعة تأتي لأخذ خبزك، يا شقيّ؟ إلى هنا، إلى البيت؟ هيّا امش الآن. وتعالى لأخذ رغيفك في الغد في الفرن. عم قدور، الله يخلّيك، تعالى اعطني خبزي، الله يغنيك، إن شاء الله تحج إلى مكة.**"[3] فنجد عمر قد ردّ على كلام الخبّاز بعبارات غريبة عن كلامه "الله يخليك، الله يغنيك، إن شاء الله تحجّ إلى مكة" وهي عبارات تغني عنها جملة" أعطني خبزي"، فهو لم يحترم مبدأ الطّريقة الّذي يُشترط فيه الإيجاز.

بالنّسبة لخرق قاعدتي العلاقة والطّريقة فقد وردتا في هذا الحوار الّذي جمع بين عمر مع عيّوشة، فالقاعدة الأولى غابت حين تلفّظ عمر بكلمة غامضة بالنّسبة لكلام عيّوشة(حمارة) كما أنّ

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص ص52، 53.

[2] المصدر نفسه، ص 112.

[3] نفسه، ص 113.

المقام لا يستدعي أن يستخدمها، فقد جاءت لتدعيم سؤال عمر(ألا تسمعين؟)(خرق مبدأ الطّريقة) كما يظهر، أيضا، خرق مبدأ العلاقة في كلامها، وحينما ردّ عليها عمر بـ(كفى.. غبيّة) هي بدورها ردّت بكلام لا علاقة له بكلام عمر(مبدأ العلاقة)، و يحمل قصدا يتمثّل في أنّ عمر في البداية كان خائفا من عتمة البيت ولما جاءت أخته وشعر بالطّمأنينة أخذ يردّ عليها بكلام يبدو فيه أكثر قوّة منها، وكأنّه لم يكن ذلك الطّفل الصّغير الّذي كان خائفا واستنجد بأخته: "– **عيّوشة، عيّوشة. عيوشة، لماذا لا تأتين؟ أنا هنا. ادخل، حمارة. ألا تسمعين حين تنادين؟ وأنت أيّتها البنت الصغيرة، هل من الضّروريّ أن تأتي امرأة لتقودك؟ كفى.. غبيّة. انظروا كيف يجيد إصدار الأوامر. يا له من رجل!** "[1]

ويمكن تلخيص ما سبق ذكره في هذا الجدول:

حوارات عمر	انعدام التّعاون	احترام التّعاون	خرق مبدأ الكمّ	خرق مبدأ الكيف	خرق مبدأ العلاقة	خرق مبدأ الطّريقة
تكرارات الخرق	1	4	2	1	9	6

يوضّح هذا الجدول أنّ خرق مبدأ العلاقة أكثر حضورا في حوارات عمر يليه خرق مبدأ الطّريقة، ثم يأتي احترام التّعاون بعد ذلك.

2-2 حوارات عيني:

أمّا عن حوارات عيني فيمكن أن نبدأها بحوارها مع الجّدة، الّذي يدور مضمونه حول تناوب أبناء والدة عيني العجوز المقعدة الطّاعنة في السّنّ على الاهتمام بها، وفي هذه المرّة حان دور عيني لتعتني بها لمدّة ثلاثة أشهر، ولكن تلك المدّة قد انقضت منذ وقت طويل، ولم يأت أحد لاستلامها، هذا ما جعل عيني تشكو من والدتها، إذ زادتها همّا على همّها، فلا وقت لديها للاهتمام بها ولا طعام يكفي حاجتها.[2]

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 114.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص25.

نلحظ انتهاكا في جملة "– **عيني ابنتي، يا أمّي الصّغيرة..لعن الله إبليس، هو الّذي يضع في رأسك هذه الأفكار... ماذا كان في وسعي أن أفعله يا ابنتي؟**"[1] فجواب الأمّ أقل ممّا طلبت عيني، كان ينبغي أن تجيب الأمّ بتفسير السّبب وراء رفض ابنها لها، وتركها عند عيني، بينما فسّرت ذلك بخروج الأمر عن سيطرتها، فهذا مخالف لمبدأ العلاقة، حتّى وإن بدت، استلزاميّا، مناسبة ولكنّها غير مناسبة حرفيّا إذ تحاول الجدّة التّخفيف من حدّة الحوار، وكسب الطّرف الآخر، وإقناعه بالتّخلّي عمّا يدور في عقله وعمّا يصرّح به بالتّودّد له، والتّقرّب منه(ابنتي، يا أمي الصغيرة).

وفي حوار آخر نجد:

"– **الجدّة تخاطب عيني: أهكذا يا بنتي؟ اسكتي يا عجوز النّحس. أليس لك قلب؟ ألست تشفقين على أمّك الّتي ولدتك؟ أتنامين وتتركينني؟**"[2]

في هذا الحوار الّذي دار بين عيني ووالدتها، تمّ خرق مبدأ العلاقة. تبدو فيه عيني متهرّبة من والدتها تتحاشى الدّخول في نقاش معها، فالأمّ تستفهم من ابنتها عن شيء يستدعي فهمه، ولكن قوبلت بكلام لا علاقة له مع قولها، تنبعث منه شرارة الغضب والكره، ما يستدعي أن تفهم من ردّها أنّها ترفضها رفضا قاطعا، وتعتبرها عالّة عليها. ثم واصلت الأمّ تستفهم من ابنتها غير مكترثة للأمر الّذي أصدرته عيني، محاولة التقرّب منها بسلسلة من الاستفهامات جاء فيها كلامها غير موجز، إذ كان من الممكن أن تقول بكل بساطة (أريدك أن تنامي معي)(مبدأ الطّريقة).

وفي هذا الحوار الّذي دار بين عيني وابنتيها:

"– **على مهلك يا بنت.. من ؟ ..أنا.. أنظري إلى مريم.. ليس الطّعام لك وحدك يا مريم. كلي الطعام كلّه إن شئت!..دائما أنا.. ليتني أموت.. عسى أن أرتاح بعد ذلك. وطلبت من مريم أن تساعدها في رفع المائدة.**"[3]

نجد عيني قد طلبت من ابنتها عيّوشة رفع مائدة الطّعام، لكنّها ردّت بكلام غريب، فكما هو معروف الطّلب يُقابل بالرّفض أو القبول، لكن عيّوشة ردّت بقولها: "دائما أنا، ليتني أموت عسى

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 25.

[2] المصدر نفسه، ص 99.

[3] نفسه، ص 37.

أن أرتاح بعد ذلك" فهذه الجملة غريبة بالنّسبة لطلب الأمّ، خرقت أحد مبادئ التّعاون وهو مبدأ الطّريقة" لا تكن غامضا"، ومن جهة ثانية كان طلب الأمّ مختصرا مقتضبا، ولكن كلام عّيوشة فيه كمّا من الكلمات، في حين أن الرّدّ يقتضي كلمة واحدة فقط، أو حتى سلوكا معيّنا وهذا يعني أنّها استغلّت مبدأ الكمّ أيضا.

وفي موضع آخر ورد حوار بين عيني وبنتيها تتمحور فكرته حول جني هاتين الأخيرتين لقليل من المال، ما جعلهما تشتهيان أكل بعض الأطعمة، لكنّ والدتهما ردّت بقولها إنّ كلّ المال يكفي فقط لشراء الخبز.

"– **عيوشة ومريم: ما رأيكم أنتم؟ "عيني: إنّ الأمّ هي الّتي لها القول الفصل، أليس كذلك؟ الأمّ هي الّتي تتكلّم. وإنّها تقول لكم: إنّ صنع أربعة أرغفة في اليوم يعني أنّ علينا أن نشتري ثلاثة كيلو من الدّقيق كلّ يوم. طيب. معنى هذا أنّ علينا أن نشتري الدّقيق أوّلا وقبل كلّ شيء. عيّوشة ومريم: ما أجمل الحياة الّتي كان في وسعنا أن نحياها لو لم يكن علينا أن نشتري هذا المقدار كلّه من الخبز!**"[1]

تخاطب البنتان عيني وعمر بسؤال عن رأيهما حول شراء بعض الأطعمة، فكان جواب عيني بعيدا عن الإيجاز(خرق مبدأ الكمّ)، إذ يكفي أن تقول (أنا أرفض أو علينا أن نشتري الدّقيق أوّلا وقبل كلّ شيء)، لكنّها عمدت إلى استخدام جمل طويلة بغية تنفيذ هدفها التّبليغيّ في أنّ أحلامهما بعيدة، هي كماليّات بالنّسبة لأوضاعهم، إن استطاعوا توفير الخبز شهرا كاملا فهم في أحسن الأحوال. انطفأت أحلام البنتين فرّدتا بتعجّب عن مللهما من تلك الحياة الّتي لا تجاوز حدود أبسط ضروريات الحياة: وهو الخبز. في لحظة تخيّلت البنتان الحياة في تمنّ لو لم يكن هذا الخبز حاجزا بينهم. جملة (ماأجمل الحياة) هي جملة غريبة وغامضة مقارنة بما قالته عيني، فهما تحلمان بجمال الحياة بعيدا عمّا ذكرته عيني(خرق مبدأ الطّريقة)، حقّق محمّد ديب بهذا المنطوق على لسان مريم(ما أجمل الحياة) وجودا عقليا لعالم ممكن هو نقيض العالم الحقيقيّ الّذي يعيش فيه الإنسان في الرّواية، وهو غير ممكن الوجود في ظلّ المعطيات المتاحة، وقد تكرّر هذا في ثنايا المدوّنة في موقف الضّجر من الحياة، وعلى لسان عمر في حوار داخليّ يحاول استنطاق نفسه

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 90.

دونما الوصول إلى إجابات تقنعه، وتجلّى ذلك حينما تساءل وتمنّى حياة غير تلك الّتي يعيشها والمرتبطة بالخبز وكفى.

والملفت للانتباه من خلال بعض النّماذج أن هذا الصّوت الأحاديّ الّذي نجده في المدوّنة قد استعمل للهروب من الواقع والتّمتّع بقليل من الاستقلالية بعيدا عنه، ومحاولة الاستنجاد بالذّات، وفرض رأيه على نفسه، ورفع الذلّ عنها. هذه العلاقة مع النّفس هي في الحقيقة علاقة بين الواقع الّذي يعيشه، والواقع الّذي يريده(الآلام والآمال).

وفي هذا الحوار الّذي يدور بين عيني ومالكة البيت: "– **من أنت؟ من أنت يا من تسمحين لنفسك بأن تعكّري صفو بيتي؟ إنّك لا تزعجين هؤلاء النّاس إلّا أنّهم خير منك، فأنت تحسدينهم. أسكتن أنتنّ، واتركن لي الكلام. لقد انتظرت هذا اليوم مدّة طويلة، فاتركيني أقول ما بقلبي. إنّك تنغصين علينا مسرّاتنا وأفراحنا. ونحن جميعا قد ضقنا بك ذرعا، ضقنا ذرعا بهذه النّظرات الّتي تلقينها علينا. لقد أصابتنا عينك الحسود بكثير من الأذى. هيّا اتركي بيتي أنت وأولاد الحرام، أولادك هؤلاء، وإلّا أخرجت بالقوّة. عيني: أنا؟ أحسدك أيّتها العجوز الهرم؟ أتظنّين أنّني أحسدك؟ ألا إنّني لأرثى لحالك وأشفق عليك. أمّا أفراحك فلست أعكّرها، ولكن الله سيعكّرها. اذكري أنّك تقربين من قبرك يوما بعد يوم، كيف لا تقربين الموت وقد دبّ فيك منذ الآن؟ مالك تقضين وقتك كلّه في تأمّل جدران بيتك! ألّا ليت هذه الجدران تسقط عليك. يا شقيّة، ضعي الله في قلبك، واعلمي أنّ الموت معلّق فوق رأسك. تفو عليك أيّتها الضّفدعة السّامّة المؤذية!**"[1]

في هذا الحوار نجد الشّتم والسّبّ وإلقاء التّهم، وفي ذلك خرق لمبدأ الكيف، فحينما اتّهمت العجوز عيني بأنّها سبب الحسد الّذي لازم السّكان ردّت عيني بقولها: (أتظنّين...) فهي تُكذّب ما تعتقده العجوز على أنّه صحيح، كما يبدو أنّ عيني انتهكت مبدأ الطّريقة، فالأصحّ أن تكتفي بقولها (أفراحك فلست أعكّرها) وإنّما أرفقت ذلك بالدّعاء عليها وإلقاء الشّتائم، إذ جاء ردّها طويلا غير موجز(الطّريقة)، كما استعملت كلمات غامضة مقارنة بما قيل لها(أيّتها الضّفدعة السّامّة المؤذية) (مبدأ الطّريقة).

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص ص67، 68.

وعندما تقول مالكة الدّار: "– **الموت يأخذك أنت، ويأخذ أسرتك كلّها، ويأخذ جميع أقربائك! أنا هنا في بيتي يا لعّاقة الصّحون. سأريك من أنا. عيني: أنا أعمل لأطعم أربعة أفواه. فهل عملت أنت يوما واحدا من حياتك يأيّتها المرأة العقيم؟ طبعا لا..**"[1]

نجد أنّ كلام عيني غير متعلّق بكلام العجوز (مبدأ العلاقة) فالعجوز تدعو لها بالموت كما تدعو لجميع من لهم صلة بها بالموت كذلك، كما شتمتها ولقّبتها بلعّاقة الصّحون، بينما عيني كان ردّها بأنّها تعمل لتطعم عائلتها، إضافة إلى كونها عقيما، ولم تعمل يوما، وهو كلام مبطّن حتّى وإن قيل بشكل مباشر بهدف إسكات العجوز، وإنّما كان هدفها هو العزف على الوتر الحسّاس ليكون ردّها أقوى الرّدود على الإطلاق(هدفها تأثيريّ).

و في ردّ عيني على الجارة نجد خرقا لمبدأ العلاقة، حيث أجابت بكلام آخر وكأنّ فيه نوعا من استصغار لكلام العجوز، فقد أدركت أنّ كلام العجوز مجرّد كلام لا يحطّ من قيمتها و من عزيمتها، فقيمة الإنسان ليست بما امتلأت بطونه وإنّما بسمعته، وهذا ما تملكه عيني. والسّمعة الجيّدة تعطي الإنسان مكانة محترمة في المجتمع وليس في المواخير كما زعمت العجوز، وذلك ما يتجلّى في هذا الحوار: "– **أمثالك في المواخير، فهي المكان الوحيد الّذي يصلح لك وتصلحين له.عيني: نحن فقراء، ولكن سمعتنا نظيفة والحمد لله.**"[2]

وحين شتمت الجارة عيني ردّت عليها هذه الأخيرة بطريقة لا تتناسب مع كلام العجوز، إذ راحت تستحضر قصّة أخيها الّذي سُجن لتذكّرها بمساوئهم(خرق مبدأ العلاقة) فلا مناسبة بين قول العجوز (شحّاذة) وقول عيني(سجن الأخ...)، وذلك ما نلمسه في هذا الحوار: مالكة البيت:" **ما أنت إلّا شحاذة.**"[3]

عيني:" – **لعلّك تنسين يا بالوعة طافحة أنّ أخاك قد فطس في السّجن. كومة لصوص.**"[4]

وفي هذا الحوار الّذي يدور بين عيني وأولادها: "– **مريم، مريم. يا ربّ السّماء، تعالي كلي يا**

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 68.

[2] المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

[3] نفسه، الصّفحة نفسها.

[4] نفسه، الصّفحة نفسها.

مريم! ماذا تفعلين؟ لا شكّ أنّها خرجت، أفي هذه السّاعة، يا رب! آه ما أشقاني! ما أشقاني! ما بك؟ مريم:إذا كانت هذه النّسوة تتكلّم هذا الكلام كلّه، فلأنّها لا تعرف كيف تسكت. إلّا أنّ الموت أفضل من هذا. عيني: ألست جائعة؟ بلى. إذن فتعالي كلي. لماذا لم تناديني؟"[1]

في هذا الحوار نجد أنّ مريم لم تجب عن سؤال والدتها(ما بك؟) وإنّما أجابت بقول مخالف تماما عمّا سئلت عنه، فلا علاقة بين الحوارين(خرق مبدأ العلاقة). بينما في السّؤال الثّاني (ألست جائعة؟) فقد تمّ احترام جميع مبادئ التّعاون، إذ أجابت مريم بـ(بلى) فقد كانت إجابتها دون إطناب ولا إيجاز يخلّ بالمعنى(الكمّ) وكانت صادقة فيما قالته، كانت فعلا جائعة(الكيف)، وكلامها مناسب لطبيعة السّؤال(العلاقة)، لا غموض فيه، موجز ومختصر(الطّريقة).

نجد بعض الخصائص التّداوليّة واضحة كذلك في هذا الحوار الطّويل نوعا ما:"– **هذا للدّقيق، هل ترون كم سندفع ثمنا للدّقيق وحده؟ مريم: كم؟ كلّ هذا. مريم لعمر:انظر.. كلّ هذا ثمن للدّقيق وحده. عمر: طبعا يا غبيّة. كيف يمكن هذا؟ هكذا! إذن لن يبقى لنا بعد ثمن الدّقيق إلّا قليل، لن يبقى لنا شيء تقريبا. ذلك أنّ الكومة الثّانية لا تزيد على أن تكون عددا قليلا من قطع النّقد. عيني: هأنتم ترون كم يكلّفنا الخبز وحده. فلا تفكّروا إذن فيما عدا الخبز.. وإن كنتم تمنّون أنفسكم عبثا. مريم: لماذا لا تعملين أكثر ممّا عملت، حتّى نحصل على كومة كبيرة من المال؟ ألا ترين يا ابنتي أنّني لا أستطيع. مريم: نستطيع أن نشتري بعض اللّحم يا أمّي، هه؟ عظيم.. كسكسي باللّحم المسلوق مع المرق، ما رأيك؟ اسكتوا هذه المجنونة. اسكتي، اخرسي. ماذا تقولين؟ ألم أقتل نفسي قتلا بالعمل؟ أترين أنّ هذا غير كاف؟ من أين آتي بالمال حتّى نستطيع أن نأكل هذه الأشياء الّتي تذكرينها؟ قولي، إن كنت تعلمين.. يا ربّ، يا ربّ. أوف أوف. اسكتوها وإلّا صنعت بها.. أتريدون أن أعمل لصّة؟"[2]**

(كيف يمكن هذا؟ هكذا.) هي إجابة غير كافية، فلم يقدّم المعلومات الضّرورية سوى أنّه ترك السّؤال معلّقا وبقي الأمر غامضا في ذهن مريم(إجابة عمر أخلّت بمبدأ الكمّ)، وهذا يؤدّي بمريم إلى استنتاج أنّ عمر أيضا لا يعلم سبب ذلك، سوى أنّه يعلم أنّ هذا هو الّذي يحدث، وعليهم أن يرضخوا لذلك.

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص ص70، 71.

[2] المصدر نفسه، ص ص81، 82.

(ما رأيك؟) المفروض أن تقول لست موافقة أو أنا ضدّ هذه الفكرة، أجابت عن سؤال مريم بجمل طويلة مشحونة بالغضب لا إيجاز فيها(خرق مبدأ الكمّ)، كما أنّها استعملت كلمات غامضة بالنّسبة لأولادها فهم مازالوا صغارا لا يفهمون معنى ذلك خصوصا مريم صغراهم "– **أتريدون أن أمضي مع الذّكور في المدينة الواطئة أهو ذنبي أنّنا لا نستطيع شراء شيء آخر؟**"[1] (خرق مبدأ الطّريقة)، والكلام مستويات مختلفة من حيث الاستعمال، كما أنّ مستوى الفهم والتحليل يختلف أيضا، فما نخاطب به الكبير لا نخاطب به الصغير:« فبناء على معرفة المتكلّم بمن يكلّم، أي بالسّامع يقوم باختيار الكلام المناسب في المكان والزّمان والمقام المناسب.»[2] كما يعدّ معيار فهم الكلام جوهريّا في العمليّة التّخاطبيّة، فبيان المعاني هو:« الغاية القصوى من الاستعمال اللّغويّ.»[3]

وفي حوار آخر نجد المبدأ الّذي تمّ خرقه هو مبدأ الطّريقة من خلال قول عيني لابنتها عيّوشة قولا غير موجز، فكان بمقدرتها أن تقول(صحيح لابدّ من مزيد من الماء أو صحيح لابدّ من ذلك). في ردّها طول الكلام للدّليل على كثرة الحاجة إلى الماء.:"– **عيّوشة: يستحيل ترطيب الجوّ في هذه الشّمس المحرقة. لابدّ من مزيد من الماء. عيني: لابدّ من الماء،لابدّ من ماء كثير. نحن هنا في جهنّم بل أشدّ. انزلوا إلى تحت وأتوا بما تستطيعون الاتيان به من ماء، هيّا عجّلوا ولا تبطئوا.**" [4]

يتواصل التّمرّد على قاعدة العلاقة، ويظهر ذلك من خلال كلام عيني مع أبنائها، ونضرب هنا مثالا آخر من تلك الحوارات: "– **عمر: لاداعي إلى هذا، فالشّمس لن تنقطع عن تسخين الجوّ مهما نصبّ من ماء.مريم: أأظلّ أذهب وأجيء طوال الوقت، أحمل الماء وأصبّه على الأرض؟ إنّ الدّرج أسوأ من سلّم.. وقدماي تنقليان من فرط السّخونة.. عيني: ماء، لا تتوقّفوا.. فكفّوا عن ضحككم فورا.**"[5]

---

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 82.

[2] بشير إبرير، مفهوم التّبليغ وبعض تجلّياته التّربوية في التّراث اللّسانيّ العربيّ، مجلّة التّواصل، العدد 2، المجلّد 9، عنّابة 2003. ص66

[3] تمام حسّان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ط1، دار الثّقافة، المغرب1994. ص34.

[4] محمّد ديب، المصدر نفسه، ص 63.

[5] نفسه، ص ص 63، 64.

تبدو عيني في كلامها غير مبالية بكلام أبنائها، خصوصا ما تشعر به مريم من فرط السّخونة، فلم تستمع إطلاقا لما قالته، حيث أصرّت على إحضار المزيد من الماء، إجابتها كانت دليلا على رفضها التّوقّف، وبهذا يكون كلامها مختلفا تماما عمّا قالته مريم وغير مناسب، وهنا تمرّد واضح بقولها:" فكفّوا عن ضحككم فورا"

" – **قالوا لها: في وسعك أن تركضي.عيني: عمر، حذار. سوف تندم. تعال إلى هنا. خير لك أن تجيء. هذه أنا يا عمر، هذه أنا نفسي، هذه أنا. لن يضيرك الانتظار. إنّني ازعجك.**"[1]

كلام عيني يبدو واضحا أنّه انتهك مبدأ العلاقة، فلا مناسبة بين ما قاله الأبناء– ظاهريّا– حيث راوغ الأبناء والدتهم وهمّوا بالهرب ثمّ طلبوا منها أن تمسك بهم إن استطاعت الرّكض، وهي بدورها تتوعّد عمر بدفع ثمن ذلك، وأنّ تلك المراوغة لن تنفعه أبدا فجزاؤه آت لا محالة. فعوض الرّكض أصدرت عيني تحذيرا لا علاقة له بما طُلب منها.

تظهر في المدوّنة مجموعة من الحوارات الّتي جرت بين عيني وعيّوشة وفي مواقف مختلفة، منها ما يتوافق مع شروط مبدأ التّعاون ومنها ما يخالفها. ففي هذا الحوار قد تحقّق مبدأ التّعاون بجميع فروعه:"– **لن نبقى على هذه الحال يا عيّوشة. احرسي أنت الأولاد، وأغيب أنا. لقد قرّرت أن أذهب إلى عوجة. سآتي بعدد آخر من قطع الحرير. كثير من النّساء يذهبن بغير انقطاع. فلماذا لا أذهب أنا أيضا؟ إنّ أختي ماما لا تسافر عبثا. ما من أسبوع إلّا وتسافر مرة على الأقلّ. أتظنّين أنّ هذه السّفرات لا تعود عليها بالنّفع؟ أكانت تترك عجوزها وأولادها وتقوم بهذه الرّحلات كلّها لولا أنّها تجني منها ربحا؟ لاشكّ أنّها تكسب مالا. وهذا مؤكّد. سأذهب أنا أيضا. وستتولّين أنت حراسة الأولاد أثناء غيابي. نعم يا أمّي.**"[2] لقد استخدمت عيّوشة جملة واحدة" نعم يا أمّي" أجابت بها عن كلّ أسئلة والدتها، فهذه الجملة تتوافق معها، إذ نستطيع تفكيك هذا الحوار وفي كلّ مرة نضع إجابة عيّوشة وتأتي موافقة تماما لها، فقد استخدمت القدر المطلوب من الكلمات (الكمّ) وكانت صادقة في كلامها، كما أنّ هذا الأخير مناسب لما قيل(العلاقة) وإجابتها مختصرة وموجزة لا غموض فيها. فهي تعلم تماما ما قالته.

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 65.

[2] المصدر نفسه، ص 78.

وقد توالى خرق مبدأ التّعاون في بقية الحوارات، كما تنوّعت القواعد الّتي أُسقطت. نذكر على سبيل المثال هذا الحوار الّذي استخدمت فيه عيني كلمة غريبة وغامضة في غير محلّها وهي " الخيرات" ووفقا للمقام فتلك الكلمة تعني المصائب(خرق مبدأ الطّريقة):"- **عيوشة: صه! عيني: ماذا؟ انطقي؟ قولي ما تريدين أن تقوليه، ثمّ اهدئي. لا يا أمّي. يجب أن لا يعلم الجيران بالأمر. أخاف من أعينهم! خذي القادوس، ولنصعد إلى الغرفة. ما نحن في حاجة إلى مزيد. لقد أجزل الله لنا العطاء، وأنعم علينا بجميع الخيرات. حسبنا ما عندنا منها، لقد أصبحنا لا نعرف أين نضعها. لقد آذتنا العين الحسود بما فيه الكفاية وأكثر.. هه..هه..صحيح يا مّا. إنّ الإنسان لا يستطيع أن يفعل في هذا البيت شيئا دون أن تتجسّس عليه ثلاثمائة عين."**[1]

ونجد ذلك في هذا الحوار أيضا: "- **عيّوشة: سترين يا مّا. سترين، ستدهشين، ستدهشين كثيرا. مريم: يامّا، يامّا، تعالي شوفي. عيني: ماذا؟ ماذا يوجد؟ ما الّذي جرى في بيتي؟ إنّني لم أخرج إلّا منذ لحظة، إنّني لم أغب إلّا مدّة الذّهاب إلى العين والإيّاب فورا، فمالي أرى كلّ شيء قد اضطرب وانقلب. أكاد أنكركما ولا أعرفكما. ماذا حدث؟ قولا؟ بنتاها: تعالي، تعالي انظري بعينيك.عيني: في أيّ جهة أنت؟ مريم: يامّا، يامّا. عيني: لاشكّ أنّ شيئا قد وقع. لقد جنّت بنتاي. ماذا يوجد؟ هل تنويان أن تتكلّما أم لا؟ مريم: يامّا، يامّا، عيني: غبيّة، بلهاء... ما لها تصيح هذا الصّياح: يامّا، يامّا؟ مريم: يامّا، يامّا. ماذا؟**[2]

لقد طلبت عيّوشة من والدتها أن تأتي لترى (تعالي، شوفي)، بينما عيني أكثرت وبالغت في الأسئلة، فلو ذهبت دون كلام لتبدّى لها كلّ شيء، أو على الأقل لو اقتصر ردّها بـ(ماذا) لكانت قد أوجزت واختصرت كلامها(خرق مبدأ الإيجاز). كما صدرت منها كلمتان غريبة (غبيّة بلهاء) (خرق مبدأ الطّريقة).

يكشف الحوار الموالي عن الحالة المزاجيّة والثّقافيّة للمتخاطبين دون إغفال قيمة اللّفظة وكيفيّة نطقها، وقد تبيّن ذلك من خلال الرّدّ التّاليّ:"- **عيّوشة: إنّه ليس جميلا جدّا.. عيني: كوليرا**

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 91-96.

[2] المصدر نفسه، ص ص 92، 93.

تأخذك.. ما هذا الكلام وأنت في هذه السّنّ.[1]

جاء ردّ عيني غريبا عن موضوع الحديث، فالبنت قدّمت وصفا لذاك الرّجل الّذي أحضر الطّعام بأنّه ليس جميلا، لكن عيني ردّت بكلام غامض وغريب يحمل معنى الشّتم والغضب. بهذا يكون كلامها مخالفا لمبدأ الطّريقة الّذي يجب فيه أن يكون الكلام بعيدا عن الغموض واللّبس. فقد كشفت تلك اللّفظة عن طبيعة عيني، كذلك عن نوع من المحظورات في المجتمع الجزائريّ، إذ لا يجوز لفتاة صغيرة أن تتحدّث عن الرّجل سواء بالإيجاب أو بالسّلب.

وفي حوار مطوّل لعيّوشة مع والدتها تروي فيه تفاصيل الرّجل الّذي أحضر لهم القفّة، ردّت عيني بقولها: "– **ابن لالا خيرة. يا للمصادفات. أخرج في اللّحظة الّتي يجيء فيها.**"[2] عبارة (أخرج في اللّحظة الّتي يجيء فيها) لا مناسبة بينها وبين ما ذكرته عيوشة يستلزم منها معنى التّمني و الرّغبة في رؤيته(خرق مبدأ العلاقة).

بعد الأخذ والرّدّ بين الأمّ وابنتها، يأتي كلام عيني: "– **أظنّ أنّه يجب أن أدعو زينة لترى.**"[3] ليبيّن جانبا آخر من شخصية عيني ممثّلا في طابعها الإنسانيّ، إذ عبّرت عن رغبتها في مشاركة غيرها فرحتها كما شاركتهم أحزانها من قبل، إذ ودّت لو تشاركها جارتها زينة فرحتها، على عكس ابنتها الّتي عارضت الفكرة بقولها:" **هذا رأيك؟ لا أدري..أمّا أنا فلا أرى هذا الرّأي.**"[4]

يكشف هذا الحوار عن سذاجة البنت بسبب خوفها من زوال تلك النّعمة إن شاركتها مع غيرها(وفرة الأكل الّذي أحضره قريب والدتها) تحت مسمّى(العين)، فرغبت باحتكارها. يكشف كلام عيوشة عن عمق الذّات وكيفية تكوينها، فهي شخصية تؤمن بأنّ مصيرها مرتبط بغيرها، وهي أنموذج التّفكير الجزائري والعربيّ عامّة.

إذا ألقينا نظرة على هذا الحوار من المنظور الغرايسي نجد أنّ مشاركة عيّوشة في الكلام لم تكن بالقدر المطلوب، فقد أجابت بكلام غير موجز(مبدأ الطّريقة) كان عليها القول ببساطة (لا)،

---

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص95.

[2] المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

[3] نفسه، ص96.

[4] نفسه، الصّفحة نفسها.

فالأمّ طلبت رأيها، هي بدورها تقدّمه موجزا وواضحا، كما إنّها استعملت جملة(لا أدري)، وبعدها ناقضت قولها بالرّفض، ففي البداية عيّوشة لم تكن صادقة و لم تصرّح بكل نواياها، إذ قالت عكس ما تعتقد(الرّفض) وهذه الجملة فيها خرق لمبدأ الكيف.

وفي موقف مخالف تماما لما سبق جرى الحوار التّاليّ بينهما: "– **تقولين...إنّ الإنسان يظلّ يعمل، حتّى إذا أصبح لا يقوى على العمل، انتهت حياته.. قد يكون هذا خيرا، ولكن في بعض الأحيان قد لا..عيني: قد لا يكون خيرا؟ كيف لا يكون خيرا؟ الإنسان الّذي أصبح عبئا من الأعباء، الّذي يأكل على حساب الآخرين، الّذي يحتاج إلى من يخلع له ثيابه... كيف لا يكون موته خيرا وخاصّة حين يكون الآخرون فقراء؟**[1]

تريد عيّوشة في هذا الحوار أن تستثني جدّتها من كلام عيني الّذي مفاده أنّ كلّ من لا يقوى على العمل يكون عبئا، وعيني بدورها تنفي ذلك، إذ إنّ الفكرة تنطبق على الجميع بمن فيهم الجدّة. وجاء كلام عيني في جمل طويلة محاولة إقناع ابنتها بما قالت، والّذي يمكن أن تختصره في(بلى)، هي جملة فيها انتهاك لمبدأ الإيجاز(الطّريقة).

يتواصل مسار حوارات عيني، وهذه المرّة مع جارتها زينة، وقد جاء كلامهما حول زوج الجارة كالتّاليّ:"– **قالت عيني: لا شكّ في أنّه كان ذا قوّة وكفاءة زينة: كانت له أفكاره. لم يكن ثمّة ما نأخذه عليه. كان يريد أن يسير على ما تمليه عليه أفكاره وحافظ على شرفه وكرامته. لم يكن ثمّة ما نأخذه عليه.**"[2]

لقد ذكرت عيني قوّة زوج زينة وكفاءته، فحين قالت عيني ذلك كانت متأكّدة ممّا قالته، وعلى زينة أيضا أن تقول (نعم إنّه كذلك)، ولكنّها ردّت بكلام طويل ينمّ عن حماسها فكان بعيدا عن كلام عيني، حيث أخلّت بمبدأ الإيجاز(الطّريقة) إذ أدخلت في كلامها الأفكار والشّرف والكرامة، وأنّه لم يكن في وسعه عمل أيّ شيء. وفي ردّها أيضا كلام يزيد عن القوّة والكفاءة الّتي ذكرتهما عيني.

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 87.

[2] المصدر نفسه، ص ص 46، 47.

وفي حوار آخر تحاولان الوصول إلى الحقيقة بالاعتماد على تقنية المساءلة، "**قالت عيني: – إذن لم يكن الذّنب ذنبه. زينة: طبعا ..لا.. من ذا الّذي قال أنّ الذّنب ذنبه؟ إذن كان الذّنب ذنب من؟ تسأليني الذّنب ذنب من؟عيني: نعم، الذّنب ذنب من؟ روحي ابحثي كان الّذنب ذنب من؟**"[1]

في هذا الحوار يحاول الطّرفان الوصول إلى الحقيقة بالاعتماد على تقنية المساءلة، وفيه خرق لمبدأ من مبادئ التّعاون وهو مبدأ الكمّ، يظهر ذلك في طول الكلام، فزينة هنا ردّت بسؤال آخر، لأنّها كانت واثقة من إجابتها لعيني، وكان من الممكن أن يكون جوابها بكلّ بساطة" طبعا لا.." ولكن زينة فضّلت أن تطيل في الكلام حتى تسقط الذّنب على زوجها بالتّأكيد على ذلك، وإقناع عيني بذلك، كما هو مبيّن في قولها:" إذن لم يكن الذّنب ذنبه."

تنادي عيني زينة قائلة:– **زينة، زينة، زينة. زينة: من يناديني؟ عيني: ..نحن ننتظرك.. تعالي.**"[2]

حين نادت عيني الجارة زينة ردّت الأخيرة بـ(من يناديني)، وعيني أجابت: (نحن ننتظرك.. تعالي) هنا جواب عيني غير مرتبط بسؤال الجارة، من المناسب أن يكون الجواب مثلا (أنا عيني)، ويبدو في هذا الجواب خرق لمبدأ العلاقة، نستنتج منه أنّ المقام سمح للجارة أن تدرك من المنادي أو من المقصود بذلك الصّوت.

هناك حواران آخران دارا بين عيني والجارة زينة في موضعين مختلفين، وتدور فكرة الحوار الأوّل حول الفقر الّذي يعاني منه النّاس وحرمانهم من أبسط أنواع الأكل الّتي لا تكاد تكلّف شيئا، إذ تشرع الجارتان في إقامة حوار مشترك لموضوع يهمّهما، كان حول معيل واحد لكل أسرة لا يكفي لسدّ جوعهم، فهو جهد كبير مقابل قطع نقديّة قليلة لا تكفي لدفع ثمن الخبز. والنّاس مشغولون فقط بإيجاد فرصة للعمل، وربّما عندما ينجحون في ذلك يجدون أنفسهم لا يستطيعون الحصول على أبسط حقّ من حقوقهم الأساسيّة الّتي به تحفظ كرامتهم. كما دار الحوار أيضا حول زوج الجارة الّذي زُج به في السّجن لا لسبب إلّا أنه طالب بذلك الحقّ.[3]

---

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص47.

[2] المصدر نفسه، ص96.

[3] ينظر: نفسه، ص39.

استهلّت الجارة الحوار بسؤال عيني"- **تغدّيتم؟**"[1] وعلى الطّرف الآخر من الحوار نجد عيني أجابت بنقض كلام الجارة بفكرة شاعت بين النّاس عبّرت عنها بقولها" - **إنّنا نقضي وقتنا في خداع الجوع**"[2]، وأردفت قولها بتشكيلة من الكلمات في مقابل سؤال واحد من جارتها، ففي الحالات العاديّة حينما يطرح سؤال مثل هذا يردّ عليه بـ"نعم" ولكن عيني عمدت إلى خرق مبدأ الكمّ، لأنّها قدّمت معلومات أكثر ممّا هو مطلوب. بينما نجد في الحوار الثّانيّ:"- **لن يهدأ بالي إلّا حين أعلم. سأقول لك كلّ شيء. يظنّون أن أحدا لم ير شيئا. لقد رأوها. وأراد مراد أن يقتلها، فجرحها. كلبة.. كلبة.. زينة: تفو.. عيني: أأنت على يقين؟ لقد سمعت بالأمر. ولكني لم أشأ أن أصدّق شيئا. يجب على المرأة أن لا تفتح عينيها إلّا لتنظر إلى رجل واحد وهو زوجها. ينبغي أن نقيم جدارا منيعا بين الفتاة وبين العالم.**"[3] نجد انتهاكا لمبدأ الكيف في الجملة" لقد سمعت بالأمر. ولكني لم أشأ أن أصدق شيئا"، فقد أجابت دون أن تكون على يقين بما قالت. فحينما سألتها عيني "أأنت على يقين؟" تجيب بنعم حتّى يتوافق كلامها مع مبدأ الكيف، وإنّما هي راحت تقول سمعت بالأمر، هنا نقلت كلام الآخرين فلم تر شيئا ممّا قيل ولا دليل على ما قالت.

وفي أنموذج آخر للأداء التّواصليّ بين عيني ومنصورية، نرصد هذا الحوار: "منصوريّة: - **تكلّمت اليوم كثيرا، تكلّمت أكثر ممّا ينبغي. لا تؤاخذوني ولكنّني لا أريد أن تمسكوا بي. لقد شكرتكم وحييتكم، ويجب حقّا أن أذهب.عيني: صحيح... ابقي يا ابنة عمّي. لن تذهبي بعد أن جئنا بالطّعام. ابقي. هل ينتظرك في بيتك عمل من الأعمال؟ لن تذهبي. لئن كان الطّعام لا يكفينا جميعا، فليس لهذا قيمة. الغداء قد حضر، الطّعام قد غرف، وسيؤكل كلّه سواء أبقيت أم ذهبت.. يستوي أن نكون خمسة أو ستّة.. إنّه ليسرّنا أن تبقي. سيسرّ الأولاد كثيرا ببقائك.ابقي. ليس وراءك أيّ عمل. لن تذهبي. لئن كان الطّعام لا يكفينا جميعا، فليس لهذا قيمة. سيسرّنا أن تبقي.. سيفرح الأولاد ببقائك.. منصوريّة: نعم، هو ذلك.عيني: عودي لزيارتنا.**"[4]

إنّ جملة (نعم، هو كذلك) لا تتناسب مع طلب عيني، هذه الأخيرة تطلب من منصورية البقاء ومشاركتهم الطّعام، لكنّها لم تردّ بالرّفض (لا)، بل همّت بالانصراف، فلا مناسبة بين كلام المرأتين (خرق مبدأ العلاقة). إن قالت (نعم، هو كذلك) فهذا يعني أنّها لبّت الدّعوة ومع ذلك غادرت، كما

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص39.

[2] المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

[3] نفسه، ص ص 50، 51.

[4] نفسه، ص 104-106.

يدلّ ذلك على أنّها متردّدة، ففي قرارة نفسها تريد البقاء، وعيني من باب اللّباقة وحفاظا على العلاقة بينهما، وكذلك وصفها أساسا للتّعاون طلبت منها أن تعود لزيارتهم. هو كلام جيء به في غير مناسبة، لا يتناسب مع قول منصوريّة الّذي فيه تردّد، فالكيفيّة الّتي قالت بها كلامها فيه نوع من الكذب والتّناقض مع ما تريده فعلا (مبدأ الكيف) قول عيني قد حسم الأمر فغادرت منصوريّة. فهي من جهة تريد البقاء ولا تريد أن تشاركهم طعامهم من جهة أخرى. وعيني لمّا لجأت إلى اللّباقة كان من باب:« إكثار من ربح الغير(...) وقاعدة اللّباقة بمنزلة خطط ترفع كلّ ما من شأنه أن يوقع النّزاع أو يمنع من التّعاون.»[1]

ينطلق محمّد ديب من مبدأ تعدّد أطراف الحوار، كما حدث في كثير من الحوارات من بينها حوار عيني والعمّة حسنة وعمر. فهو لم يسر على نهج واحد وإلّا جاءت على نسق واحد تتماثل في الطّروحات، بل اتّخذ طريقة الصّراع في الكثير منها. والحوار الّذي بين أيدينا يلخّص ما ذكرنا. وقد جاءت فكرته حول سؤال العمّة حسنة عيني عن سبب عزوفها عن زيارة قبر زوجها، فما لبثت حتّى أقحمت عمر في حوارهما لتستعلم عن أحوال عمله عند أحد الحلاقّين، فصارحها عمر بأنّ هدفه هو تحصيل العلم من أجل العمل وضمان عيش كريم له وليس له أيّ هدف آخر غير ذلك. هنا يشتدّ الحوار ويتحوّل بلغة شديدة العنف من قبل العمّة نحو عمر، وبعدها يسوق الحوار صورة أخرى من صور معاناة عيني وهي تحاول خوض تجربة الدّخول في عالم تهريب القماش على الحدود الغربيّة للجزائر بعدما أحاط بها العوز المهين، وهنا تردّ العمّة بما يجعل الخطر أكبر عليها وتسوء حالتها أكثر ممّا كانت عليه، فتزداد حالة اليأس من جهة والرّغبة في المجازفة من جهة أخرى. ثمّ أخذت العمّة تسوق مشهدا من مشاهد عرس ابنتها الّذي سيقام، ليبدأ الحوار بينها وبين عيني وعن واجبات هذه الأخيرة في هذا العرس، ليتحوّل في الأخير إلى حوار عن حميد سراج.[2]

وفي هذا الحوار نجد طغيان الشّكوى وذلك لإظهار مكانة الآخر في نفس المخاطِب. تقول عيني:"–**تعالي، لماذا لا تدخلين؟ اجلسي هنا. العمّة: هاتي. ولكني ما جئت هنا لأعسكر شهورا. لقد أتعبني الصّعود كثيرا. أف ..لم يبق لي من القوّة ما يمكنني من الوصول إلى هنا، يا أختي.**

[1] طه عبد الرّحمن، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقليّ، ص ص 246، 247.

[2] ينظر: محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 54–62.

دعي، دعي. يريحني القعود هنا عند الباب: لا أدري كيف تستطيعون أن تعيشوا..أف..أف."[1]

إنّ إجابة العمّة طويلة جدّا، وبذلك تمرّدت على مبدأ الكمّ، فكان بإمكانها أن تقول يريحني القعود عند الباب وتكتفي بذلك، لأنّها قريبة عيني ومؤكّد أنّها تعلم ما تعانيه في سنّها، كما أنّ الصّعود إلى غرفة عيني يحتاج إلى جهد للوصول وامرأة في سنّها أكيد ستتعب، فلا تحتاج إلى كلّ ذلك الكلام لتبرّر سبب جلوسها عند الباب. والقصد الّذي نستطيع الوصول إليه هو إظهار مكانة عيني عند العمّة، فلولا مكانتها لما كلّفت امرأة مسنّة نفسها عناء زيارة عيني وتفقّد حالتها بين الحين والآخر.

لمّا وصلت العمّة عند عيني، رحّبت بها هذه الأخيرة، سائلة عن حالها وحال أقاربها، لكنّ العمّة لم ترد عن هذه الأسئلة، بل خاطبتها بجملة: "- **إذن فقد عدلت عن الذّهاب إلى المقبرة عدولا تامّا؟**"[2] وبهذا يكون الكلام قد خرج عن مبدأ العلاقة، إذ يبدو المقال غير مناسب تماما لا للمقام ولا لمضمون الحديث، فقد ألقت بهذه الجملة إلقاء مباشرا دون أن تهيّء لها مناسبة للخوض فيه، إذ كان الحديث عن شيء وحديث العمّة عن شيء آخر.

صحيح عند الوقوف أمام هذه الجملة تبدو في البداية كأنّها قطعت مسار الحوار المنظّم، ولكن ماهي إلّا حلقة وصل لعقد حديث مطوّل بين الطّرفين، وبهذا ضمنت سيرورته. إنّ قول عيني "- **ما عساي صانعة هناك يا لالا؟ إنّ أعمالي كثيرة. إنّ الرجل الّذي يمكن أن أزور قبره لم يترك لي لا مزارع ولا بيوتا فأبكيه. من مات ارتاح.**"[3] هو قول غامض بالنّسبة لما قيل، كان على عيني أن تتوقّف عند قولها "إنّ أعمالي كثيرة" أو تكتفي بالجملة الأولى، بل أخذت تشتكي من زوجها الّذي تركها في فقر مدقع، وكأنّما قولها يدلّ على أنّ زوجها لا يستحق أن تزوره في قبره، فذلك مضيعة لوقتها فقط، وهو كلام غير موجز بالنّسبة لسؤال العمّة وغريب أيضا بالنّظر إلى مضمون السّؤال، فقد انتهك قولها مبدأ الطّريقة الّذي يشترط فيه الإيجاز والوضوح.

صدرت من العمّة حسنة جملة غيّرت مجرى الحديث تماما، فقد كان الحديث عن حميد سرّاج و سعي الشّرطة في البحث عنه لاعتقاله، وكان ذلك عن طريق تلفّظها استفهاما: "- **أين**

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 54.

[2] المصدر نفسه، ص55.

[3] نفسه، الصّفحة نفسها.

البنات؟"[1]. في هذا القول لم تحترم العمّة مبدأ من مبادئ التّعاون، لأنّ كلامها غير مناسب لموضوع الحديث وهو خرق لمبدأ العلاقة.

كان لحال المتحاورين الأثر الواضح في كيفيّة النّقاش حول مجموعة من المواضيع، وتفاعل بقيّة الأطراف (عمر) حياله، استطاع من خلاله محمّد ديب تقديم مشهد حواريّ تقاطعت فيه الآراء دون الوصول إلى اتّفاق(رغبة عمر الّتي تتعارض مع رغبة والدته والعمّة) وتجسّد ذلك المشهد في هذا الحوار: "– **وهذا، أهو ماض في إتقان المهنة؟ لن يتحسّن الحال إذا يجئك بعشرة ملاليم. ماهذا الصّبيّ إلّا أنثى، بل أنّ الأنثى لخير منه. إنّه يظلّ مدسوسا في البيت طوال الوقت. مسكينة أنت يا عيني.. إنّك ضحيّة هؤلاء الأولاد يمتصّون دماءك بلا رحمة. إنّك لن تصلي بمعونتهم إلى شيء البتّة. قال عمر: أنا أذهب إلى المدرسة وأتعلّم أشياء كثيرة.. إنّني أريد أن أتعلّم، حتّى إذا كبرت ربحت مالا وفيرا.**"[2] تدخّل عمر كطرف ثالث في الحديث ليقول كلاما غريبا بالنّسبة للعمّة الّتي لا تؤمن إلّا بالعمل من أجل العيش، هو كلام غير مناسب لما قالته، فقد كانت تتحدّث عن عمل عمر في محلّ الحلاقة كمساعد، وعمر ردّ بكلام لا علاقة له بما قالته، ليبرز قصدا ضمنيّا مفاده أنّه قد ترك العمل. ومن جهة أخرى فإنّ هذا الكلام غريب بالنّسبة إليها هو مجرّد ترهات تفوّه بها الولد(كلام عمر لا يتطابق مع مبدأ الطّريقة والعلاقة).

نلاحظ أنّ العمّة قد ردّت على كلام عمر بكلام متشعّب تتخلّله كلمات غريبة وانتهك فيه مبدأ الإيجاز، إذ قالت كلاما يزيد عن كميّة المعلومات الواجب قولها لعمر. وفقا لمستوى فهم العمّة وما تؤمن به كان يمكن أن تختصر كلامها كلّه في جملة تكون على قدر المطلوب دون زيادة(عليك أن تعمل عوض أن تتعلّم) بهذه الجملة ستوصل ما تريده لعمر دون إطناب في كلامها، لكنّها عمدت إلى قول كلمات غريبة من سبّ وشتم للولد هزّت بدنه، (ردّ العمّة خرق مبدأ الطّريقة).

وجاء هذا الحوار الّذي تقول فيه العمّة: "– **وذلك التّنبال حميد سرّاج هل صحيح أنّ السّلطات ألقته في السّجن؟ عيني: لا، يا لالا.**"[3] جاء قصيرا وقائما على ردّ سريع وإجابة سهلة بعيدة عن الغموض، وفيه قام الطّرفان بالإسهام في التّواصل بطريقة يقتضيها الهدف التّواصليّ الّذي من أجله

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص56.

[2] المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

[3] نفسه، ص 60.

تمّ الخوض فيه، وبه تمّ احترام مبدأ التّعاون. فالإجابة تقتضي قول نعم أو لا وفعلا تمّت الإجابة على هذا النّحو.

يعود بنا محمّد ديب إلى جوّ الأسرة، ليقدّم لنا مشهدا حواريا آخر جمع بين عيني وعيوشة وعمر، يركّز مضمونه على معاتبة الأبناء لوالدتهم على سوء معاملتها لوالدتها من جهة، والوالدة بدورها تبرّر سبب ذلك.[1] والوصول إلى هذه النّقطة من الحوار كان قد سبقته حوارات أخرى تصف ما انتهى إليه سلوك الوالدة.

وفي ميزان التّداوليّة تمّ الخرق لعدد من المبادئ الّتي يقوم عليها مبدأ التّعاون، وأوّل هذه المبادئ هو مبدأ الطّريقة، فحينما سأل عمر وعيّوشة والدتهما عن السّبب وراء معاملتها السيّئة لجدّتهما، أخذت الأمّ تردّ بكلام غير مباشر فيه انتهاك لأحد مبادئ الطّريقة وهو الغموض، تخاطب عيني في هذا الحوار أطفالها بأسلوب يفهمه الكبار، مضمونه هو أنّ الإنسان الّذي يكون مستهلكا فقط يصبح عالّة على الأسرة والمجتمع(في نظر عيني)، هذا هو تفسير عيني لسبب معاملتها. في هذه الحالة يحقّ لنا أن نطرح السّؤال التّاليّ: كيف يكون الإنسان عبئا وهو فرد من العائلة؟ وهو سؤال مستحيل أن يفكّ شفراته طفل في سنّ عيّوشة وعمر، إلى جانب ذلك جاءت إجابتها طويلة جدّا مقارنة بمضمونها، فيها خرق لمبدأ الكمّ، باستطاعتها أن تختصرها. كما أنّها في البداية حاولت أن تنكر ذلك رغم معرفتها أنّ ما كانت تفعله فعلا سيّئا، ولكن أخذت تردّد:"– **أنا؟ أنا أسيء معاملة أمّي؟ متى أسأت معاملتها؟**"[2] بقولها هذا حاولت المراوغة وكأنّها تحاول أن تبرّئ نفسها من التّهمة الّتي ألقاها عليها ولديها، و في الوقت نفسه هو ردّ كاذب(خرق مبدأ الكيف)؛ لأنّها تقول شيئا غير صحيح، إذ أساءت لها مرارا وتكرارا وفي مواقف عديدة، ربّما تحاول إنكار ذلك لأنّ الأمر قد تجاوزها، فلم يعد بمقدورها أن تتحمّل أحدا، فالفقر رجّح التّطبع على الطّبع.

و ممّا سبق يمكن أن نجعل تكرارات خرق القواعد في الجدول التّاليّ، ونستنتج من خلاله أنّ خرق قاعدة الطّريقة كان أكثر ورودا في حوارات عيني يليه خرق قاعدة العلاقة ثمّ خرق قاعدة الكمّ.

---

[1] ينظر: محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 87.

[2] المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

حوارات عيني	احترام مبدأ التّعاون	خرق قاعدة الكمّ	خرق قاعدة الكيف	خرق قاعدة العلاقة	خرق قاعدة الطّريقة
تكرارات الخرق	4	10	5	14	18

2-3 حوارات نساء الدّار:

يلحّ محمّد ديب في روايته على بعض الشّخصيّات الّتي تجسّد موضوعا محوريّا، ومن بين تلك الشّخصيّات نجد حميد سرّاج الّذي صار حديث السّاعة عند سكان الدّار الكبيرة. وقد قدّمه على لسان نساء تلك الدّار، تروي أفكاره وشخصيّته في مشهد يجمع هذه الشّخصيّة النّضاليّة بموضوع ملازم لها؛ وهي لحظة إعلان الحرب. وانطلاقا من هذا يمكن توزيع كلامهنّ على حوارين، تدور فكرة الحوار الأوّل حول مجموعة من الأسئلة الّتي كانت تراود نساء الدّار عن حميد سراج الغامض بالنسبة إليهنّ، فهو يمثّل تلك الشّخصيّة المثقّفة، الّذي تشبّع عقله بالوعي السّياسيّ، فقد كان يمضي معظم وقته بين كتبه، وفي المقابل نجد سذاجة نساء الدّار اللّائي كرّسن حياتهنّ فقط لتغذية أجسادهنّ، ممّا حرّك لديهنّ شعورا غريبا تجاه حميد سرّاج، يَرين فيه غموضا مقارنة مع باقي الرّجال، فرحن يسألن أخته فاطمة. كما اتّخذ الحوار مسارا آخر أجرت فيه الجارة زينة مقارنة بينه وبين زوجها، حيث أسهبت في الحديث عنه في جملة من التّساؤلات الّتي بقيت مفتوحة ولم تجد جوابا لها.[1]

وهذا المقطع الحواريّ يجسّد جملة من تلك التّساؤلات:"- **كانت الجارات يسألن: أين تعلّم القراءة؟ تجيب فاطمة أخت حميد سرّاج: تعلّم القراءة بنفسه، وحده.. فإذا كنتنّ لا تصدّقن ذلك، فما عليكنّ إلّا أن تجئن لترين..**"[2]

إنّ السؤال هنا جاء بصيغة أين؟ والرّدّ عليه جاء جوابا عن كيف؟ وليس أين؟ وبهذا تكون إجابتها مخالفة لما سئلت عنه. كما أنّ ما قالته فاطمة مجيبة عن سؤال النّسوة انتهاك لمبدأ من مبادئ التّعاون وهو الكمّ، فإجابتها طويلة مقارنة بما يتطلّبه السّؤال، فقد كان بإمكانها أن تقول تعلّم وحده وتكتفي بذلك. فهو مقطع متميّز فعلا في عمق تعبيره عن المضمون والأفكار والمتخاطبين.

[1] ينظر: محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص42.

[2] المصدر نفسه، ص 44.

ويدعّم محمّد ديب الحوار السّابق بحوار آخر:"- **غريب أخوك يا فاطمة. إنّه ليس كرجالنا؟ فلماذا؟ لعلّه يريد أن يصبح عالما.**"[1] بالنّظر إلى كلام إحدى النّساء" لعلّه يريد أن يصبح عالما؟" لم تكن إجابة واضحة عمّا سألته فاطمة، يحمل من المبالغة ما يجعل من رجل يكثر من القراءة أن يصبح عالما، وطبعا هنا المقصود ليس أن يصبح عالما، كلمة عالم غريبة مقارنة بمضمون الحوار، فالمرأة جاءت بكلمة غريبة انتهاكا لمبدأ الطّريقة وعدم مراعاة الوضوح، فاطمة سألت لماذا والمرأة بدورها كان لابدّ عليها أن تجيب بـ:(لأنّه كثير القراءة) لكنّ المرأة أقحمت هذه الكلمة الغريبة لتضفي عدولا تامّا للمعنى انفلت من معناه إلى معنى آخر انبنى عليه قصد السّخرية.

في حين تدور فكرة الحوار الثّانيّ حول مضمون يصوّر مشهد إعلان الحرب، فحينما دقّ ناقوس الخطر وبدأت صفارات الإنذار تعلن اشتعال نيران الحرب، راحت نساء الدّار يتبادلن أطراف الحديث حول ذلك، وكانت هناك امرأة تعيش معهنّ تسمّى عاتكة، والّتي تعاني من مسّ، فقد جرت العادة أنّ هذه المرأة كلّما أصابتها نوبة اعتقد السّكّان أنّ ذلك نذير شؤم، وحدثت الصّدفة أنّ تزامنت إحدى نوباتها مع صفارات الإنذار فأحدث ذلك هلعا بين السّكّان.[2]

ومرّة ثانيّة وتعلّقا بالمنطلق الرّئيس القائم على التّساؤل لدينا المقطع الآتيّ من كلام عائشة العجوز: "- **أيفنى العالم كلّه إذن؟ نعم يفنى العالم كلّه أيّتها المرأة. العالم كلّه، ونحن أيضا؟ جاء يوم الحساب.. جاء يوم القيامة.**"[3]

هذا المقطع انتهكت فيه جملة (أيّتها المرأة. العالم كلّه ونحن أيضا جاء يوم الحساب جاء يوم القيامة) مبدأ الكمّ، فالكلام واحد والإجابة ليست واحدة، أي حسب ما يُسأل، بل نلاحظ أنّ المرأة تسأل سؤالا واحدا (أيفنى العالم كله؟) والجواب بإجابات كثيرة(العالم كله ...) وهو ما لا يحتاج إليه السّؤال، يكفي أن تقول (نعم أو نعم يفنى العالم كلّه). وطبعا هنا هي في مقام يستدعي أن تقول ذلك لتبيّن هول الحادثة.

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص45.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص ص 108، 109.

[3] نفسه، ص108.

وفي موقع آخر تقول النّساء: "– **هذه علامة على أنّ الحرب واقعة. حتما. أية علامة؟ ما وقع لعاتكة. إنه ليس علامة على شيء. هذا رأيك أنت. كفى خرافات، إنّها دائما هكذا، نحن نعرفها منذ مدّة طويلة. لماذا يكون هذا علامة على شيء؟**"[1]

نلاحظ أنّ هناك ردّين على كلام المرأة، الأوّل قد توافق تماما مع مبدأ التّعاون(حتما)، بينما الآخر جاء انتهاكا لمبدأين من مبادئ الطّريقة الأوّل يتمثّل في الإيجاز في حين يتمثّل الثّاني في الغموض، فالمرأة أسهمت في محادثة غريبة غير واضحة " كفى خرافات..."

وممّا سبق، يمكن إجمالا القول إنّ خرق مبدأ الطّريقة يساوي خرق مبدأ الكمّ، كما يلاحظ غياب خرق مبدأ الكيف ومبدأ العلاقة ولم يرد احترام مبدأ التّعاون إلا في حالة واحدة، وهذا الجدول يوضّح ذلك.

حوارات نساء الدّار	احترام مبدأ التّعاون	خرق مبدأ الكمّ	خرق مبدأ الكيف	خرق مبدأ العلاقة	خرق مبدأ الطّريقة
تكرارات الخرق	1	2	0	0	2

2-4 حوارات سي صلاح:

وفي الحوارات الّتي دارت بين سي صالح ومختلف المتخاطبين في الرّواية نجد حواره مع محمّد شرّاك كالتّاليّ:"– **اسمع يا محمّد.. كيف تجرؤ على أن تسلك هذا المسلك؟ هل يجوز لمسلم مؤمن أن يفعل هذا الّذي تفعله أنت الآن؟ انظر.. انظر في أيّة حال مزرية تضع نفسك أمام أعين جميع سكّان الحيّ الّذين يحبّونك يقدّرونك تقديرا عظيما.. ولماذا هذا كلّه؟ هل تعرف، أنت على الأقلّ، لماذا تسلك هذا المسلك؟ أجبني.. أجب.. أيّها التّعس! حياتي تنقضي بلا جدوى. ولن آسف عليها. أمّا المال فإليك هو.. خذ ما شئت منه.**"[2]

نجد أنّ كلام محمّد شرّاك لا يتوافق مع كلّ ما سأله سي صالح، الأوّل سأله عن السّبب الّذي دفع به إلى طريق السّوء، ولكن الثّاني كانت إجابته غريبة تماما، فراح يحدّثه عن حياته التّعيسة

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص108.

[2] المصدر نفسه، ص83.

وطلب منه أن يأخذ من المال ما شاء. هنا نلحظ أنّ كلام محمّد شرّاك خرق مبدأ العلاقة، فلا مناسبة بين كلام الرّجلين، ولا طريقة محمّد شرّاك واضحة ففيها غموض وغرابة وهنا نجد خرقا واضحا لمبدأ الطّريقة، وكأنّ محمّد شرّاك كان في عالمه تشغله فكرة ما، ولم يعر اهتماما لما قيل له.

ومن حواراته أيضا مع سكان الدّار، نجد هذا الحوار الّذي يقول فيه سي صلاح: "– **عودوا إلى بيوتكم. كلّ هذا الّذي حدث لا شأن لكم به. يجيبه آخر: هي الحرب مع ذلك. ليست الحرب بالأمر الهيّن. ويجيب ثالث: نعم هي الحرب. لا يمكن إنكار ذلك.**"[1]

يلاحظ أنّه حين ردّ الرّجل الأوّل من السّكّان للإجابة على سي صالح انتهك مبدأ العلاقة، فلابدّ أن يكون لكلامه علاقة مناسبة للموضوع، إذ نلاحظ أنّ سي صالح طلب الانصراف وعدم الاكتراث لما حدث، فردّ عليه بالإجابة الّتي لا يحتاجها، أمّا الجواب الثّاني هو ردّ لجواب الثّاني وفيه انتهاك لمبدأ الكمّ إذ يكفي قوله (نعم هي الحرب).

كما يمكن رصد احترام مبدأ التّعاون في هذا الحوار:"– **أصبح النّاس في أيّامنا هذه لايؤمنون بالله. أصبحوا لا يؤمنون بالله.. هذه كارثة. هي حقا كارثة.**"[2]

ونستخلص ممّا سبق ما يلي:

حوارات سي صالح	احترام مبدأ التّعاون	خرق مبدأ الكمّ	خرق مبدأ الكيف	خرق مبدأ العلاقة	خرق مبدأ الطّريقة
تكرارات الخرق	1	0	0	2	2

2-5 حوار لالا زهرة مع ابنتها منون:

في الحوار التّاليّ الّذي يدور بين لالا زهرة و ابنتها منون نجد انتهاكا لمبدأ الطّريقة والكيف:"– **الحمد لله على نعمه، لن أراهم مدى الحياة، لن أراهم يا أمّي..، ستشفين يا حبيبتي.. بعد شهر**

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص ص108، 109.

[2] المصدر نفسه، ص 109.

.. وستعودين إلى صغارك..إذا هدأت نفسك.. الطّبيب قال ذلك، أعرف أنّني سأموت .. يا أمّي .. لن أراك بعد ذلك.. ولن أرى أولادي.. لن أراهم، لن تروا بعد الآن أمّكم يا أولادي."[1]

وفيه نلحظ أنّ منون والدة لالا ردّت على ابنتها بكلام أكثر منه، فالابنة تبكي على فراقها لأبنائها والأمّ بدورها أرادت أن تخفّف من وجع ابنتها. كان عليها القول: حين تشفين سترينهم، ولكن هي قدّمت كمّا من الكلمات، و خرقت مبدأ الطّريقة بالإخلال بالإيجاز من جهة، كما أنّها لم تتأكّد من أنّ ابنتها ستشفى يوما ما أم لا، فلا برهان ولا دليل على صدق ما قالته. ووفقا لمبدأ التّعاون لا يجوز أن تقول جملة لا دليل فيها على أنّ الحقيقة لا تزال موضع شكّ من حيث حصولها. كما يدخل هذا في باب التأدّب مواساة لابنتها. وقد اشتمل التّعاون على هذا المبدأ كضابط آخر يستجيب لمقتضيات الحوار، فالمقام يقتضي ب:« تجنّب صيغ الأوامر والإلزام والقسر، إلى صيغ تنطوي على الرّفق واللّين والالتماس...»[2]

و هذا الجدول يبيّن مرّات الخرق، إذ نجده يقتصر على خرق مبدأ الطّريقة فقط، وذلك مرّة واحدة.

حوارات لالا زهرة مع ابنتها	احترام مبدأ التّعاون	خرق مبدأ الكمّ	خرق مبدأ الكيف	خرق مبدأ العلاقة	خرق مبدأ الطّريقة
تكرارات الخرق	0	0	1	0	1

2-6 حوار الرّجال في الشّارع:

يدخل حوار الرّجال في سياق الحديث عن شروط الالتحاق بالجبهة، أمّا مكان الحوار فهو الشّارع:"- **أأنت هناك يا كريمو؟ نعم، وأنت؟ أنا أيضا هنا؟ أهي الحرب أم ماذا؟ هي الحرب. هي الحرب يا قادر، يا زنيم، فما عساك صانعا؟ أصنع ما يصنعه سائر النّاس. نذهب إلى الجبهة. وهل تعرف على الأقلّ كيف تمسك بندقيّة؟ ما عساك صانعا إذا أعطيت بندقيّة؟"**[3]

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص ص 32، 33.

[2] هاتف بريهي شياع، أدب التّخاطب مبادؤه وقواعده واستراتيجيّاته، مجلّة العلوم الإنسانيّة، كليّة التّربيّة للعلوم الإنسانيّة، المجلّد 23، العدد 3، العراق 2016. ص5.

[3] محمّد ديب، المصدر نفسه، ص 111.

جاء الكلام في هذا الحوار بالكمّ والكيف المطلوبين و بين كلامهما علاقة مناسبة، والطّريقة جاءت موجزة وواضحة دون غموض، أمّا في هذا القول: "**تأتي أنت فتعلمني..**"[1] تمّ تجاوز المعنى الحرفيّ لمعنى آخر أو معاني أخرى؛ قد تعني أنت أيضا جاهل بالأمر، كما تعني أنا أعلم تماما كيف أمسك البندقيّة فلا أحتاج إليك. يظهر أيضا انتهاك لمبدأ الطّريقة، فالإجابة تحتمل قول (نعم أعرف)، ولكنّ المخاطِب لم يوجز في كلامه، بل تلفّظ بجملة غامضة تستند إلى مقام قوله ليفهم قصدها.

وقد حاولنا تجميع مواضع الخرق وعدده، فأجملناها في الجدول التّاليّ الّذي يشير إلى تساوي عدد مرّات احترام المبدأ وعدد خرق مبدأ الطّريقة.

حوارات الرجال في الشارع	احترام مبدأ التّعاون	خرق مبدأ الكمّ	خرق مبدأ الكيف	خرق مبدأ العلاقة	خرق مبدأ الطّريقة
تكرارات الخرق	1	0	0	0	1

2-7 حوار التّلميذ إدريس مع بقيّة التّلاميذ:

سأل أحد التّلاميذ إدريسا قائلا: "- **أكلت وحدك قطعة كبيرة من اللّحم هكذا؟ وخوخا مجفّفا؟. وعجّة بالبطاطس؟ وبازاليا باللّحم؟. وموزا؟** "[2] جاءت إجابة إدريس عن السّؤال مطابقة تطابقا حرفيّا لمتطلّبات السّؤال:" **أكلت قطعة كبيرة من اللّحم هكذا..وخوخا مجففا.. وعجة بالبطاطس..وبازاليا باللّحم.. وموزا..**"[3] إنّ المعنى هنا حرفيّ وصريح وفيه تحقّقت مبادئ التّخاطب(الكمّ، الكيف، الطّريقة، والعلاقة). وتسمّى هذه المبادئ بقوانين الخطاب، فمبدأ الكمّ يسمّى بقانون الإخبار، بينما مبدأ الكيف يسمّى بقانون الصّدق ومتعلّق بقول الحقيقة، في حين أنّ مبدأ العلاقة يسمّى بقانون الإفادة لأنّه متعلّق باستفادة المتلقّي من كلام المتكلّم.[4] والمبدأ الأخير

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة ، ص111.

[2] المصدر نفسه، ص17.

[3] نفسه، الصّفحة نفسها.

[4] ينظر: ذهبية حمّو الحاج، لسانيات التّلفّظ وتداوليّة الخطاب، ط2، دار الأمل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، تيزي وزّو2012. ص 190-193.

الطّريقة) قد سبق ذكره (قانون الشّموليّة)[1].

2-8 حوار الأستاذ حسن مع التّلاميذ:

نشير إلى حوار آخر جاء على لسان الأستاذ حسن وتلاميذه، و يتميّز بالقصر وعمق المعنى :"- **من منكم يعلم معنى كلمة: الوطن؟..قال إبراهيم: فرنسا هي أمّنا الوطن. ردّد التّلاميذ العبارة نفسها متنافسين.**"[2]

سأل المعلّم تلاميذه عن معنى الوطن، وكانت الإجابة صريحة ومباشرة من قبل التّلميذ إبراهيم (الوطن هي أمّنا فرنسا)، وتدخّل بقية التّلاميذ كطرف ثالث في الحوار بترديد الكلمة(التّلاميذ انقادوا نحو الإجابة). فإجابة التّلاميذ واضحة(الطّريقة)، وكانت صادقة (وفق ما تعلّمه وعلّموه إيّاه) فالصّدق مرتبط بصدق نوايا المخاطِب(اعتقاده) وليس بصدق مرجعيتها في الواقع: وهذا يدخلنا في قصديّة خارج الخطاب الرّوائيّ، كما أنّه استخدم القدر المطلوب من الكلمات دون زيادة(الكمّ) وأجاب إجابة ذات صلة وثيقة بسؤال المعلّم(العلاقة)، لذلك لم تتولّد دلالة مستلزمة فهو قال ما يقصده. ومنه تحقّق مبدأ التّعاون.

البحث هنا يقتضي الوقوف عند حدود الأطراف المتحاورة دون تجاوزهما، وإلّا حمل هذا الحوار بعدا وقصدا أبعد من ذلك بكثير يتمثّل ذلك في قصديّة المؤلّف وتأويل القارئ.

2-9 حوار سكّان الدّار:

اقتحم رجال الشّرطة الدّار بحثا عن حميد سرّاج أحد الرّجال الّذين ينشرون الوعي السّياسيّ في المنطقة، فدار أثناء ذلك حوار بينهم وبين امرأتين من سكّان الدّار.[3]

سألت امرأة رجال الشّرطة عن سبب مجيئهم قائلة:"- **ماذا تريدون** فردّوا عليها بقولهم: "- **ماذا نريد؟ أخلي الطّريق..**"[4] هذا الحوار لابدّ أن تكون فيه علاقة بين السّؤال والجواب، ولكن لا وجود في جواب الشّرطيّ لعلاقة مع السّؤال الّذي أعطته المرأة، فهي سألت بـ"ماذا" فلابدّ أن تكون

[1] ينظر: ص49 من الأطروحة.

[2] محمد ديب، الدّار الكبيرة، ص19.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص 30.

[4] نفسه، الصّفحة نفسها.

الإجابة بذكر سبب المجيء وليس " ماذا نريد أخلي الطّريق" فهذا انتهاك واضح لمبدأ العلاقة. والقصد هو أنّ السّبب معلوم والمرأة تريد التّمويه فقط، والشّرطيّ أدرك أنّ المرأة على علم بالسّبب، فلا يوجد سبب آخر لمجيئهم. كما يمكننا فهم قصد آخر هو: لم نأت لأجلك، فالأمر لا يعنيك.

من خلال هذا الحوار:" – **في أيّ غرفة يسكن حميد سرّاج؟**" " **لا تتعبوا أنفسكم أخي ليس هنا.**"[1] نلحظ أنّ فاطمة أخت حميد سرّاج أرادت أن تخبر رجال الشّرطة أنّ أخاها غير موجود، فجاء كلامها غير مطابق لسؤالهم فهم سألوا عن غرفته وليس عنه، حتّى وإن كان ضمنيّا هو البحث عنه، فالسّؤال لا يحتاج إلى هذه الإجابة، وإنّما يكفي فقط أن تشير أو تستعمل مؤشّرا مكانيّا" تلك" أو "هذه" فهو انتهاك لمبدأ العلاقة. والدّليل أنّ في مضمون الحوار فتّش رجال الشّرطة في غرفته عن أغراضه، فهم لم يسألوا عن حميد الشّخص، بل كان هدفهم البحث عن أدلّة تدينه.

واستخلاصا ممّا سبق نقول إنّ هناك خرقا واحدا يتمثّل في خرق مبدأ العلاقة، وهو ما نوضّحه في هذا الجدول:

حوارات سكان الدّار	احترام مبدأ التّعاون	خرق مبدأ الكمّ	خرق مبدأ الكيف	خرق مبدأ العلاقة	خرق مبدأ الطّريقة
تكرارات الخرق	0	0	0	2	0

3- تحليل حوارات الحريق:

3-1 حوارات عمر:

ومثال ما يتعلّق باحترام قواعد التّعاون قول عمر مع ماما: "– **هه... هذه زهور... هذا عمر. أأنت جائع؟ نعم.**"[2]

تحقّق مبدأ التّعاون وكلّ المبادئ المتفرّعة عنه في هذا الحوار الّذي وقع بين ماما –أخت زهور– حيث استخدم عمر القدر المطلوب من الكلمات(نعم) دون زيادة(الكمّ) وكان صادقا(

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص31.

[2] محمّد ديب، الحريق، ص 122.

الكيف) أجاب إجابة ذات صلة وثيقة بسؤال ماما(العلاقة)، وكانت إجابته موجزة وواضحة(الطّريقة). وعليه قال ما يقصد.

وفيما يخصّ خطاب عمر وماما في قولهما:"- **هل تجيئنا بالذّرة؟ حالا. لا، لا داعي إلى السّرعة أيّها الصّغير..اشرب قهوتك أوّلا.صفراء ذابلة تلفّها غلف، ما هي؟ ان حزرت حزرت، وإن لم تحرز وقعت..عمر: الذّرة، الذّرة. عمر: واحدة أخرى. ماما: عندي بيت من حديد، في داخله عبيد، إن حزرت أعطيتك، وإن لم تحرز بالسّوط ضربتك. ما هو؟ ماما: هو البطّيخ يا مغفّل. زهور: هاتوا السّوط، هاتوا السّوط. عمر: واحدة أخرى. الأمّ: ولكن هل تعرف ماذا يقال؟ يقال إنّ الّذين يقصّون حكايات أثناء النّهار يصاب أولادهم بالقراع.**"[1]

نجد في بداية الحوار تحقّق مبادئ التّعاون؛ طلبت ماما من عمر الإتيان بالذّرة فقبل ذلك دون تردّد. كما راحا يلعبان لعبة الأحجيات، فطلب عمر من ماما أن تأتي بأحجية أخرى فردّت عليه بقولها: **(ولكن هل تعرف ماذا يقال؟ يقال إنّ الّذين يقصون حكايات أثناء النّهار يصاب أولادهم بالقراع.)** هذه الجملة غامضة مستمدّة من عمق التّراث، إذ جرت العادة أن تُمنع رواية القصص في النّهار بدعوى أنّ من يخالفها يصاب أولاده بالقراع، وقد جيء بها للدّلالة على رفض طلب عمر. لذا جاءت القصديّة مناورة، كما جرت العادة أن يؤتى بمثل هذا الكلام ولا دليل على صدق ذلك، استعملتها ماما فقط كحجّة للتملّص من عمر، فلو حقّا يحدث ذلك لما تجرّأت على قول الأحجيات من البداية، هي روت قصّتين ولم تشأ أن تزيد أخرى(خرق مبدأ الطّريقة والكيف).

إنّ القصديّة المبثوثة في حوار عمر مع كومندار:""- **هل رأيته، الحصان الّذي اجتاز السّماء؟ عمر: لا يا كومندار، ما من حصان يمكن أن يطير. أنت تحلم. الشّعل الّتي تتساقط من السّماء ذهبت بلبّك، فتراءت لك أشياء. كومندار: أنت لم تر شيئا. لذلك تقول هذا الكلام.**"[2] قد تولّدت هذه القصديّة بواسطة خرق آليّة التّعاون في شقّ مبدأ الكمّ والكيف. إذ تمّ خرق مبدأ الكمّ من قبل عمر، حين سأل كومندار عمر سؤالا أجاب أكثر ممّا هو مطلوب، فهو لم ير وقال ذلك، ولكنّه زاد عن هذا الكلام كلاما آخر. كما أنّ قول كومندار فيه خرق لمبدأ الكيف، فهو قال ما لا برهان على

[1] محمّد ديب، الحريق، ص ص 130، 131.

[2] المصدر نفسه، ص134.

صدقه ولم يستطع أن يقنع الصّبيّ بما قاله، وجعله يستغرب في تساؤل عميق عن سبب عدم قدرته على رؤية ذلك. وكومندار في سؤاله ذلك كان يقصد الوطن الحرّ.

وفي إطار ما عرض من الحوارات بين الطّرفين السّابقين الّتي بيّنت إمكانات خرق قواعد التّعاون، يمكن بيان هذا الحوار أيضا:"– **لماذا اعتقلوا هؤلاء الرّجال يا كومندار؟ لأنّنا، يا ولدي، مجرمون في نظرهم. ولكنّنا لسنا مجرمين دائما.. فليعاقبوا المجرمين، وليدعوا من ليسوا بمجرمين. ولكنّنا جميعا مجرمون يا ولدي، جميعا. فهم يعاقبون بعضنا بالرّصاص وبعضنا الآخر بالضّرب أو السّجن.. ويعاقبون بعضنا بالكلام وبعضنا بالجوع، إنّهم يقتلونهم عند أوّل حركة يقومون بها. ويطردون ذوينا من النّور، يطردونهم من الأرض الّتي يزرعونها. ونحن لا ندرك ذلك. حتّى إذا ألقوا أمام وجوهنا واحدا من موتانا فهمنا. إنّنا نشفق على الرّجل الّذي قتلوه، ونشعر أمامه بالخجل والعار. ولكنّهم يسوقوننا إلى القبر نحن أيضا، شيئا بعد شيء.. إنّنا مستعدّون للنّزول إلى القبر دون أن ننطق بكلمة، ودون أن نرفع خنصرا.**"[1]

جاءت الدّلالات في هذا الحوار متلوّنة حاملة مقاصد يريدها المخاطِب، كما نلاحظ فيه أنّ صيغته تمدّدت وأصبح مبدأ الكمّ منتهكا لإحلال معنى آخر؛ فحينما حاول أن يشرح لعمر سبب اعتقال الرّجال قال جملا طويلة يمكن اختزالها في جملة واحدة، هي(فهم يعاقبون النّاس بطرق مختلفة دون إحداث ردّة فعل). يبدو أنّ كومندار استخدم كلمة غير مناسبة لكلام عمر" خنصر" لتكون عنوانا واضحا لقصد المخاطِب الّذي هو الاستسلام والإذعان. ويظهر خرق مبدأ الإيجاز في هذا الحوار أيضا: "– **عمر: شيء فظيع..** كومندار: **أبدا هو الآن شيء فظيع، أمّا في غد فلن يكون كذلك. انظر إلى كبار المزارعين الّذين هم منّا، انظر إلى تجّار المدينة الّذين هم منّا أيضا، إنّهم لا يقولون شيئا. يسقط رجل في هذا النّضال، فيلتزمون الصّمت خلال لحظة. ولكنّهم يستاءون ويتأوّهون. ولاشكّ أنّ رجلا آخر سيمضي في طريقه. وتستأنف الحركة من جديد. ذلك أنّه ليس لأحد إلّا طريق واحد يسلكه. هو طريق ضيّق، نعم. عمر: ما الّذي يجب أن نعمله حتّى نعيش حياة غير هذه الحياة؟ كومندار: يجب أن نحطّم الاستبداد وأن ندفنه.. إذا لم نقاوم أنواع**

[1] محمّد ديب، الحريق، ص 238.

الاستبداد هذه، فلن يكون ثمّة داع إلى الشّعور بالخجل والعار أمام الأحياء أكثر من الشّعور بالخجل والعار أمام .. هؤلاء الموتى."[1]

إنّ إجابة كومندار عن سؤال عمر خلقت سياقا تواصليا فيه قصديّة غير مباشرة، تكمن في تنبيه المخاطَب على الاتّحاد والتّحلّي بالقوّة لتحقيق الغاية المتمثّلة في حياة مختلفة، فحينما سأل عمر كومندار عن الحلّ لعيش حياة أخرى أجابه بكلام فيه إطناب، فلم يجب بالقدر المطلوب، الإجابة تقتصر على قوله (نحطّم الاستبداد) فلو قال ذلك لكان كافيا، ولوصلت المعلومة بدقّة، لكنّ كميّة المعلومات الّتي قدّمها كومندار كثيرة أمام سؤال عمر، فيها خرق لمبدأ الكمّ.

وعلى الرّغم من ذلك الخرق، نستنتج أنّ التّواصل لا ينقطع، بل انتقل المتحاوران إلى مستوى آخر من التّواصل يستوجب كفاءات متعدّدة لفهم الخطاب، كالكفاءة التّداولية الّتي يقصد بها:« مجموعة المعارف الّتي يمتلكها المتكلّم المتفاعل بشأن طريقة عمل هذه المبادئ الخطابيّةّ الّتي وإن لم تكن ملزمة بقدر قواعد التّشكّل النّحويّ الدّلالي الجيّد، إلّا أنه لا مفر للرّاغب في لعب لعبة التّبادل الكلاميّ.»[2] وهذا ما نفهمه من ردّ عمر:"– **أهذا كلّ شيء؟ كومندار: هذا كاف في البداية.**"[3] وهو قول يدلّ على استيعابه لما قيل.

وفي هذا الحوار تمّ أيضا خرق مبدأ العلاقة، فقد سأل عمر إن كان ذلك كلّ شيء، فكان يجب أن تكون إجابة كومندار وفق ذلك وتأتي على نحو: (ليس هذا كل شيء) ولكنّه قال ذلك بطريقة غير مباشرة تستوجب من الطّفل أن يفهم قصده بأنّ ذلك ليس كلّ شيء، كما تُحيل إليه جملة(في البداية)؛ لأنّ مسيرة النّضال متواصلة تستلزم هدم ما كان لبناء حياة جديدة.

كما يبدو أيضا احترام مبادئ التّعاون في بعض المواضع من الحوار مثل: **عمر: – أهذا كلّ شيء؟ كومندار: نعم هو كل شيء.**

---

[1] محمّد ديب، الحريق، ص238.

[2] أوركيوني، المضمر، ترجمة، ريتا خاطر، مراجعة جوزيف شريم، ط1، المنظّمة العربيةّ للتّرجمة، ديسمبر2008. ص344.

[3] محمّد ديب، المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

يتوالى اعتماد الحوار في خطابات عمر على احترام مبدأ التّعاون، وهذه المرّة مع حميد سرّاج. كان هذا الأخير في حالة هذيان نتيجة التّعذيب، فخُيّل إليه أنّه يتحدّث مع عمر. وقد اعتبرنا هذا الحوار، مثل باقي الحوارات، قابلا للتّحليل التّداوليّ لأنّه يدور بين طرفين حتى وإن كان في ذهن حميد سراج، ولكن يمكن تجسيده في الواقع، فيصبح مثل الحوارات الحقيقيّة، ويقول فيه: "– **عمر: كان رائعا. حميد سراج: ما الّذي كان رائعا؟ عمر: اجتماع هؤلاء النّاس جميعا، وكلّ ما قلته لهم في مقرّ الشّارع المنخفض. أنسيت؟ حميد سراج: آ... كنت هناك؟**"[1]

إذا ما طابقنا قواعد التّحاور نجدها قد تحقّقت كلّها في هذا الحوار بين الرجل الفرنسيّ و عمر:"– **تعال احمل.** عمر: **نعم يا سيّدي. ما تشاء يا سيّدي. تعال إذن. ما اسمك؟ ما عمل أبيك؟ أجاب عمر بأن أباه ميّت. ما عمرك؟ إحدى عشرة سنة.**"[2] يسأل الرّجل الفرنسيّ عمر وكانت أجوبة عمر وفق ما سأله دون زيادة، كما كان صادقا فيما قاله دون تشكيك، وبذلك يكون مبدأ الكيف حاضرا كذلك، وله علاقة بكلام الفرنسيّ، فهو يقصد ما يقول مبتعدا عن الغموض والإيهام واللبس الّذي يدفع باتّجاه حضور مبدأ الطّريقة. في حين انتهكت الجملة الّتي قال فيها عمر إنّ والده ميّتا مبدأ الكمّ، لأنّ الكلام لم يكن وفق القدر المطلوب فيه نقصان، الفرنسيّ سأله عن اسمه وعن عمل والده، فأجابه عمر بأنّ والده ميّت ولم يخبره عن اسمه، وعن عمله.

قال الرّجل الفرنسيّ لعمر: "– **كم تكسب في اليوم؟ عمر: هذا يختلف من يوم إلى يوم. حين يكون الزبائن كثيرين يصل كسبي إلى عشرين أو ثلاثين فرنكا.** الرجل: **وطبعا.. أنت تحمل كل ما تكسبه إلى أمك، لا تنفق منه شيئا.** عمر: **طبعا.. إلا حين يعطيني أحد بقشيشا.**"[3]

لم تمتثل إجابة عمر لمبدأ الكمّ:" إلّا حين يعطيني أحد بقشيشا" وإن كانت لم تبتعد عن السّؤال، حينما قال الرّجل لعمر أنّه يحمل كلّ ما يكسبه لوالدته دون أن ينفق منها فلسا، أجاب عمر بقوله "طبعا" لكنّه زاد عن هذه الكلمة الجملة الّتي حدث فيها الخرق، وفي ذلك قصد، فقول عمر كان طمعا في أن يقدّم الفرنسيّ له بقشيشا. وهذا جدول لحوارات عمر الّتي يتساوى فيها احترام المبدأ و خرق الكمّ، كما يتساوى فيه كذلك خرق الكيف وخرق العلاقة وخرق الطّريقة.

---

[1] محمّد ديب، الحريق، ص210، 211.

[2] المصدر نفسه، ص ص 258، 259.

[3] نفسه، ص259.

حوارات عمر	احترام مبدأ التّعاون	خرق الكمّ	خرق الكيف	خرق العلاقة	خرق الطّريقة
تكرارات الخرق	5	5	1	1	1

3-2 حوارات عيني:

وعند استعراض الحوار التّاليّ بين عيني وعيوشة:"- **عيوشة: ماهو المبلغ الّذي ستتركينه لنا؟ عيني: المبلغ الّذي سأتركه لكم؟ هل تريدون أن أترك لكم ملايين؟ عيّوشة: لم أقل ذلك! ولكن يجب أن تتركي لنا ما يكفي لطعامنا أثناء غيابك. عيني: خذي! هذا كل ما معي؟ عيّوشة: هذا لا يكفي إلّا للخبز بل لست أدري هل يكفي الخبز؟ فأين ما نشتري به الأشياء الأخرى؟ عيني: هذا كلّ ما معي. عيّوشة: ألأنّك تسافرين يجب علينا أن لا نرم إلّا خبزا. إنّ هذا لن يكفي أبدا. عيني: هذا كلّ ما معي. عيّوشة: ولكنّك ستمكين في عوجا ثلاثة أيّام أو أربعة. عيني: هذا كلّ ما معي. لا زيادة. عيّوشة: كيف يمكن هذا؟ آه..آه.. إنّها لحياة تحطّم القلب، هذه الحياة الّتي نعيشها.**"[1] عند استعراض هذا الحوار نجد أنّه انتهك هنا مبدأ الكمّ في جواب عينيّ، لأنّها لا تؤتي السّائل الإجابة الّتي يحتاجها، فقد سألت عيّوشة في هذا الحوار عن المبلغ الّذي ستتركه لهم والدتهم قبل ذهابها إلى عوجا، ولكنّها أجابت بالسّؤال الّذي لا تحتاجه عيّوشة، وهو سؤال مشحون بالغضب، وغير إخباريّ، فلم تقدّم لها المعلومة الكافيّة. وفي نهاية الحوار تبدو عيني غير متعاونة تماما مع ابنتها، حيث لم تشأ أن تدخل معها في نقاش بل راحت تفرض عليها ما تريده هي.

ويتوالى خرق مبادئ التّعاون في حوارات عيني، فهذا حوار بينها وبين النّسوة مضمونه يدور حول لجوء عيني إلى ممارسة تهريب القماش من عوجا على الحدود المغربيّة الجزائريّة بحكم قرب تلمسان منها، تقوم ببيعه للنّساء، وتحدّت الصّعاب من أجل جمع المال خوفا من الجوع. وقد نجحت في مرّة سابقة، ولكن حينما حاولت أن تكرّر ذلك فوجئت بضرورة الحصول على ترخيص لقطع تذكرة السّفر، فعادت أدراجها إلى الدّار بعد محاولات يائسة لدخول عوجا.[2]

تقول النّسوة: "- **أهلا وسهلا بعيني. لم نرك منذ زمن طويل. كيف حالك إذن؟ كيف حال أهل**

[1] محمّد ديب، الحريق، ص ص243، 244.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص 245-246.

عوجا؟"[1]

ويظهر في هذا الحوار خرق مبدأ الكيف، فإذا افترضنا أنّ عيني قد عادت من عوجا فالوقت الّذي استغرقته لا يكفي ذهابا وإيّابا، ومنطقة عوجا معروفة عند سكّان تلمسان، فلا يعقل أن تكون النّسوة لا يعلمن الوقت المحدّد لزيارة عوجا والعودة منها، فهنا إشارة واضحة إلى قصد النّسوة، إذ لا يقصدن التّرحيب بها خصوصا قولهنّ (لم نرك منذ زمن طويل) وفي هذا خرق لمبدأ الكيف الّذي يتعلّق بالصّدق وعدم قول ما تعلم أنّه كاذب، وفي هذا الحوار قامت النّسوة بقول كلام كاذب، أخذ وجهة ساخرة. راحت عيني ترسم مسارا جديدا للحوار تمثّله بنهاية الزّمان، سرعان ما سيدرك السائل حجم الحادثة، ليتحوّل الحوار من سؤال مستفزّ يقتضي إجابة محدّدة لتقابلهم بإجابة تبعث الخوف في نفوسهنّ. وهذا الحوار يشرح طريقة خرق مبدأ التّعاون.

"تقول عيني: – **يا أخواتي لقد وصلنا إلى نهاية الزّمان، وصلنا إلى ما يسمّى بيوم السّاعة.. هي السّاعة، ما في ذلك شكّ. إنّ ما قيل هو الحقّ.**"[2]

لنستذكر فحوى قاعدة الطّريقة، فهي تنصّ على الآتي: تجنّب الغموض، كن واضحا تجنّب اللّبس، كن مختصرا، كن ممنهجا مرتّبا لكلامك، هي قاعدة متعلّقة بما قيل. بالنّظر إلى حوار عيني مع نساء الدّار يظهر الخرق لمبدأ الطّريقة، حيث قالت عيني كلاما لم يستطع الحاضرون فهمه، لم تشرح ما حدث لها في البداية بل اكتفت بقول جمل غامضة، غريبة جعلت النّسوة في حيرة ودهشة، وهو ما يبيّنه قول عيّوشة: "– **هوه! ماما! قولي لنا ما حدث. لا تدعينا في هذه الحيرة. ألا ترين؟ البيت كلّه يريد أن يعرف ما حدث.**"[3]عيني: " – **لقد بدّلت الدّنيا غير الدّنيا...من أجل حمل العجين.**"[4]

أخذت عيني تسرد التّفاصيل الّتي حدثت في محطة القطار بدقّة، جاءت الجمل الّتي تلفّظت بها طويلة جدا، إذ بإمكانها أن تختصر كلامها في جملة واحدة (**رفضوا منحي تذكرة السّفر بسبب الحرب.**) وقد لجأت إلى هذا الإطناب في كلامها لغاية وقصد آخر، بغرض إحداث تأثير في

[1] محمّد ديب، الحريق، ص245.

[2] المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

[3] نفسه، الصّفحة نفسها.

[4] نفسه، ص ص 245، 246.

المخاطبين وتبيان هول ما حدث (خرق مبدأ الكمّ) فهذه الإستراتيجية الّتي اعتمدت عليها لسرد الواقعة انبنى عليها التّأثير، بمقتضى أنّ كلّ حوار ينتظر منه تفاعل. إذا أجرينا مقارنة بين الكلام الأصليّ والجملة المؤولة نلاحظ فرقا شاسعا بينهما، فالأولى تحمل قصدا غير المعنى الحرفيّ للجملة المؤوّلة.

وهذا حوار آخر بين عيني وصاحبة المال، يتميّز بالعنف اللّفظيّ، وقد كان سببه هو أنّ امرأتين منحتا مالا لعيني ثمنا لشراء أقمشة من عوجا لتخيط لهما أثوابا لبناتهنّ، وهو ما يسمّى بـ(لجهاز) ولم تستطع عيني الذّهاب إلى عوجا وإحضار تلك الأقمشة، وحينما اشتدّ بها الجوع صرفت ذلك المال بنيّة إعادته فيما بعد، ولكنّها لم تستطع أن تعيده، وقد مرّ وقت على ذلك.[1]

زهرا:"- **لا تقولي أنّك أطعمت بمالي هؤلاء الخنازير.. عيني: لا تحاولي أن تكوني معي كصاحبك كلير!(هكذا كانت عيني تسمّي هتلر). لن يجديك هذا، أقول لك ذلك بصراحة.**"[2]

استخدمت عيني في هذا الحوار جملة" لا تحاولي أن تكوني كصاحبك كلير" وهي جملة غير مناسبة للمقام (خرق مبدأ العلاقة)، فحينما صاحت صاحبة المال شاتمة أولاد عيني، ووصفتهم بالخنازير، ثارت عيني ووصفتها بهتلر لجرأتها وقدرتها على استفزازها، وإظهار شخصيتها الّتي لا تنمّ عن أيّة مشاعر أو أحاسيس، هنا نلاحظ أنّ عيني أقامت خطابه على الرّمز اعتمادا على لفظة هتلر، و تراهن على قدرة مخاطَبها على فهم المقصود؛ لأنّ هتلر بمثابة أيقونة عند الجزائريين يعرف بقاهر فرنسا، فتلك المرأة أشبه بتحذير صارخ في وجه عيني، وباستثناء خرق الكمّ الّذي ورد مرتين نلاحظ رفض التّعاون وخرق الكيف والعلاقة والطّريقة لم ترد إلّا مرّة واحدة، ويوضّح ذلك هذا الجدول:

حوارات عيني	رفض التّعاون	خرق الكمّ	خرق الكيف	خرق العلاقة	خرق الطّريقة
تكرارات الخرق	1	2	1	1	1

[1] ينظر: محمّد ديب، الحريق، ص ص250، 251.

[2] المصدر نفسه، ص 251.

3-3 حوارات قره علي:

حدث هذا الحوار بين قره علي والفلّاحين، وقد جاء في سياق سؤال قره حميد سرّاج الّذي ورد على النّحو التّالي: "- **قره علي لبن سالم عادة: هل تعرف من هو حميد سراج؟علي بن رباح: ليس عندنا يا سي قره أيّ جواب عن سؤالك! لسنا مضطرّين إلى الإجابة عن سؤالك يا سي قره. أجاب قره: إذن أنت تعلم شيئا. نعم، لابدّ أنّك تعرف شيئا. إنّه يجيء إلى هذا المكان في كثير من الأحيان. ولم يبادله الكلام أحد. أنت، بل أنتم جميعا، تحومون حوله كالذّباب حين يجيء. لقد رؤوكم. أنتم جميعا. وفي بيوتكم أيضا. علي بن رباح: هبنا نعرف، فما أنت من نقول له. قره: أأنت يا ابن رباح، تواجهني بهذه الوقاحة؟ أنت. لا تعرف من هو حميد سراج.. ثم تتكلّم كأنّك رجل من الرّجال. قال علي بن رباح: أنا بن رباح. ولست أريد طبعا أن أخلّ بواجب احترامك. ولكن إذا علمنا شيئا، فما أنت بالّذين نسعى إليه من أجل...**"[1]

في المقتبس المذكور من الحوار بين قره وبن سالم عادة وعلي بن رباح توليد حواريّ أساسه:« توظيف الاستفهامات المولّدة لاستدراج الآخر نحو اكتشاف حقيقة ما.»[2] وفيه انتهاك لمبدأ الكمّ ويتّضح ذلك في ردّ علي بن رباح "- **ليس عندنا يا سي قره أيّ جواب عن سؤالك! لسنا مضطرين إلى الإجابة عن سؤالك يا سي قره.**" كان بمقدوره أن يقول (لا أعرفه)، وهو في نفس الوقت ردّ كاذب، لأنّه يقول شيئا غير صحيح، فالجميع يعرف من هو حميد سراج، و يحضرون كلّما أتى للّقاء بالفلّاحين في بني بوبلان(خرق مبدأ الكيف) كما يبيّن كظم بن رباح غيظه حينما سخر منه قره، ويبدو ردّه غير مناسب لما قاله قره، فالموقف يستدعي أن يردّ على الإساءة بالإساءة، خصوصا وأنّه طعن في رجولته، ولكنّ بن رباح ردّ بطريقة أقلّ حدّة ليس خوفا منه، فهو مجرّد تنبال في نظر النّاس، ولكنّ مقامه، وصلته بالسّلطات يستدعي أن يكون تهديدا لهم، فهو يتربّص بهم وينتظر منهم أبسط خطأ ليستفيد منه.

إنّ إكراهات الخوف والمنع تفرض على المخاطِب أن لا يتواصل بطريقة مباشرة، فيعمد إلى تكسير قواعد التّخاطب حين لا تسمح له سلطة مخاطَبه باحترامها. وقد وجدنا ذلك في حوار

[1] محمّد ديب، الحريق، ص ص 164، 165.

[2] نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب، دراسة معجميّة ، ط1، جدارا للكتاب العالميّ، عمّان، الأردن2009. ص103.

سليمان مع قره، حيث مارس سليمان لعبة التّخفّي معه. لمّا أقبل قره انصرف علي بن رباح، ووجد سليمان يقهقه، فظنّه قره معتوها يضحك وحيدا، فأخبره سليمان أنّ السّبب هو فلّاح شمّ رائحة كريهة فجأة، فانصرف مسرعا، كذّب قره ذلك وأخذ يقول إنّ الرّائحة سببها مخلّفات الفلّاحين، وهذا ما أثار غضب سليمان وراح يشتمه ويهدّده دون أن يأبه لشيء.[1] ولمّا بلغ الغضب أوجّه اختفت لعبة التّخفّي- تلك- وحلّت محلّها لغة المواجهة، وهو ما يكتنزه هذا الحوار الّذي حدث بينهما:"- **سليمان، سليمان، لقد سبق أن قالوا أنّك امرؤ معتوه، فلم أصدّق، أمّا وأنّني أراك تضحك وحيدا، فهاأنذا أكاد أصدّق.** سليمان: **لا شيء يا مسيو قره، لا شيء، صدّقني. هو فلّاح كان معي وذهب منذ لحظة، لأنّه شمّ على حين فجأة رائحة كريهة. قره: رائحة كريهة؟ شم رائحة كريهة؟ لم أشم شيئا.** سليمان: **كيف يا مسيو قره؟ شم، شم، فستجد أنّ ثمّة رائحة كريهة.** قره: **نعم، نعم، هي قذارة ما تركها هؤلاء الفلّاحون المناحيس في هذا المكان. إنّ الفلّاحين لم يوجدوا على هذه الأرض إلاّ ليوسخوا كلّ شيء. ولو ذهبوا إلى الجنّة لملأوها ببرازهم.**"[2]

و نلاحظ فيه استئناف الفكرة السّابقة في الحوار الّذي جرى بين سليمان وبن رباح، ولكن مع تغيّر الأطراف نجد أنّ الخرق يتغيّر كذلك من العلاقة إلى الكيف. في هذا الموقف الّذي يتواجد فيه سليمان صرّح لقره أنّ سبب ضحكه هي رائحة كريهة تسبّبت في هروب فلّاح من هناك، وهو كلام كاذب، فالحقيقة أنّ السّبب هو قدوم قره وليس فعلا رائحة كريهة، والدّليل أنّه حينما طلب منه أن يشم لم يشم ذلك، فالرّائحة الكريهة كما قال بن رباح زكمته، هل يعقل أن لا تصل إلى أنف قره؟ في هذه الحالة نجد أنّ المقصود من ذلك هو تلميح إلى شيء آخر يقصد به قره نفسه.

في سياق آخر بدأ قره وزوجته حديثهما بقولهما:"- **هي حرب كسائر الحروب. لقد وجدت الحروب منذ وجد العالم، وستظلّ قائمة ما ظلّ على وجه الأرض بشر. الزّوجة: لماذا؟ ألا يرحم الله مخلوقاته؟**"[3] وهنا برزت نوع من العلاقة الّتي كانت تجمعهما، والّتي لا تنبني على الأخذ والعطاء، وإنّما على الأنانيّة وحبّ التّملّك واستخفاف قره لزوجته، وهي نتيجة حتميّة مبنيّة على ثنائيّة ضديّة، فلا يمكن أن يتّفق خائن لوطنه، ولزوجته، وعميل لفرنسا مع امرأة مستقيمة أصيلة

[1] ينظر: محمّد ديب، الحريق، ص 169-175.

[2] المصدر نفسه، ص ص 169، 170

[3] نفسه، الصّفحة نفسها.

تقليديّة تمثّل القيم، ويظهر ذلك حينما تكلّمت الزّوجة فسخر منها، وطلب أن تلتزم الصّمت فالأمور أكبر منها، لا يرضى أن تكون زوجته على صواب وكأنّ تلك المواضيع خاصة بالرّجال، يكفيه أن يكون رجلا – في اعتقاده– حتّى يمتلك حقّ الكلام.[1]

خالفت جملة(ألا يرحم الله مخلوقاته) مقولة الطّريقة وهي الوضوح، فلم يفهم قره ماذا قالت زوجته، وكيف وصل بها الأمر إلى التّفكير في هذه الأمور، فجاء ردّه :"– **يا امرأة، هذه أمور فوق ما تطيقين فهمه.**"[2]. وهو ردّ غير مناسب(خرق مبدأ العلاقة) لمّا سألته كانت تستفسر وتحاول أن تتناقش معه في أمور الحرب، فلم يجبها، بل ردّ عليها بطريقة فيها استخفاف بعقل المرأة (يا امرأة)، في نظره عقل المرأة لا يستوعب هذه الأفكار، ردّت الزّوجة محتجّة على كلامه قائلة:"– **كيف؟ أيذهب الشّباب إلى موت محقّق، ولا نقول كلمة واحدة.. شاب في ريعان الصّبا كابن أختك وابني بن أيّوب ، وقادر محمّد..**"[3] وقول ماما غريب بالنّسبة لما يعتقده زوجها، زاد الغموض عن كلامها الأوّل وبدا أكثر وعيا، هو كلام غامض وغريب لا يتقبّله الزّوج من زوجته (خرق مبدأ الطّريقة). وأتى ردّ الزّوج بكلام يُظهر ما كان يُضمره "– **أمّا ابن أختي فإنّني سعيد بذهابه إلى الحرب، يجب أن يذهب إلى الحرب. ستعلّمه الحرب الحياة. ستقلّل الحرب اهتمامه بدهن شعره بالزّيت، وبالتّجوّل في الشّوارع عاري الرّأس مرتديا الثّياب الفرنسيّة. قلت لك إنّ هذه الأمور فوق ما تقدرين على فهمه، إنّها فوق ما نقدر على إدراكه نحن. هذه أمور لا يعلمها حقّ علمها إلّا الله. هي أمور أكبر منّا..**"[4] جواب قره انتهك مبدأ الكمّ، لو قال: "أنا سعيد بذهابه" لفهمت زوجته ما يقصده، فالشّخص المستقيم يستحيل أن يكون سعيدا بالتحاق الشّباب بالحرب، فهذا الكلام لا يقوله إلّا من يضمر حقدا، ومن امتلأ قلبه كرها وفرحا بتعاسة الآخرين، أمّا ما زاد عن ذلك الكلام فهو مجرّد تطويل للحديث.

سنقوم الآن بتحليل نموذج آخر لحوار بين الزّوجين والّذي يصبّ في نفس السّياق: "– **الزّوجة: إنّ الله لا يقول اقتلوا بعضكم بعضا. قره: اسمعي. قد يكون صحيحا أنّ الله لا يقول هذا. غير أنّ**

[1] ينظر: محمّد ديب، الحريق، ص 201.

[2] المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

[3] نفسه، الصّفحة نفسها.

[4] نفسه، الصّفحة نفسها.

هناك رجالا يحكموننا، وهم يعرفون ماذا يعملون."[1] الجملة الأخيرة فيها خرق لمبدأ العلاقة، هي جملة مخالفة لما تقوله الزّوجة، وقد أعلن فيها قره ضمنيّا ولاءه للسّلطة. تقول الزّوجة:"– **هؤلاء الّذين يحكموننا ليسوا عادلين. (حلي محلهم إذن. حلي محلهم، وبصّري الناس بما يجب عليهم أن يعملوه.)**"[2] نلمس في ردّ الزّوج خرقا لمبدأ العلاقة، وكأنّه يردّ بكلام آخر فيه استهزاء وسخرية، كان من المفترض أن يردّ بـ: (لا أو ما شابه) المهمّ أن تكون الإجابة عكس ما تفكّر فيه الزّوجة.

أمّا قولهما:"– **كلامك لا يضيف إلى الأمر شيئا ولا ينقص شيئا. هذا كلّه لا قيمة له. الزّوجة: لماذا؟ هل خلقنا لتظلّ أفواهنا مكمومة؟ قره: لأنّك تهرفين بما لا تعرفين. (الزّوجة: لأنّك تريد أن تظلّ أفواهنا مكمومة؟ قره: أنت تهذين. الزّوجة: طيّب، سأضع على فمي كمامة.)**"[3]. كلامهما خرق لمبدأ العلاقة، فقد أدركت أن زوجها خائف من كشف الحقيقة، ويحاول السّيطرة عليها، لكنّها لا تستطيع الإفصاح عمّا في نفسها وطرح الآراء أمام زوج متسلّط، وبالتّالي لن تكون قادرة على التّفاعل. هذا الزّوج ماهو إلّا أنموذج السّياسة الّتي تستخدمها السّلطات خوفا من الانقلابات(تكميم الأفواه وقمع حريّة التّعبير).

وفي حوار آخر: "– **ماذا هنالك؟ عمّال أضربوا عن العمل، وأحرقوا مزرعة فيار. يجب أن يتوقّع المرء منهم كلّ شيء. لقد قلت ذلك دائما. يجب أن نتوقّع ما هو شرّ من هذا أيضا.**"[4]

سألت ماما زوجها قره عن الّذي حدث، فقدّم لها إجابة ليضلّل بها الحقيقة، فقد ذكر أنّ العمّال أضربوا عن العمل وأقدموا على إحراق المزرعة. وفي الحقيقة ليس الفلّاحون من فعلوا ذلك وإنّما هو، في نفس الوقت ردّه كاذب؛ لأنّه يقول شيئا غير صحيح، فقره في اليوم الّذي احترقت فيه المزرعة وأكواخ الفلّاحين قد شوهد يحوم حول تلك المنطقة، ما جعل أصابع الاتّهام تتّجه نحوه.(خرق مبدأ الكيف لا تقل ما ليس بصدق).

وفي حوار آخر جمع بين قره وزوجته، نجد قره يقول: "– **أنت تظنّين أنّني رجل لا ألاحظ شيئا أليس كذلك؟ إنّني أرى زهور دائما، فأدرك أنّها على كونها طفلة، تصبح امرأة يوما بعد يوم.. ما**

[1] محمّد ديب، الحريق، ص201.

[2] المصدر نفسه، ص ص201، 202.

[3] نفسه، ص 202.

[4] نفسه، ص 239.

عمرها؟ الزّوجة: **لم تكن قد بلغت من العمر إلّا خمس سنين وشهرين حين توفّي المرحوم أبي. وقد مات أبي منذ تسعة أعوام. إنني أرى هذا وكأنّه وقع بالأمس. سيكون عمرها بعد قليل أربعة عشر عاما و شهرين أو ثلاثة.** قره: **حقّا لقد أصبحت امرأة، امرأة جميلة.**"[1]

في جواب ماما خرق لمبدأ الكمّ، سألها قره عن سنّ أختها فأجابت إجابة طويلة تجاوزت القدر المطلوب من المعلومات، يكفي أن تقول عمرها أربعة عشر سنة، فكلّ ما زاد عن ذلك لن يفيد زوجها، وقد ذهبت أبعد من ذلك لتتحدّث عن عمرها حينما مات والدها، بدل أن تقول عمرها مباشرة، الإجابة تقتضي أن تقدّم عددا يمثّل عمر زهور.

أورد محمّد ديب حوارا آخر على لسان الزّوجين، ويقولان فيه:"- **الزوجة: من الّذي جاء يخطبها؟ لماذا لا تريد أن تذكر اسم من جاء يخطبها؟ أهذا ممكن يا رب؟ قره: (سأرى).**"[2]

حاول قره إخفاء ما دار بشأن خطبة زهور، فخرج الحوار من الناحية التّداولية بخرق مبدأ العلاقة إلى عدم الإفصاح ويتّضح ذلك من خلال أسلوبه غير المباشر في رفض الإفصاح عن اسم الّذي جاء ليخطب زهور. يلجأ المخاطِب في كثير من الأحيان إلى عدم التّصريح لوجود عدد من الأسباب الّتي تمنعه كالعادات الكلامية، أو اللّجوء إلى الحيلة، أو رغبة في الحطّ من قيمة الآخر ورفض فكرته...إلخ[3] هو لا يقصد ما هو ظاهر في لفظه بأنّه سيرى في الأمر، وإنّما يقصد شيئا آخر هو عدم الإفصاح، أو يقصد أنّه سيرى الأمر، وعندما تتّضح الأمور وتسير بالشّكل المطلوب سيذكر اسمه. ما استدعى من ماما فهم ذلك. قره هو الشّخص الأنانيّ المتسلّط الّذي لا يشارك زوجته في شيء، يكيد المكائد ويقلّب الأمور يمينا وشمالا حتّى يبلغ مراده ، وقد بلغ به الحدّ إلى احتكار المعلومات لنفسه.

وفي سياق حديث آخر جمع بين الزّوجين ورد هذا الحوار:"- **أنت تريد أن تنشأ بيننا المشاكل، أليس هذا ما تريده؟ قره: لست أحرص على ذلك. ماما: لا يليق بأسرة كأسرتنا أن تحدث فيها مشاكل. لقد كان النّاس يحترموننا دائما إلى الآن. زهور: ما الّذي تريده من زهور؟**

---

[1] محمّد ديب، الحريق، ص 262.

[2] المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

[3] ينظر: عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحيّ في ضوء النّظريّة التّداوليّة، ط2، دار الأمل، تيزي وزو2013. ص 60.

من الدّوران حولها، ما الّذي يحملك على أن تنظر إليها؟ ما الّذي يحملك على أن تنظر إليها؟ أهذا كل ما يهمّك عمله؟ لماذا لا تمضي في طريقك حين تلقاها؟ لماذا لا تدعها وشأنها؟ إنّ من الأفضل ألّا تدور هذه الأفكار في رأس المرء. إذا كنت تريد شيئا، فأنا لن أخلي الطّريق. قره: قلت كفى. ماما: سيعلم النّاس جميعا بما رأيته أنا، وسيكون أهلك أوّل من يعلم به. سيعرفون قيمتك. يشهد الله أنّه ما من شيء يصدّني عن إعلان ما رأيت. أنت تنوي خلق المشاكل. لئن شوهدت حول أكواخ الفلاّحين، لقد كنت تريد أن تخلق لهم مشكلات. أنا لا أسألك إلّا أن تمعن النّظر. إذا كنت تفكّر في هذا، فإنّك تريد إحداث متاعب. هل رأيت؟ إنّك لا تستطيع الإنكار. معنى هذا أنّك كنت تنوي ذلك حقّا."[1]

وفي هذا الحوار حدث خرق لمبدأ الكمّ، فحينما سألت ماما زوجها قره إن كان يريد حقّا أن تقع خلافات بينهما، ردّ بكلام غير موجز، فالإجابة تستوجب أن يجيب بـ (نعم أو لا). كما تتمثّل أيضا في سلسلة الأسئلة الّتي طرحتها ماما عليه حول الشّكوك الّتي تراودها حوله تجاه أختها، وكان جوابه (قلت كفى)، لأنّها لا تؤتي السّائل الإجابة الّتي يحتاجها، فمن الواجب عليه أن يؤتي المعلومات الّتي طلبتها زوجته، تريد الإجابة الصّريحة، ولكن هو لم يحقّق ذلك، بل ردّ عليها بجملة قصيرة جدّا مقارنة بالمعلومات الّتي يجب توافرها. وتلك الأسئلة الّتي طرحتها عليه كانت متأكّدة من الإجابة سلفا، وإنّما راحت تحقّق معه لحمله على الاعتراف بالخطأ الّذي ارتكبه، وما يدفعها إلى ذلك هي المعلومات الّتي وصلتها حول زوجها بخصوص حادثة الحريق. فالمقصود هو: لا تنكر ذلك فحتّى الأشياء الّتي تيقّنت منها تحاول إنكارها.

لنتأمّل الحوار الآتي بين قره وزهور:"– **قره: ثمّ ماذا؟ لا أستطيع أن أتصوّر أنّك ستظلّين تنتظرين أبد الدّهر. يجب أن نزوّجك. زهور: ليس لي من الأمر شيء."[2]**

لقد سأل قره زهور عن رأيها في تزويجها، فكان جوابها بأنّها غير مبالية، وفي هذا خرق لمبدأ الكمّ، إذ لم تقدّم له الجواب الّذي يريده، بل بدت غير متعاونة معه، ولا تريد أن تدخل معه في الكلام، فهي تتحاشاه قدر المستطاع، لأنّها تدرك نواياه السّيّئة نحوها، إذ لطالما تحرّش بها. ويبيّن

[1] محمّد ديب، الحريق، ص ص 272، 273.

[2] المصدر نفسه، ص263.

هذا الجدول الإحصائيّ تكرار الخرق من عدمه في حوارات قره الّتي سجّل فيها خرق الكمّ أعلى نسبة يليه خرق العلاقة ثم خرق الكيف فخرق الطّريقة.

حوارات قره	احترام مبدأ التّعاون	خرق الكمّ	خرق الكيف	خرق العلاقة	خرق الطّريقة
تكرارات الخرق	0	5	3	4	2

3-4 حوارات بادعدوش:

جاءت في ملفوظ بادعدوش مجموعة من الانتهاكات، وسندعمها بخمسة حوارات، جُعل فيها خرق المبادئ عاملا مهمّا في توسيع أبعاد المقاصد وتكثيفها، وأوّل تلك الحوارات لدينا الحوار الّذي دار بين بادعدوش والشيخ: "- **وقره علي؟ كيف أصبح حال هذا الرّجل؟ لا أدري.. يظنّ المرء أنّه يكفيه أن ينظر إليه حتّى يعرف طبعه. والحقّ أنّ المرء قد ينفق حياته كلّها قبل أن يصل إلى سبر نفسه كاملة، وأعتقد..سليمان مقاطعا كلامه: عفوك..أنّني لأخشى ألّا تكفيني حياتي كلّها من أجل ذلك: ما لنا ولنفس قره.. حسبنا القمل الّذي علينا، فلا حاجة بنا إلى البحث عن قمل في رؤوس النّاس. ليس يهمّني كثيرا أن أعرف كيف تركّبت نفس قره.على كلّ حال.. أقول لك..دعنا من هذا. ولنحاول أغنية من الأغنيات، أغنية صغيرة فذلك أحرى بنا وخير لنا. أراك تسرف في الغناء. ما عسى يخرج من هذا كله؟ أغنية صغيرة. هيّا. أغنية صغيرة فقط، يا بدعدوش الشّيخ: أغنية فقط."**[1]

إنّ المتأمّل في الجزء الأوّل من الحوار يجد أنّ بادعدوش سأل عن حال قره علي، والشّيخ أجاب إجابة لا تفيد القدر المطلوب من الإخبار(خرق مبدأ الكمّ) بما أنّه لا يمكن تقديم معلومات عنه، كان يكفيه أن يقول: لا أدري، ومع ذلك راح يستطرد في الكلام محاولا إخباره أنّ ذلك الرّجل غامض. كما أنّ تدخّل سليمان غيّر مسار الحوار، فقد بدا أنّه غير راض وغير مهتمّ بمعرفة مكنونات قره علي، فعمد إلى قول جملة(**حسبنا القمل الّذي علينا، فلا حاجة بنا إلى البحث عن قمل في رؤوس النّاس.**) والّتي تبدو غير مناسبة لما قيل، فما الحاجة إلى قولها ومضمون الحوار حول قره علي؟ (خرق مبدأ العلاقة). جيء بهذه الجملة لقصد مفاده أنّ الإنسان يكتفي فقط بما

[1] محمّد ديب الحريق، ص ص125، 126.

ابتلي به، وأنّ مشاكله تغنيه عن مشاكل الآخرين. فكلّ واحد يهتمّ بشؤونه الخاصّة. هي جملة غيّرت مسار الحوار ليتحوّل إلى طلب بإلحاح من بادعدوش ليغنّي أغنية، لتكون الملاذ الوحيد للفرار من كلّ تلك المشاكل.

وفي موضع آخر فيه خرق، نجد حواره مع فلاح شاب يدعى هاشمي، وقد جاء مضمونه حول زعم بادعدوش أنّ بلده خير البلدان، فأخذ يتحاور مع فلّاح شاب يدعى هاشمي. وجاء الحوار في مجموعة من المواضيع استهلها الشّيخ بادعدوش بمدح الجزائر، ثمّ انحرف الحوار إلى الاعتقاد أنّ هذا الوطن سبب في شقاء النّاس، فأخذ بادعدوش يتحدّث بإسهاب عن حياته إلى غاية وصوله إلى مرحلة الشّيخوخة وعن أولئك الّذين كانوا سببا في شقائه، والّذين اعتقد في يوم من الأيّام أنّهم أصدقاؤه.[1]

ولنتأمّل هذا المقطع:"– **ليس في الدّنيا بلد كبلدنا. الشّاب: أودّ و أوافقك على رأيك! لم لا؟ هل زرت بلادا أخرى! لأقول ليس في الدّنيا بلد يشبه بلدنا؟ لا، لم أذهب إلى أيّ بلد آخر، ولكنّني أعلم علم اليقين أنّه ليس في الدّنيا بلدا كهذا البلد. قال الشيخ: الّذين زاروا جميع البلاد حدّثوني: ليس في الدّنيا بلد كبلدنا.**"[2] نجد فيه خرقا لمبدأ الكيف، فقد بدا الشّيخ بادعدوش مقتنعا بأنّ الجزائر أفضل البلدان، ولكنّه لم يجد ما يقنع به الشّاب، فراح يردّد في كلّ مرّة: (ليس في الدنيا بلد كبلدنا)، ومبدأ الكيف ينصّ على: "**لا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه**" ولمّا طلب الهاشمي من الشّيخ حجّة يقنعه بها، أخذ بادعدوش يردّد تلك العبارة و يؤكّدها بقوله إنّه زار الجزائر في جميع الاتّجاهات، وأنّ جميع الّذين زاروا البلاد حدّثوه عن ذلك. وما حمل بادعدوش على الاعتقاد بذلك هو التعلّق العاطفيّ والولاء المطلق لوطنه، رغم أنّ هذا الوطن لم يحقّق فيه أحلامه، وأنّ حقوقه ضاعت فيه. وما جعل الشّاب لا يقتنع بكلامه هو هذا التّساؤل: لماذا بادعدوش عاد إلى قريته في النّهاية، مع أنّها رمز الشقاء؟ هنا لجأ بادعدوش إلى توضيح هذا التّعلّق بشكل عميق بيّن فيه معنى الانتماء للأصول وثبات الجذور.

وكمثال آخر بخصوص خرق مبدأ الكيف قولهما:"– **وبينهم من هم أصدقاء لنا! الشّاب: أصحيح؟ بادعدوش: بينهم من يقولون أنّهم أصدقاؤنا الوحيدون. الشّاب: أصحيح أنّ بينهم من**

[1] ينظر: محمّد ديب، الحريق، ص 154–162.

[2] المصدر نفسه، ص ص154، 155.

يقولون هذا الكلام؟ إنّهم أشقياء حقّا. صحيح .. وهم يجمعون جبالا من المال. هو ما قلت."[1]

فحينما سأل الهاشمي بادعدوش: "أصحيح؟" أجاب الثّاني "صحيح..." هو ردّ غير موجز، فالشّاب يبحث عن معلومة تؤكّد صحّة ما قيل، ولكنّ بادعدوش أضاف معلومة أخرى إلى ذلك(خرق مبدأ الكمّ)، وأراد القول إنّ أولئك الّذين يعتقد هم أصحابهم هم في الحقيقة يتقاضون أموالا طائلة" يجمعون جبالا من المال" مقابل خيانتهم.

وقد تمدّدت صيغة الحوار بين الرّجلين، كان فيه مبدأ التّعاون مخترقا لتحلّ قصديّة محورية تمثّلت في التّعبير عن غصّة في نفس بادعدوش، ويمكن تبيان ذلك في هذا المثال:"– **الشّاب: هل صحيح أنّهم رموك كما ترمى الكلاب؟ بادعدوش: ذلك ما فعلوه. كنّا لا نريد أن نذهب، فطردونا بالقوّة. نعم رمونا رميا."**[2]

بالنّظر إلى كميّة الكلام المخبر به والّذي يجب أن يلتزم به بادعدوش، يمكن أن نجد خرقا له في هذا المقطع، إذ لم يكن موجزا في كلامه، السّؤال جاء:هل صحيح؟ الرّدّ يكون صحيح أو نعم أو لا غير صحيح، لكنّ بادعدوش أجاب أكثر من القدر المطلوب مضيفا على ذلك كلاما آخر دار حول سبب رميهم خارجا كما وصف الكيفيّة الّتي طردوا بها.

خلق حوار بادعدوش مع جمع من الفلّاحين سياقا تواصليّا آخر فيه قصديّة غير معلنة، تضمّن عبر بعده التّداوليّ لفت انتباه المخاطَب عن طريق الابتعاد عن مبدأ الكمّ والعلاقة والطّريقة. لقد ورد ذلك في المقطع الحواريّ الآتيّ: "– **ما كنتم تتوقّعون أن تروني. ولكن هاأنذا أمامكم مع ذلك! علي بن رباح:** آ... **يا بادعدوش؟ كيف الحال. أهلا وسهلا. تعال، اقترب، إذا لم تكن خائفا منا. هكذا صاح علي بن رباح وأردف قائلا: في إمكانك أن تقترب من إخوتك. أنت أيضا إنّما ولدتك الأرض أنت فلاّح، بل إنّ في وسعي أن أقول إنّك فلّاح أكثر منّا جميعا. وما من فلّاح يخشى الاتّصال بأهله. بادعدوش: أنا الرّجل الوحيد الّذي يعرف كلّ شيء في هذا البلد: البهائم والحجارة والرّجال. أنا في هذا البلد أوّل الناس طرا. قال بن سالم عادة: ما في ذلك شكّ. اقترب إذن! ما بقاؤك هنالك وحدك؟ بادعدوش: لا داعي إلى هذا. تخطئون إذا نسيتمونا نسيانا تامّا لأنّنا**

[1] محمّد ديب، الحريق، ص 160.

[2] المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

أصبحنا شيوخا.. أظنّ أنّنا لا نزال قادرين على أن نفعل شيئا ما. بل أنّني لعلى يقين من ذلك. مازلنا قادرين على فعل أشياء كثيرة. سيثبت لكم صدق ما أقول في يوم من الأيّام. نعم، لقد جئت لأنّني شعرت أنّ من واجبي أن أكون بين رجال تعيش قلوبهم وتتألّم. نعم جئت لأنّني اعتقدت أنّ من واجبي .. قال بن سالم عادة: حقّا إنّه لمن الخطأ أنّنا لم نبلّغك. ولكن لن يعقد اليوم اجتماع."[1]

في كلام بادعدوش خرق لمبدأ العلاقة، فعندما طُلب منه الاقتراب رفض ذلك وأخذ يتحدّث عن كونه شيخا فذلك لا يعني أن يستثنى من الاجتماع الّذي عقده الفلاحون أو ينسلخ عنهم، هذا ما جعل الفلاحين يتساءلون عن جلوس الشّيخ بعيدا عنهم، ومع ذلك رغب في الانضمام إلى الاجتماع؛ هو يريد بذلك أن يقول من واجبي الحضور ولا يعنيني الجلوس معكم، فما أنتم بحاجة إليّ. كما أنّ ردّ بادعدوش في نفس الوقت هو خرق لمبدأ الإيجاز حينما رفض ذلك، كان بإمكانه أن يوجز فيما قاله بدلا من أن يقول:"رجال تعيش قلوبهم وتتألم، من واجبي..." يمكن أن يختصرها في جملة (لا، ولكن مازلت أستطيع أن أنفعكم).

أمّا في حوار بادعدوش مع بن أيّوب: "– **بادعدوش: ما أشدّ ما كانت تشعر به هذه الأرض من آلام، لو كانت حيّة. بن أيوب: آ... نعم، لشدّ ما كانت تكابد من آلام."**[2] فقد فضّل المتحاوران احترام جميع مبادئ التّعاون.

لابدّ من النّاحية التّداوليّة من معرفة الظّروف المحيطة بحوار بادعدوش مع بعض الشّيوخ والرّجال في بني بوبلان، وكذلك السّياق الّذي قيل فيه، حتّى نفهم مضمونه، فقد دار هذا الحوار بعد أن شبّ حريق في مزرعة فيار، امتدّت ألسنة النّيران إلى أكواخ الفلّاحين، فبدأوا يتحسّرون على وضعهم، وأنّ المضربين هم السّبب فيما وقع لهم، فردّ بادعدوش قائلا: إنّ الأهمّ هو البحث عن المتسبّبين في ذلك وهذا أهمّ من أيّ شيء آخر.[3]

في هذا الشّقّ من الحوار: "– **بادعدوش: إنّما يجب الآن أن نكشف عن الجناة. ردّ آخر: فمن هم الجناة في رأيك يا عم؟ بادعدوش: يجب أن نبحث عنهم! ولكن ما رأيك أنت يا عم؟ هل**

[1] محمّد ديب، الحريق، ص ص 162، 163.

[2] المصدر نفسه، ص181.

[3] ينظر: نفسه، ص 229–231.

الجناة بيننا أم هم ليسوا بيننا؟ بادعدوش: هذا ما سنعرفه."[1] تمّ خرق مبدأ العلاقة في كلام بادعدوش، حيث إنّ الرّجل يسأل عن هوية الجناة الّذين أضرموا النّار في المزرعة، ولكنّ بادعدوش ردّ بكلام غير مناسب لما سأل عنه الرّجل، فذهب يخبره بضرورة البحث عنهم، وهذا يجعل الرّجل يفهم أنّ بادعدوش لا يملك معلومات عمّا سأله، فبالّنظر إلى طبيعة السّؤال وجب أن يكون الجواب بـ(لست أدري، لا أعلم...) وما شابه ذلك. وما ينطبق على هذه الجملة ينطبق أيضا على قوله (هذا ما سنعرفه) فالرّجل يسأل إن كان الجناة بينهم أم لا؟ أجابه بادعدوش بقوله: (هذا ما سنعرفه).

يتابع الرّجل الّذي كان يسأل بادعدوش كلامه بسؤال آخر بشكل ملحّ، وكأنّه يحاول استدراجه، ويقول فيه:"– **شعوري، شعوري أنّهم ليسوا بيننا.** الرّجل: **من هم إذن؟** بادعدوش: **يجب أن نبحث عنهم.**"[2] إذ يشعر أنّ بادعدوش يعرف من أولئك الجناة، أجابه بادعدوش (شعوري، شعوري أنّهم ليسوا بيننا) وهي إجابة انتهكت مبدأ الكيف، فقوله هذا لا برهان على صدقه سوى أنّه احتكم إلى شعوره. وهذا ما جعل الرّجل يسأله (من هم إذن) فيجيب إجابة انتهكت مبدأ العلاقة كما سبق وشرحنا في المثال السّابق" يجب أن نبحث عنهم"، وقد جاءت تكرارات الخرق على النّحو التّاليّ:

حوارات بادعدوش	احترام مبدأ التّعاون	خرق الكمّ	خرق الكيف	خرق العلاقة	خرق الطّريقة
تكرارات الخرق	1	2	2	4	0

ونلاحظ من خلال الجدول أنّ خرق العلاقة قد تصدّر قائمة الخروقات.

3-5 حوارات حميد سراج:

مرّت حوارات حميد سراج بثلاثة أطوار، بدأت بخطابه مع فلّاحي بني بوبلان، وجاء ذلك بعد لقائهم الّذي كان الخطوة الأولى لعقد اجتماعات منظّمة يرأسها أحد الفلّاحين، وأثناء اللّقاء تعدّدت الأصوات وتعالت، كما استطاع الفلّاح أن يعبّر عن واقعه في جملة من الأسئلة التّي غيّبت عنه

[1] محمّد ديب، الحريق، ص 229.

[2] المصدر نفسه، ص230.

حقائق كان لا يدركها إطلاقا، حيث تمكّن حميد سراج من خلالها أن ينفذ إلى نفوس الفلّاحين، ليرسّخ حقيقة فرنسا الّتي كانت لا تهزم. وقبل أن يوضّح بعض الأمور كان الفلّاح يعتقد أنّه المخلوق الوحيد الّذي يعاني ويُحتقر فوق الأرض، ولم يُخيّل إليه أنّ أبناء فرنسا أيضا أرقاء مثلهم، ويُستغلّون بأثمان قليلة، هم أيضا خاضعون لسلطة أقوى من سلطتهم، فكانت تلك الفكرة بمثابة روح وقوّة جديدة بثّت في نفوسهم، وجعلت من قوّتهم قوّة عظيمة.[1]

في ملمح مميّز لدى محمّد ديب، جمع فيه الإنسان المثقّف (حميد سراج) مع الأميّ(الفلّاح)، حيث حاور حميد سراج جميعهم في خطاب واحد، والسّبب وراء ذلك هو كون القضيّة عامّة لا تستثني أحدا، ويؤكّد على ذلك هذا الحوار:"– **حميد سراج: لقد اجتمعنا هنا لنتناقش في أمور تهمّنا. ومعنى ذلك أنّ كثيرين منّا سيريدون أن يتكلّموا، فإذا تكلّمنا جميعا في آن واحد عجز من في الشّرق عن سماع من في الغرب، واستولى الاضطراب والاختلاط على أقوالنا رغم ما تحمله من حسن النيّة. لذلك لابدّ من رئيس يرأس الجلسة إذا كانت الأمور الّتي نريد أن نتناقش فيها تهمّنا، فهذا الرّئيس هو الّذي يسمح بالكلام لمن يطلب الكلام، وهو الّذي يسهر على ألّا يشوّش اجتماعنا مشوّش.**"[2]

في هذا المقطع من الحوار نلاحظ خرقا لأحد مبادئ الطّريقة وهو الإيجاز بسبب طول الكلام، فكلّ ما قاله يصبّ في معنى واحد؛ هو أنّ الرّئيس يعطي الدّور في الكلام لمن يريد التكلّم تفاديا للفوضى. وما جعل حميد سراج يدخل في تفاصيل معنى الّرئيس هو أنّ المخاطَب خالي الذّهن من هذه المعلومات، أناس بسطاء لم تكن لديهم فكرة عن معنى رئيس الاجتماع، لذا فضّل أن يطيل في الكلام حتّى يبسّطه، ويشرح أكثر مراعاة لدرجة المخاطَب:« فيجب إذن أن تكون لغة الحوار مناسبة لمستوى الشّخصيّات التّفكيريّ.»[3]

غلبت سمة إدارة الحوارات بطريقة فنّيّة منظّمة في تلك الّتي تعدّدت فيها الأصوات حول موقف واحد، حيث جعلت كلّ طرف يتحدّث بما يريد سواء بتدعيم الرّأي أو ردّ عنه، ومن أمثلة ذلك هذا الحوار الّذي أمامنا: "سليمان: – **أنت تأخذ على النّاس إذن أنّهم لا يعرفون كيف يعيشون. فأجابه**

---

[1] ينظر: محمّد ديب، الحريق، ص 182–195.

[2] المصدر نفسه، ص185.

[3] نجم عبد اللّه كاظم، مشكلة الحوار في الرّواية العربيّة، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن2008. ص 73.

القولو غلى الكبير: **هو ما تقول. ولكن قبل أن يعرف إخوانك كيف يعيشون، يجب أن يتمكّنوا من أن يعيشوا. ما رأيك؟ صحيح، صحيح. فهل نحن نعيش؟ نحن والآخرون.. من نعرفهم ومن لا نعرفهم وهم السّواد الأعظم؟ هل نحن نملك حريّة الحياة؟ لا نملكها.**"[1]

لقد توافرت جميع المبادئ الّتي تندرج ضمن مبدأ التّعاون، حيث كان ردّ المخاطَب ردّا دقيقا وكانت مشاركته تفيد القدر المطلوب(الكمّ) وقال ما هو متأكّد منه(الكيف)، وقوله ملائم لما قيل(العلاقة)، ولا غموض في كلامه، جاء مختصرا وموجزا. فلم يقل شيئا ليقصد به شيئا آخر(الطّريقة).

وفي مقطع آخر نجد هذا الحوار: "– **الأمر بسيط: إنّ عددا كبيرا من النّاس في بلادهم يعملون بأجر زهيد لا يذكر، فهم جياع، وهم يلاحقون ويعتقلون.. في فرنسا.** وردّ علي بن رباح بقوله: **هل هم سكان أصليّون؟** حميد سراج: **إن شئت. وهم مثلنا تقريبا. لقد عملت أنا هناك، ورأيت بعيني. هناك بين الفرنسيّين أناس فقراء.. صدّقني.**"[2]

انتهكت في هذا الحوار جملة "**إن شئت. وهم مثلنا تقريبا. لقد عملت أنا هناك، ورأيت بعيني. هناك بين الفرنسيّين أناس فقراء.. صدقني.**" مبدأ الكمّ لأنّ السّؤال لا يلائم الإجابة، أراد علي بن رباح أن يعرف إن كان أولئك المعذّبون من أصل فرنسيّ، ولكن إجابة حميد سراج تحمل معلومات كثيرة غير المعلومة الّتي طلبها علي بن رباح. وتلك المعلومات هي حجج إقناعية تسلّح بها المخاطَب بهدف التّأثير، وخدمة لأهدافه النّضاليّة، وفعلا استطاع أن يفعل ذلك. وقد بني هذا الحوار على أساس شكّ المخاطَب وقطعه باليقين من قبل المخاطِب استنادا إلى تجاربه السّابقة، كما توضّحه جملة" عملت هناك"، وقد جاء هذا الرّدّ:« بأسلوب يفهمه ويدركه، فيخرج ذلك المتشكّك ممّا وقع فيه من فهم خاطئ.»[3]

أمّا الطّور الثّانيّ فتمثّل في خطاب حميد سراج مع رجال الشرطة في الشارع، جاء مضمونه حول احتجاجه على تصرّف الشّرطة مستغلّين ضعف الطّفل، وقد جاء كالتّاليّ: "– **حميد: قفوا.**

---

[1] محمّد ديب، الحريق، ص ص 189، 190.

[2] المصدر نفسه، ص 193.

[3] محمّد عبد اللّه المشهوريّ، الحوار في شعر محمّد حسن فقّي، دراسة تداوليّة، دط، فهرسة مكتبة الملك فهد أثناء النّشر الرّياض 2013. ص 25.

ماذا فعل هذا الصّبيّ؟ الرّجال: بنا نحن؟ لم يفعل شيئا. ولكنّنا نريد أن نكنس أمثاله جميعا. فبدأنا به، قال ثان: هذا جدي، هذا عربيّ. الأوّل: لعلّه يريد أن نعلّمه كيف يعيش. دعونا من الآخر.. أتريد أن تبدأ بهذا؟ الدّور دورك. قال الأوّل: صيدة جميلة. رجل جاوز طوره. يعد نفسه متحضّرا. حميد: انتظر يا وسخ."[1]

انتهك الحوار الأوّل مبدأ الكمّ. سأل حميد سراج عن سبب ضرب الطّفل بقوله:(ماذا فعل؟) فأجابه الأوّل بجواب لا يحمل إجابة عمّا سأله حميد سوى أنّه لم يفعل شيئا، فزاد عن هذا الكلام كلاما لا يفي بالقدر المطلوب من المعلومة. كما أجاب الثّاني إجابة غريبة غامضة (هذا جدي، هذا عربيّ) وهي انتهاك لمبدأ الطّريقة، وأردف الأوّل قائلا (نعلّمه كيف يعيش دعونا من الآخر... صيدة جميلة...) وهو ردّ لا علاقة له بسؤال حميد سراج(مبدأ العلاقة).

وفي الطّور الأخير تمّ عرض مجموعة من الحوارات بين حميد سراج وشرطيّ، أين تبادل شخوص المشهد الحواريّ الأدوار بين السّائل والمجيب، وقد جالت هذه الحوارات بعد إضراب الفلّاحين واعتقال الشّرطة حميد سراج بتهمة التّحريض على التّمرّد، وألقي به في السّجن، وشهد هناك أشدّ أنواع التّعذيب حتّى وصل به الأمر إلى الهذيان، وخُيّل إليه أنّه يتحدّث مع شرطيّ، وأخذ يتحاور معه فتداخلت الأحداث بين استرجاع وحاضر.[2]

في بداية هذا الحوار لم يستدع الكلام أيّ قصد آخر، فقد تحقّقت جميع مبادئ التّعاون، حيث أخذ الشّرطيّ يجيب عن أسئلة حميد سراج بدقّة، وكانت مساهمته في الحوار بالقدر الّذي يقتضيه الهدف، كما أنّها تفيد القدر المطلوب (مبدأ الكمّ)، وكان صادقا(مبدأ الكيف)، كما وضع حدّا لمقصده دون أن يقصد شيئا آخر(مبدأ الكلام)، وكان ردّه واضحا (مبدأ الطّريقة). بينما في هذا المقطع من الحوار "حميد سراج: – **لا شكّ أنّك تتولّى الحراسة.** الشّرطيّ: **لا بل أنا مرتاح.** حميد سراج: **كيف؟ أترتاح في لونا بارك؟** الشّرطيّ: **هو مكان هادئ مريح. واليانصيب جميل أيضا.** حميد سراج: **إذن، فقد جئتم هنا للاستجمام.** الشّرطيّ: **لا.. ليس هؤلاء موتاي.. هم موتى غيري. أنا ليس لي موتى إلى الآن. ليس لي حتّى هذه اللّحظة إلّا أحياء. إنّي أفكّر فيهم كثيرا. هل تعلم**

[1] محمّد ديب، الحريق، ص 212.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص 213–222.

كم يسهل على المرء أن يحيل الحيّ ميّتا. إنّ مصير أحيائي يهمّني كثرا..."[1] في هذا المقطع نلاحظ انتهاك ثلاثة مبادئ من مبادئ التّعاون أوّلها مبدأ الطّريقة، فحينما سأل حميد سراج الشّرطيّ إن كان يتولّى الحراسة أجاب بـ(لا بل أنا مرتاح) وهو ردّ غامض بالنّسبة لحميد سراج، كيف يرتاح إنسان في مكان خاص بالتّعذيب؟ وهذا ما دفع حميد سراج بأن يسأله عن هذا الأمر لاحقا. إنّ دلالة السّخرية واضحة في هذه الجملة، فتقنية السّؤال انبنى عليها انجاز فعل السّخرية. أمّا المبدأ الثّانيّ فقد تمثّل في مبدأ الكمّ ويظهر ذلك في جملة **(هو مكان هادئ ومريح.**) فالإجابة تستدعي قول (نعم) لكنّ المتحدّث أطال في كلامه وأضاف الهدوء إلى جانب الرّاحة. أمّا المبدأ الأخير تمثّل في مبدأ العلاقة، و يظهر خرق هذا المبدأ في جملة (**واليانصيب جميل أيضا.)** فلا مناسبة بين سؤال حميد سراج وقول الشّرطيّ، هو يسأل عن المكان والرّدّ جاء عن شيء آخر، والقرينة الّتي يمكن الوصول بها إلى القصد هي: اعتبار حميد سراج ورقة رابحة في يده، فلطالما بحثت عنه الشّرطة، ووقوعه بين يديّ هذا الشّرطيّ يعتبر مكافأة له.

في كلّ حوار يستخدم المخاطِب إستراتيجيّة ذات بعد تلميحيّ تتناسب مع موقف الحدث، ذلك ما نجده في حوار آخر بين الأطراف نفسها:"- **هكذا جميع النّاس. حين كنت أنا طفلا.. حميد سراج: أنت ، كنت طفلا؟ الشّرطيّ: لم لا؟ لماذا لا أكون طفلا قل أن أصبح رجلا؟ ما وجه الفظاعة في هذا؟ لماذا صرخت، ولماذا تصمت الآن؟ أهو أمر عجيب أنّني كنت طفلا؟ ألم تكن طفلا أنت؟"**[2]

ففي ردّ حميد سراج على الشّرطيّ جواب غامض وغريب(أنت، كنت طفلا؟)، وكأنّ قول الشّرطيّ عن كونه كان طفلا قد قال شيئا مستحيلا، وهذا ما جعل الشّرطيّ يتساءل: أين الغرابة في ذلك فكلّ الرّجال كانوا يوما أطفالا؟ ونتيجة للتّعذيب الّذي تعرّض له حميد سراج استغرب من الشّرطيّ الّذي شارك في تعذيبه أنّه كان يوما ما طفلا؛ فالطّفولة ترمز إلى البراءة والسّذاجة، والشّرطيّ في نظره وحش لا يرحم. وهذا ما جعله يُسقط تلك المرحلة من عمر ذلك الشّرطيّ. فقول حميد سراج انتهاك لمبدأ الطّريقة. ويلخّص هذا الجدول تكرارات الخرق إحصائيّا:

[1] محمّد ديب، الحريق، ص ص214،213.

[2] المصدر نفسه، ص215.

حوارات حميد سراج	احترام مبدأ التّعاون	خرق الكمّ	خرق الكيف	خرق العلاقة	خرق الطّريقة
تكرارات الخرق	2	3	0	2	4

3-6 حوارات ماما:

قبل الخوض في حوار ماما مع زهور، لابدّ من الوقوف على السّياق الّذي قيل على إثره هذا الحديث: "- **زهور! زهور! أنا آتية. لا تستعجلي. ولكن يجب ألّا تبقي وحدك هناك. تعالي.**"[1]

فقد كانت مناسبته هي الخوف الّذي يلازم ماما على أختها زهور من زوجها قره. إنّ المتأمّل لهذا الحوار يلاحظ أنّ زهور كانت غير موجزة في كلامها، بما أنّها نادت أختها فهذا يعني أنها تريد أن تأتي وهذا كاف في نظرنا، لكنّها أضافت على ندائها جملة (لا تستعجلي. ولكن يجب ألّا تبقي وحدك هناك. تعالي.) وهي بذلك تريد تنبيه أختها بعدم الانفراد لوحدها، فهي شديدة القلق والحرص عليها، خصوصا لمّا أيقنت أنّ زوجها يتربّص بها في كلّ فرصة سانحة.

في حين نلحظ أنّ المثال الآتيّ يستوفي القواعد كلّها، تقول فيه ماما:"- **إنّ هذا الرّجل لقاتلي آخر الأمر. أودّ لو تبقي الوقت كلّه معي يا أختي. إنّه يخيفني، هذا الرّجل. ابقي بضعة أيّام فحسب. إنّ أمّنا ليست في حاجة إليك.. لا تتركيني وحيدة.** فتجيبها زهور: **لن أستطيع يا أختي.** ماما: **ارجوك! بضعة أيّام.. لأجعلنّ جهاز عرسك أجمل من جهاز كلّ فتاة في هذه البلاد. سوف ترين بعد بضعة أشهر ما تجنيه من هذا.**"[2]

إذ إنّ مبدأ التّعاون والقواعد المتفرّعة عنه كلّها متحقّقة. رفضت زهور البقاء أيّاما أخرى مع أختها، وكان كلامها وفق المطلوب دون زيادة أو نقصان(الكمّ) وكانت صادقة فيما قالته(الكيف) وجوابها مناسب تماما (العلاقة) وكانت واضحة فيما قالته(الطّريقة)، وبذلك يكون احترام المبدأ مساو لخرق الطّريقة.

[1] محمّد ديب، الحريق، ص 265.

[2] المصدر نفسه، ص 270.

حوارات ماما	احترام مبدأ التّعاون	خرق الكمّ	خرق الكيف	خرق العلاقة	خرق الطّريقة
تكرارات الخرق	1	0	0	0	1

3-7 حوارات رجال القرية:

يدور بين رجالات القرية هذا الحوار:"- **انتظر قليلا. انتظر أن يصل العم بادعدوش، ليريك كيف يجعل البقر من أمثالك تخور وتجأر.بادعدوش: سليـ...مان. سليـ...مان. أصبحت منذ مدّة تكثر من الغناء يا سليمان. قال الشّيخ: حين تعوزنا الواجبات ينهشنا الضّجر نهشا، فنأخذ نغنّي أغاني حزينة، ونحن لا نعرف متى نتوقّف عن الغناء. لا حيلة لنا في هذا. إنّنا ندلّل ضجرنا، ونحنو عليه. يستطيع الإنسان بذلك أن يعمّر طويلا. ويأتي يوم نكتشف فيه هذا الأمر. فإذا لم نستجل واجباتنا في ذلك اليوم واضحة، كنّا نجرّ حياتنا جرّا لا فائدة فيه ولا جدوى منه، إلى أن .. إلى أن يحين حين(يقصد بذلك البعث)، على أنّني أحسّ أنّ اللّحظة الّتي سنفهم فيها واجباتنا الجديدة أصبحت قريبة فلن تلبث أن تأتي.**"[1]

ومن خلاله يتّضح أنّ الشّيخ لجأ إلى استعمال كلمة لا يمكن فهمها إلّا بالمعرفة المقاميّة بين أطراف الحوار، فكلمة (حين) تقتضي مقاما معيّنا لتفهم، استخدمها ككلمة غامضة خرق بها مبدأ الطّريقة. وهي مؤشّر زمنيّ تحيل إلى حدوث أمر مستقبليّ، وهذا المستقبل مبهم لا يفهم إلّا بالعودة إلى السّياق الّذي قيلت فيه، و يفهم أنّها تعني يوم البعث.

وفي حوار آخر جاء مضمونه كالتّاليّ:

اجتمع نفر من رجال القرية يتحدّثون عن الإضراب، ويتساءلون عن سبب الاعتقالات الّتي قامت بها السّلطات، وقد كان قره حاضرا بينهم. ومن بين الّذين اعتقلوا أثناء الإضراب زوج زهرة. وفي هذا الحوار حاول قره استدراج بعض الرّجال لمعرفة إن كانوا مع رأي الفلّاحين أو مع السّلطات، وجاء ذلك في حوار مطوّل يقع في عشر صفحات، تظهر فيه شخصيات وتنسحب شخصيات أخرى ما أضفى على هذا الحوار حركية أثناء تبادل الأدوار في فضاء أشبه بلعبة،

[1] محمّد ديب، الحريق، ص 125.

ما جعلنا لا نحسّ بطول الحوار.[1]

وبالرّجوع إلى هذا الحوار الّذي دار بين رجلين:"– **ما الّذي تفعله الآن؟ أريد أن أقول: كيف تعيش؟ قال بن سالم عادة: إنّها لا تملك إلّا عينين تبكيان. كان زوجها يعمل، فيكسب ما يكفل حياة الأسرة.. أمّا الآن، بعد غياب زوجها، فإنّ .. فإنّ النّاس تساعدها، هي صالحة.. إنّ لكلّ منهما أطفالا، ثلاثة أو أربعة. ولكنّهما تعرفان كيف تصبران على المحنة.**"[2]

نجد أنّه قد وقع في هذا الحوار انتهاك لمبدأ التّعاون، فحين استفهم عيسى عيساني عن زهرة، وعن حياتها في غياب زوجها كان على بن سالم عادة أن يردّ عليه بالقدر المطلوب دون زيادة، ولأجل ذلك الجواب جاء ردّه طويلا اخترق فيه مبدأ الكمّ، يستطيع أن يجيبه بقوله: (النّاس تساعدها) لكنّه راح إلى أبعد من ذلك منتهكا لمبدأ الكمّ عندما روى عمّن كان يعيلها من قبل. فالمستفهم استفهم عمّا يقع وليس عمّا وقع، وبهذا قدّم المجيب معلومات أكثر ممّا طلب المستفهم. لم يقف الحوار على هذا الحال، حيث تشارك فيه أيضا مرافقة زهرة الّتي كانت حاضرة أيضا وأُعتقل زوجها أيضا، وتعاني معاناة زهرة نفسها، هذا الإقحام لطرف آخر يدفع بالمضمون إلى دائرة التّعميم من باب الإشفاق على حال المرافقة. وما حمل المجيب على قول أكثر ممّا طلب منه هو معرفته المسبقة بأنّ عيسى عساني ليس من بني بوبلان هو عامل فقط في إحدى المزارع، وبهذا القول يرشده إلى ما يجهل.

وفي قولهم في موضع آخر:"– **وأظنّ أنّ الأمر هو كذلك في غير هذا المكان.**"[3] **أظنّ أنّه كذلك حيثما يوجد فلّاحون فقراء، سواء في الشّمال أو في الجنوب، في الشّرق أو في الغرب. وتقولون هذه قسمة الفلّاح**". نلحظ خرق مبدأ الكيف الّذي يقتضي ألّا يقول المخاطِب إلّا ما يعتقده صوابا، وألّا يقول ما لا دليل على صحّته وصدقه، وقد انتهكه بادعدوش لمّا ظنّ أنّ حياة الفلّاح هي نفسها في كلّ مكان، هي حياة البؤس والشّقاء، وقد قال ذلك باحثا عن قيمة الفلّاح، وما جعله يفكّر بتلك الطّريقة هي الحالة الّتي يعيشها، فعمل الفلّاح مرتبط بالمواسم، عمل في الصّيف وركود في الشّتاء وهي مواسم مشتركة يتقاسمها جميع الفلّاحين في الجزائر.

---

[1] ينظر: محمّد ديب، الحريق، ص142–152.

[2] المصدر نفسه، ص 142.

[3] نفسه، ص 145.

استنجد قره بالاستفهام في حواره مع رجلين، كوسيلة ضغط على محاوره من باب التّأثير عليه وإقناعه بقول الحقيقة:"**إذن أنتما مع الفلّاحين؟ لسنا معهم. ولستما ضدّهم؟ ولسنا ضدّهم في الحقيقة. فكأنّكما إذن معهم. قلنا إنّنا لسنا معهم، ولا نحن ضدّهم.**"[1]

انتهك هذا الحوار مبدأ الطّريقة، فجملة"– **لسنا معهم. ولستما ضدّهم؟ ولسنا ضدّهم في الحقيقة. فكأنّكما إذن معهم. قلنا إنّنا لسنا معهم، ولا نحن ضدّهم.**" انتهكت مبدأ الطّريقة فلابدّ أن يكون الكلام واضحا بعيدا عن اللّبس والغموض، إذ لاحظنا أنّ كلام بن أيّوب وبوشناق لا يتوفّر على مبدأ التّعاون، فهما لا يريدان أن يخوضا في حديث مع قره، فأجابا إجابة تتميّز بالغموض ممّا صعّب على قره أن يعرف القصد من كلامهما، فهما يدركان ما في نفس قره من نوايا سيّئة تجاه هؤلاء الفلّاحين؛ لهذا جاء ردّهما بهذا الشّكل، فبالنّظر إلى سؤال قره يجب أن ترجّح الإجابة لأحد الطّرفين، إمّا مع السّلطات أو مع الفلّاحين ومع ذلك عمدا إلى تشتيت ذهنه دون أن يستدرجهم، كما أنّ كلامهما يعني قصدا آخر غير الّذي تلفّظا به.

وقال أيّوب لمّا انظمّ إلى الجماعة: "– **أهلا بالجار قدسي. أأنت لا تزال على قيد الحياة؟ إنّنا لم نرك منذ دهر... ردّ قائلا:هي زوبعة الحياة تجرفنا وندور معها.**"[2]

انتهكت الجملة الأخيرة مبدأ الكمّ، إذ كان يمكن أن يكتفي بالقول كنت مشغولا، لكنّه عمد إلى تقديم جملة أكبر من المطلوب ليبيّن أنّه يتخبّط في هذه الحياة، وأنّ عجلة هذه الأخيرة تدور لتفرز متاعب أكثر لا تكاد تنقضي. كما أنّ الجملة نفسها ليست ردّا مباشرا، وهذا ما يجعل بن أيّوب يستنتج أنّ جاره كان منهمكا في أمور، وعليه أن يواكب ذلك ويكون منساقا لها، وفي ذلك خرق لمبدأ العلاقة أيضا، وعليه ورد في حوارات رجال القرية خرقان للطّريقة وخرقان للكمّ وخرق واحد للكيف يبيّنه ذلك الجدول أدناه.

حوارات رجال القرية	احترام مبدأ التّعاون	خرق الكمّ	خرق الكيف	خرق العلاقة	خرق الطّريقة
تكرارات الخرق	0	2	1	0	2

[1] محمّد ديب، الحريق، ص 138

[2] المصدر نفسه، ص151.

3-8 حوار رجل مع قدور:

بأسلوب استفهاميّ قال أحد الرّجال:"- **كيف حالك يا قدّور؟ لا شكّ أنّ هذا الحر شديد عليك.**"[1]

يعود بنا محمّد ديب من خلال هذا الحوار إلى موضوع الفقر، عبر سؤال ضيّق ومحدّد صدر من رجل، لكن في قول قدّور:" **الحرّ خانق والبطن خاو، هذه حالي. الرّجل: والله صحيح.. حلوة هذه.**"[2] نجد سعة بالإجابة من ضمنها تعبيره عن معاناته من الفقر بأسلوب هزليّ عفويّ انتهك مبدأ العلاقة في جملة (والبطن خاو)، وهو مبدأ يقتضي أن تكون المشاركة ملائمة لموضوع الحديث، وتلك الجملة لا تتناسب مع السّؤال الّذي ألقاه الرّجل، إذ سأله عن حاله خصوصا مع موجة الحرّ الّتي طبعت تلك المنطقة، وردّ الّرجل لم يكن تماما وفق ما سئل عنه بل أقحم في كلامه همّا آخر يلازم شدّة الحرّ، ممّا زاد من معاناته أكثر في التّحمّل، فالحرّ من جهة والجوع من جهة ثانية. وكأنّما يريد أن يقول عن أيّ حال تسأل يا رجل؟ وفي هذا الحوار خرق واحد للعلاقة كما يبيّنه هذا الجدول:

حوار الرّجل	احترام مبدأ التّعاون	خرق الكمّ	خرق الكيف	خرق العلاقة	خرق الطّريقة
تكرارات الخرق	0	0	0	1	0

3-9 حوار معمّر الهاديّ مع الرجال:

افتتح معمّر الهادي مجريات الحوار مع الرّجال وأسهم في الاسترسال في الكلام مع محاوريه، ويتلخّص مضمون حوارهم حول بداية تكوين الوعي السّياسيّ عند الفلّاحين، حيث أقدموا على تنظيم إضراب عن العمل من أجل استرداد حقّهم من طرف المستوطنين الّذين استولوا على أراضيهم بغير حقّ، فجاء رد السّلطات عن طريق قمعهم وإلقاء القبض على البعض. وفي خضمّ ذلك جرى حوار بين رجال القرية يتساءلون فيه عن علاقة مطالبهم بالسّياسة، حيث استغلّت السّلطات ذلك كذريعة لتسييس المطالب والزّجّ ببعضهم في السّجن. ومن بين المتواجدين كان هناك

[1] محمّد ديب، الحريق، ص 137.

[2] المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

رجل من تلك القرية الّتي يعيش فيها الفلّاحون يدعى معمّر الهاديّ، ذلك الرّجل الوقور الّذي يحاول أن يقدّم النّصائح لرجال القرية، والتّحليّ بالهدوء في شكل حوار بينهم.

كان معمّر الهادي في البداية يسأل نفسه، وفي لحظة تدخّل علي بن رباح معارضا، وقد بدأ ردّه بكلمة طيّبة قصيرة:"– **عفوك عفوك.**"[1] موغلا في الحديث، وفي هذا انتهاك لمبدأ الكمّ، لأنّه لم يكن كلامه وفق ما سأل عنه الرّجل، فكلّ ما قاله يدلّ على رفضه قول معمّر الهاديّ بوجوب خفض الرّؤوس والعمل بهدوء من أجل العيش، فكلّ ما تحدّث عنه كان يمكن أن يختصره في الجملة الأولى:"– **أعتقد إن علي أن أقول أنني غير موافق على ما تقول.**"[2] ولكن هو فضّل إقناع معمّر الهاديّ، وأتى بحجّة لها قيمة في الحوار تشبه القنبلة الموقوتة الّتي ستنفجر في أيّ لحظة "– **كلّ رجل من هؤلاء الرّجال الّذين تراهم حولك هو الآن أشبه بالبارود، يكفي أن تسقط عليه شرارة..**"[3] فالنّاس ضاقوا ذرعا لن يرضوا بالذّلّ، بل سينتفضون دون شكّ. و نحتسبها جملة مناقضة تماما لما قيل، وغامضة بالنّسبة لكلام معمّر الهاديّ(مبدأ الطّريقة). كما جاء كلام بادعدوش موافقا لكلام علي بن رباح "– **بارك الله فيك.**"[4] كلّ الّذي قاله الأوّل كان يدور في ذهن بادعدوش، وهذه الجملة أجّجت حالته النّفسيّة، وكأنّما كلّ ما أراد قوله سبقه إليه علي بن رباح.

تظهر براعة محمّد ديب في هذا المشهد الحواريّ، حيث تجلّت في طريقة النّقاش الّتي تقاطعت فيها الأفكار وصولا إلى أراء مختلفة، ويظهر الخرق في موضعين فقط، خرق الكمّ وخرق الطّريقة:

حوار معمّر الهادي	احترام مبدأ التّعاون	خرق الكمّ	خرق الكيف	خرق العلاقة	خرق الطّريقة
تكرارات الخرق	0	1	0	0	1

3-10 حوار الرّجال مع زهرة:

و في هذا الحوار نجد انتهاكا لمبدأ العلاقة:"– **ما من أخبار يا زهرة. عودي إلى البيت.**

[1] محمّد ديب، الحريق، ص141.

[2] المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

[3] نفسه، الصّفحة نفسها.

[4] نفسه، الصّفحة نفسها.

زهرة: أعود إلى البيت؟"[1] حيث قطع الرّجل شكّ زهرة باليقين، كما نفى وجود جديد بخصوص زوجها، وهي ردّت بجملة استفهاميّة تبدو غير مناسبة لما قاله الرّجل، أو الشّيء الّذي تستفهم عنه قد أجاب عنه الرّجل فلا داعي للاستفهام، أو المفروض أن تسأل عن زوجها أو أن يكون الحديث عن زوجها، ولكن هي ردّت بكلام عن كلام الرّجل حينما طلب منها العودة إلى المنزل، فكأنّما تقول: كيف سأعود إلى المنزل؟ والّذي أبحث عنه هو خارج ذلك البيت، فكأنما تطلب دافعا منه يشجّعها ويجعلها تعود إلى البيت. وفي هذا الحوار لا نجد إلّا خرقا واحدا هو خرق العلاقة.

حوار الرّجال	احترام مبدأ التّعاون	خرق الكمّ	خرق الكيف	خرق العلاقة	خرق الطّريقة
تكرارات الخرق	0	0	0	1	0

3-11 حوار عيسى وبوشناق ومحمّد ونجّار مع بن أيّوب:

يرسل بن أيوب شفرات إلى مخاطبيه من شأنها تشغيل آلية الاستدلال لفهم قصده في هذا الحوار: "- **أُذكر لنا ولو عملا واحدا من الأعمال الجديدة الّتي طالما حدّثتنا عنها. بن أيّوب: خذوا هذا المثال: إنّ معظم فلّاحينا يحرثون الأرض عمق إبهام. وينبغي لهم الآن أن يحرثوها عمق ذراع.**"[2]

إنّ النّظرة الأولى لهذا المقطع من الحوار تظهر أنه قد خرق قاعدة الطّريقة، فالرّجال لمّا طلبوا من بن أيّوب أن يأتي لهم بحديث عن عمل جديد، ردّ عليهم بشكل غير مباشر بطريقة غامضة. ومادام المتخاطبون متعاونين فسيتمّ العمل على توليد المعنى المقصود خاصّة أنّ الكلام يدور بين أناس بسطاء، فلا يمكن له أن يراوغ أو يثير الغموض في كلامه، وما يؤكّد ذلك قوله: "- **هل تفهمونني الآن؟**"[3] قوله ذاك يطرح ثنائية ضدّيّة هي السّطحية في مقابل العمق(الحرث السّطحي عمق إبهام والحرث العميق عمقه ذراع) والمقصود من قول بن أيّوب هو عمق التّفكير والغوص في عمق القضايا، إذ إنّ ذلك ينبع من التحام الأنموذج النّفسيّ(التّفكير) بروح الأرض، فالتّغيير الّذي طرأ على الجزائر يحتاج إلى أن يتسرّب إلى حياة الفلّاحين، والوعي بالأمور هي مسؤوليّة الجميع،

[1] محمّد ديب، الحريق، ص 142.

[2] المصدر نفسه، ص ص 153، 154.

[3] نفسه، ص153.

والتّغيير يبدأ بالعودة إلى الذّات ثم الغير لصنع غد أفضل. ولا يتأتّى ذلك إلّا برجال أكفاء. فالمخاطِب:« الّذي لا يدع للسّامع مجالا للاستفسار عن مقصوده من الكلام يكون متعاونا بالمعنى التّداوليّ ولا حاجة للنّظر في مضمون ما قاله.»[1]

جعل الحوار السّابق المخاطِب يطرح حوارا أقوى تدعّم حقيقة القضيّة السّابقة، فكان لزاما عليه أن يكون مباشرا في كلامه الّذي يقول فيه:"- **إنسان هذه الأيّام يفكّر أكثر ممّا يحسن التّعبير. الإنسان الجزائريّ يفكّر الآن كثيرا. أرجو ألّا يخرج من هذا إلّا خير**. بن أيّوب: **لن يخرج منه إلّا خير، أيّها الجار محمّد. لن يخرج منه إلّا خيرا. صدّقني.**"[2] لهذا ورد موافقا لمبدأ التّعاون، حيث جاء ردّ بن أيّوب حسب قول محمّد حول الإنسان الجزائريّ الّذي أصبح يفكّر أكثر ممّا يقول، ويرجو أنّ في ذلك خير، بينما ردّ محمّد: "**أخذت الرّوح العظيمة تهتزّ في أرضنا.**"[3] انتهك مبدأ العلاقة؛ إذ غيّر محمّد مسار الحوار ليبدو غير مناسب لما قيل، إلّا أنّ المتأمّل في عمق كلامه يجد أنّ المقصود من ذلك هو: أنّ هذا الوعي من أجل التّغيير تهتزّ من وقعه الدّنيا وترتعد، لتُخرج خيرا لهذه الأرض. ويتساوى عدد مرّات خرق الكيف وخرق العلاقة وخرق الطّريقة مع احترام المبدأ.

حوار عيسى	احترام مبدأ التّعاون	خرق الكم	خرق الكيف	خرق العلاقة	خرق الطّريقة
تكرارات الخرق	1	0	0	1	1

3-12 حوار علي بن رباح مع سليمان:

عندما قال علي بن رباح لسليمان:"- **إلى اللّقاء يا سليمان. ألم تشم رائحة ما؟ إنّ رائحة كريهة قد زكمت أنفي منذ لحظة وحبست أنفاسي. فأخذ سليمان يضحك.**"[4]

خرق مبدأ العلاقة فلا مناسبة بين المقال والمقام، فالطّرفان كانا يدخّنان على مرتفع القرية، ومن المؤكّد أنّهما يتبادلان أطراف الحديث إلى أن قال علي بن رباح: ألم تشم رائحة ما؟ إنّ رائحة

[1] محمّد قويدر رحماني، فاطمة وكّال، الاستلزام الحواريّ من لغة المنطق إلى المنطق اللّغويّ، مجلّة المدوّنة، العدد 3 سبتمبر 2021. ص 2312.

[2] محمّد ديب، الحريق، ص 154.

[3] المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

[4] نفسه، ص 169.

كريهة قد زكمت أنفي منذ لحظة وحبست أنفاسي، فالكلام هنا غير مناسب. وإذا انطلقنا من مبدأ أساسيّ وهو أنّ المخاطِب متعاون مع مخاطَبه يمكن لسليمان أن يصل إلى ما يقصده بقوله كما بيّنته ردّة فعله المتمثّلة في الضّحك، حيث يمكن اعتبار كلام علي بن رباح تلميحا على أنّ شخصا قادما غير مرغوب فيه، وأنّ قدومه يجعل الناس ينفرون منه كما ينفر الإنسان من الرّائحة الكريهة، فالرّائحة الكريهة تعني أعمال قره القذرة وسمعته السّيّئة. فالمخاطَب في مثل هذه الحالات يتساءل عن سبب قول تلك الجملة ولكن باستحضار كلّ عناصر الموقف يفهم المقصود. وفي هذا الحوار خرق واحد هو خرق العلاقة كما يظهر في هذا الجدول:

حوار علي بن رباح	احترام مبدأ التّعاون	خرق الكمّ	خرق الكيف	خرق العلاقة	خرق الطّريقة
تكرارات الخرق	0	0	0	1	0

3-13 حوار زوجة بن أيّوب مع امرأة عجوز:

قبل الخوض في هذا الحوار لابدّ من الوقوف على السّياق الّذي قيل على إثره الكلام. لقد كانت مناسبة الحوار تجنيد أبناء زوجة بن أيوب، وتبدو هذه الأخيرة مستقبلة للخطاب من محاور لها بادرتها بتهدئتها والكفّ عن البكاء، فبدأ الحوار بينهما كالتّاليّ:"- **دعيني، لقد طفح قلبي. إنّني في حاجة إلى البكاء. العجوز: أنت صبيّة يا بنتي، وما فقدت أحدا، ففيم البكاء؟ اطردي إبليس من نفسك. إنّما أبكي على نفسي، وعلى حياتي.**"[1]

وقد تحقّقت فيه مبادئ التّعاون، إذ جاءت إجابة المرأة على القدر المطلوب دون زيادة أو نقصان، موجزة في كلامها، وكانت صادقة فيه، إجابتها مباشرة لا غرابة فيها. وهذا الحوار أردف حوارا آخر يوثّق التّرابط بينهما، وجمع بين والدة بن أيّوب ومجموعة من النّساء، بدأ كالتّاليّ:

"- **الله يلعنه. الله يلعنه. ما هذا العذاب. لقد احترق قلبي. وأصبح من رماد. أولادي، أولادي، أخذوا أولادي.** إحدى النّساء: **صفيّة، هدّئي نفسك قليلا يا أختي. (أفعل ما أستطيع يا أختي.)**"[2]

[1] محمّد ديب، الحريق، ص 204.

[2] المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

انتهكت جملة " أفعل ما أستطيع" مبدأ العلاقة، فالمرأة تطلب منها الهدوء والكفّ عن البكاء، وهي ردّت بقول لا يتناسب، وتقصد بذلك البكاء هو ما أستطيع فعله ما بيدي حيلة. وفي هذا الحوار احترام واحد للمبدأ وخرق واحد للعلاقة.

حوار الزوجة	احترام مبدأ التّعاون	خرق الكمّ	خرق الكيف	خرق العلاقة	خرق الطّريقة
تكرارات الخرق	1	0	0	1	0

3-14 حوار المضربين مع بعضهم:

لقد أشرنا سابقا[1] **إلى** أنّ التّواصل يرتكز على حقيقة غير مصرّح بها، ويتمّ إدراكها عن طريق عمليّات استدلاليّة، في هذه الحالة لدينا حوار المضربين مع بعضهم، استهلّه علي بن رباح مع الرّجال بحديثه عن معاناته الّتي كانت سببا في إضرابه عن العمل، وعن عدم قدرته على تسديد ديونه عند البقّال، وأنّه لا يملك ما يطعم به عائلته، تدخّل صبيّ ليحتجّ هو أيضا معلنا انضمامه للإضراب. و قبل ذلك كان يتحدّث هو أيضا عن فقره الشّديد، إذ لا يملك الطّعام، ولا الملابس، ولا الفراش، ثم قال:" – **أمي لم تمت إلى الآن**"[2] وفي هذه الجملة نجد انتهاكا لمبدأ العلاقة، فالمبدأ يقتضي أن يجعل المسهم في الكلام كلامه ذا علاقة بالموضوع، ونحن نجد أنّ الصّبيّ يتحدّث عن معاناته، ثمّ فجأة قال ذلك الكلام؛ أي لم تمت إلى الآن، ما يجعل المخاطَب يتساءل عن علاقة هذا الكلام بالإضراب وبفقره، فكلامه هذا غير ملائم في هذا المقام، المخاطَب يبحث عن القصد وراء تلك الجملة، فالمقصود هو: إنّ من واجبي أن أعيل أمّي ومع ذلك فأنا مضرب معكم، أو يقصد أنّه يتقاسم تلك المعاناة مع والدته.

يظهر من خلال هذا الحوار القصير بين بادعدوش والصّبيّ: "– **بادعدوش: أنا هرم يا مخلوقات الله؟ قولوا: أيعدّ رجل مثلي عجوزا هرما؟ هل يعدّ رجل مثلي عجوزا هرما؟ تكلّم يا بنيّ. سيعلم النّاس الحقيقة من فمك.** الصّبيّ: **لا، يا عم بادعدوش. لست هرما. لا يمكن أن تكون**

[1] ينظر: ص108 من هذه الأطروحة.

[2] محمّد ديب، الحريق، ص224.

هرما."[1] يظهر أنّ مبدأ التّعاون بكلّ فروعه قد تحقّق، فقد استخدم في إجابته القدر المطلوب من الكلمات(مبدأ الكمّ)، وكان صادقا في كلامه(مبدأ الكيف) فقد شاهد الصّبيّ حقّا بادعدوش حينما رفع صخرة كبيرة، فالشّخص الهرم لا يملك القوّة الكافية لرفعها، كما أنّ إجابته لها علاقة بموضوع السّؤال (مبدأ العلاقة)، واضحا وموجزا في كلامه فقد قال شيئا يقصده تماما. وفي هذا الحوار احترام واحد للمبدأ وخرق واحد للكيف.

حوار المضربين	احترام مبدأ التّعاون	خرق الكمّ	خرق الكيف	خرق العلاقة	خرق الطّريقة
تكرارات الخرق	1	0	0	1	0

3-15 حوار عزّوز مع الرّجال:

إذا انتهك المخاطِب مبدأ من مبادئ التّعاون أدرك المخاطَب الفطن ذلك وسعى للوصول إلى هدف المخاطِب من هذا الانتهاك. ونضرب مثالا لتوضيح ذلك من خلال حوار عزوز مع الرّجال: "- **عزّوز: سامحوني أيّها الإخوان. فيم بقائي هنا أتكلّم؟ أو أصمت؟ لقد أحسنت وفادتي في هذا البيت، فبارك الله في صاحبه. ولكن لم يبق ما افعله هنا. ليس هذا البيت بيتي. يجب أن أذهب. لاشكّ أنّ الله يرى كلّ شيء. الرّجال: ابق يا عزّوز،ابق. لم تسترح يا عزّوز. استرح قليلا. ابق يا عزّوز. قال أرديني صاحب الكوخ.أنت هنا في بيتك.**"[2]

جاء ردّ صاحب الكوخ في نهاية الحوار بطريقة غير مباشرة، استدعى من عزّوز أن يفهم مقصوده بطلب البقاء منه، وفي هذا الحوار تمّ خرق مبدأ العلاقة، فلو تمعّنا جيّدا فيه نجد أنّ هذا الرّدّ له علاقة بكلام عزّوز، ولكن بطريقة غير مباشرة، يعني: لا مجال للمغادرة حتّى وإن احترق الكوخ يبقى ذلك بيتك. كان بإمكانه أن يقول له كما قال الآخرون (ابق) ولكن طلبه جاء بطريقة غير مباشرة، يحاول بها مواساة الرّجل ومساندته في محنته، وهذا ما فعله أيضا سليمان حينما راح يغنّي للرّجل محاولا التوسّل من أجل البقاء فأجاب عزّوز:"- **إنّ الله لا يبيح لنا، نحن المسلمين،**

[1] محمّد ديب، الحريق، ص224.

[2] المصدر نفسه، ص ص233، 235.

أن نقنط."[1] وهو جواب غير مباشر لتوسّلات الرّجال بقبوله البقاء وأنّ عليه الصّمود مهما حدث، بعدما كان يائسا من قبل. ومن خلال هذا الجدول يتّضح وجود خرق واحد هو خرق العلاقة:

حوار عزوز	احترام مبدأ التّعاون	خرق الكمّ	خرق الكيف	خرق العلاقة	خرق الطّريقة
تكرارات الخرق	0	0	0	1	0

3-16 حوار فاطمة مع الجارات:

دار حديث بين فاطمة (أخت حميد سراج) ونساء الدّار حول المناضل حميد سراج، فراحت كلّ واحدة تبدي موقفا خاصّا وكأنّ الحدث لا يعنيهنّ إطلاقا، عقولهنّ انشغلت بأمور أخرى تماما. بل وصل بهنّ الأمر إلى الاستخفاف بهذه الشّخصيّة المناضلة، في اعتقادهنّ سجنه هو جزاء ما فعله، ونتيجة لأطماعه في انتزاع البلاد من حكم الفرنسيّين وتسييرها.[2]

يشتمل هذا المقطع من الحوار على انتهاك مبدأ العلاقة: "- **تقول إحدى الجارات: انظروا إلى أحوالنا نحن المسلمين. كنت مارّة من الشّارع منذ مدّة، فسمعت بائعا من بائعي السّكّر يؤنّب رجلا آخر بقوله" حين تتعلّم أكل الشّيكولاته تعال إليّ. سأبيعك شيكولاته" .. سأبيعك الشّيكولاته حين تتعلّم أكلها، أمّا قبل ذلك فلا" مساكين نحن! لم نتعلّم أكل الشّيكولاته ومع ذلك نريد أن نحكم.**"[3] فقد كان الحديث يدور حول حميد سراج وخصاله، فجأة تدخّلت إحدى النّساء لتذكر المسلمين والشّيكولاته وكيف أنّ النّاس لا يعرفون طعم الشّيكولاته ويريدون أن يحكموا البلاد. هذه الجارة لم تقل كلامها من باب القول فقط أو بهدف توضيح الأمر، فقصدها أبعد من ذلك، هو السّخرية، ويلجأ أحيانا إليها لتمرير حقيقة ما:« فهي فنّ إبراز الحقائق المتناقضة والأفكار السّلبيّة.»[4] فما علاقة الحكم بأكل الشّيكولاطه؟ هل الجائع لا حق\اذ له في الحكم؟ أم إنّ الجائع لا يطمح إلى الشّيكولاطه فهي من الكماليّات، فإذا استطاع توفير الضّروريّات فإنّه محظوظ. هذا

[1] محمّد ديب، الحريق، ص235.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص 247-249.

[3] نفسه، ص 248.

[4] حامد عبد الهوال، السّخريّة في أدب المازني، دط، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر1982. ص35.

الحوار يبيّن تدنّي درجة الوعي عند هؤلاء النّسوة، المفروض الافتخار والاعتزاز بهذه الشّخصيّة المنتمية إلى الدّار الكبيرة، الّتي استطاعت أن تنجب مناضلا اسمه حميد سراج.

إنّ الاستخفاف بالأمور الّتي هي في الأصل عميقة، تحتاج إلى عمق التّفكير وطول التّأمّل، ومن الصّعب أن تستوعب امرأة مثلها ما يطمح إليه حميد سراج، شتّان بين مثقّف وجاهل. ويأتي محمّد ديب في الفصل العشرين من الرّواية ليبيّن قمّة لامبالاة النّسوة حينما جاءت امرأتان عند عيني لأخذ فساتين العرس. وهو ما رأيناه في حوار عيني مع صاحبة المال. وهذا الجدول يبيّن كلّ الخرق في هذا الحوار:

حوار فاطمة	احترام مبدأ التّعاون	خرق الكمّ	خرق الكيف	خرق العلاقة	خرق الطّريقة
تكرارات الخرق	0	0	0	1	1

يتّضح من خلال الجدول وجود خرق واحد لقاعدة العلاقة، وخرق واحد لقاعدة الطّريقة.

3-17 حوار السّلطات مع الفلّاحين:

بعد الحريق الّذي حدث في بني بوبلان قامت السّلطات بحملة اعتقالات عشوائيّة وأخذت تستجوب الفلّاحين في حوار نصّه كالتّاليّ:"- **السّلطات:هيه ... أنت... لماذا أضربت عن العمل؟ الفلّاح: كنت لا أستطيع أن أعيش، أنا وأسرتي، بالأجر الّذي كنت أتقاضاه. السّلطات: ها... كنت لا تستطيع أن تعيش. لعلّك تريد أحيانا أن تملك فيللا، وأن تملك سيّارة؟ ولكن هلّا نظرت إلى نفسك؟ الفلّاح: ليس هذا ما قلته... السّلطات: لي هذا كلّ شيء. لقد تآمرت أنت ورفاقك على فرنسا. أأنت من حزب الشّعب الجزائريّ أم أنت شيوعيّ؟ اعترف حالا. وإلّا... قل من هم الّذين ينتمون من بينكم إلى حزب الشّعب الجزائريّ، أو إلى الحزب الشيوعيّ، فما يصيبك أنت أذى.**"[1] في البداية كان الطّرفان متعاونين(الفلّاح والمستجوب)، حيث سألت السّلطات عن سبب الإضراب فردّ الفلّاحون حسب مضمون السّؤال دون زيادة أو نقصان(مبدأ الكمّ)، وكانوا صادقين في قولهم(مبدأ الكيف)، وردّهم كان مناسبا تماما(مبدأ العلاقة)، بإيجاز لا غرابة فيه ولا غموض(

[1] محمّد ديب، الحريق، ص ص 266، 267.

الطّريقة). ولكن ردّ الطرف الآخر حينما أجابه الفلّاحون كان منتهكا لمبدأ الكمّ، فلم يتحدّث وفق القدر المطلوب، أخذ يتحدّث معهم باستخفاف وسخرية.

وفي نهاية الحوار يبدو أنّ الفلّاح غير متعاون تماما مع مخاطبه، فلم يجب عن الأسئلة الّتي طُرحت عليه، فعندما حاولت السّلطات أن تستدرجه التزم الصّمت، فلا علم له بكلّ القضايا الّتي سُئل عنها، لم يفهم منها شيئا، وليست لديه معلومات يعترف بها، فلو أراد حقّا أن يكون متعاونا ومشاركا في العملية التّخاطبيّة لحاول مثلا أن ينكر كلّ التّهم الّتي نسبت إليه، أو على الأقلّ يحاول أن يراوغ للتملّص منهم. وفي هذا الحوار نجد احترام المبدأ من جهة ورفض التّعاون من جهة ثانية:

حوار التّحقيق	احترام مبدأ التّعاون	رفض التّعاون
تكرارات الخرق	1	1

4- تحليل حوارات النّول:

4-1 حوارات عمر:

ذهب عمر إلى مصنع لطلب العمل، فكان في لقائه رجل يدعى شول. وجرى بينهما هذا الحوار:" – **ماذا تريد؟ ما الّذي جاء بك، هه؟ قل.. أجاب عمر: أرسلني صاحب المصنع. صاحب المصنع هو الّذي أرسلني لأعمل مكبّبا.**"[1]

حدث في جملة (أرسلني صاحب المصنع) خرق لمبدأ الكمّ؛ لأنّ عمر لم يقدّم معلومات كافية. في البداية لم يجب عن السّؤال، سُئل عن سبب مجيئه، فأجاب بأنّ صاحب المصنع أرسله، والّذي جعل عمر يجيب بهذه الطّريقة هو تركيزه على صاحب المصنع، حتّى يعطي وزنا لكلامه، كما استعمله كورقة للمرور أمام هذا الشّخص الغريب والمتسلّط، بينما في آخر الحوار أجاب إجابة على وفق القدر المطلوب من المعلومات، وهي الإجابة الّتي من المفروض أن تقدّم من البداية(صاحب المصنع هو الّذي أرسلني لأعمل مكبّبا).

[1] محمّد ديب، النّول، ص 286.

يبدأ زبيش حواره مع عمر بقوله:"– **ما عمرك؟ خمس عشرة سنة. ما اسمك؟** عمر ثمّ يردّ بسؤال فيجيبه زبيش قائلا: **وأنت؟ أنا الّذي أسألك، وليس لك أن تلقي أسئلة. اسمي حامي زبيش فهو اللّقب الّذي ألقّب به. واعلم أنّني هنا رئيس الصّبية فعليك أن تفعل كلّ ما آمرك به. هل فهمت يا مغفّل؟ فحذّره** عمر قائلا: **إيّاك حذار. فردّ زبيش عليه بقوله: أأنت من أهل المشاكل؟ اسمع يا عصا.. هل نتصالح، هل تريد؟ أنت ترنّحت لأنّني رميتك بسهامي، فاعلم أن الأمور ستظلّ تجري على هذا المنوال ما بقيت هنا.. إنّك لم تر شيئا بعد. انتظر قليلا، وليسلخنّ جلدك سلخا.. موافق؟ ليس يجديك أنّك كبير. ولسوف ترى هذا بأمّ عينيك. أنت جديد، وعلى الجديد أن يطيع القدامى. عليك أن تطيع، هذه نصيحتي إليك.. الطّاعة خير لك. حسن.. أنت فتى طيّب... هيا كبّب شلّل الغزل الّتي تراها هناك. حاول ألّا تنسى في المساء، قبل إغلاق الدّكّان، إن عليك أن ترتّب الأشياء المبعثرة، وأن تكنس الأرض، وأن تحمل الأغطية إلى المستودع بعد ذلك.**عمر: **وأنت؟ أنا؟ سأفعل مثلك يا أبله.. ولكنّني هنا أقدم منك، فعليك أن تتّبع نصائحي. ستجري الأمور على خير حال إذا أنت قرّرت أن تطيعني.."**[1]

لقد عدل عمر عن قول الصّدق منتهكا مبدأ الكيف وهو المبدأ الّذي يقتضي أن يكون الإسهام في التّبادل الكلاميّ صادقا. قال عمر في هذا الحوار ما يعلم أنّه كاذب، وقد تحقّق هذا الانتهاك عن طريق استخدام جملة(خمس عشرة سنة)، حيث نجد في ثنايا الرّواية أنّ سنّ عمر الحقيقيّ هو أربع عشرة سنة، وقد كذب بهدف زيادة في حظوظه للحصول على فرصة عمل في ذلك المصنع. فصغر السّنّ قد يجعله يواجه مشكلة في إتاحة فرص العمل ويزيد من صعوبات الحصول عليه.

حينما سُئل عمر عن عمره أجاب، وبدوره سأل الصّبيّ عن اسمه هو أيضا. عند أوّل لقاء بين شخصين من الطّبيعيّ أن يُطرح السّؤال المعتاد"ما اسمك؟" فهذا يبعث على الرّاحة النّفسيّة، كما أنّ زبيش صبيّ مثل عمر ما جعل عمر يتجرّأ على طرح هذا السّؤال عليه، ولكن في جواب زبيش نجد انتهاكا لمبدأ الكمّ، سئل عن معلومة واحدة فراح يفرض سلطته على عمر، ويضع نفسه في منزلة الآمر والنّاهي في ذلك المصنع، كلّ ذلك خوفا من أن يتمادى عمر ويستغلّ تلك الفرصة(فرصة اللّقاء)، فتُفقد هيبة الصّبيّ، خصوصا وأنّ عمر أكبر منه سنّا. فإنّه قد سئل عن اسمه كان يجب أن يقول مباشرة"اسمي حامي زبيش" ولكنّه عمد إلى تطويل الجملة للغرض الّذي ذكرناه. كما انتهك

[1] محمّد ديب، النّول، ص ص 287، 288.

مبدأ من مبادئ الطّريقة وهو مبدأ عدم الغرابة ويكمن ذلك في جملة " **هل فهمت يا مغفل؟**" هذه الجملة جعلت عمر حائرا، لم يفهم سبب قول ذلك. وحدث انتهاك لمبدأ آخر من مبادئ الطّريقة وهو الإيجاز في قوله"– **أأنت من أهل المشاكل؟ اسمع يا عصا.. هل نتصالح، هل تريد؟ أنت ترنحت لأنني رميتك بسهامي، فاعلم أن الأمور ستظلّ تجري على هذا المنوال ما بقيت هنا.. إنّك لم تر شيئا بعد. انتظر قليلا، وليسلخنّ جلدك سلخا.. موافق؟ ليس يجديك أنّك كبير. ولسوف ترى هذا بأمّ عينيك. أنت جديد، وعلى الجديد أن يطيع القدامى. عليك أن تطيع، هذه نصيحتي إليك.. الطّاعة خير لك. حسن.. أنت فتى طيّب... هيا كبّب شلّل الغزل الّتي تراها هناك.**

ويتواصل انتهاك مبدأ الكمّ في قول زبيش"– **أنا؟ سأفعل مثلك يا أبله.. ولكنّني هنا أقدم منك، فعليك أن تتّبع نصائحي. ستجري الأمور على خير حال إذا أنت قرّرت أن تطيعني..**" فوفق السّؤال المطروح يكفي أن تكون الإجابة (سأفعل مثلك) بما أنّه حدّد توجيهات يجب أن يتّبعها عمر قبل الإغلاق، وهي معلومات مقدّمة سلفا، فالجملة الأولى كافية وتفيد الغرض المطلوب، لكن زبيش في كلّ مرّة يستعرض قوّته أمام عمر، وكأنّه ينتظر عمر عند أصغر خطأ يرتكبه.

بينما كانت عيني مستلقية فجأة استسلمت للنّوم، فأخذت تصارع أشباحا في نومها، وبعدما استفاقت أصيبت بصدمة وذعر كبيرين، فوجدت عمر في المكان، أخذت تسأله عن أختيه وعن سبب عدم ذهابه للقائهما، كما أخذت في الحديث مع ابنها عن موعد تقديم المواد الغذائيّة من قبل البلديّة.[1]

حدث في هذا الحوار خرق لعدد من قواعد مبدأ التّعاون، وأوّل هذه المبادئ: مبدأ العلاقة، فعيني لمّا سألت عمر عن أختيه قائلة:"– **ألم تجيء أختاك بعد؟ لماذا لا تذهب للقائهما يا بنيّ؟**"[2] إجابته لا تتناسب مع طبيعة السّؤال الّذي طرحته فقال: "– **ألا تعلمين أنّهما لا تخرجان من المصنع إلّا في السّاعة السّادسة؟ ستجيئان.**"[3] وجب أن تكون إجابته على قدر السّؤال: (لا، لم يحن موعد وصولهما). كما أنّ قوله:" **ستجيئان**" يحاول طمأنة والدته، حين لاحظ أنّها قد استفاقت مذعورة غير مدركة للوقت بالتّحديد، فقد ظنّت أنّ المدّة الّتي قضتها في النّوم طويلة جدّا فخُيّل

[1] ينظر: محمّد ديب، النّول، ص 295–297.

[2] المصدر نفسه، ص295.

[3] نفسه، الصّفحة نفسها.

إليها أنّ ابنتيها قد تأخّرتا، فاستمرّ ذلك الخوف الّذي شعرت به أثناء رؤيتها للكابوس إلى حين استيقاظها. ثمّ ردّت على عمر بقولها:"– **يا محمّد في البيت، والعمّة فاطمة في السّوق: هذا ما يجب أن يقال عنك.**"[1] فالقصد غير الظّاهر في كلامها، هو أنّ الرّجال في البيت والنّساء خارجا، الأجدر أن يكون الأمر معكوسا؛ عمر من سيتولّى شؤون البيت وليست عيّوشة ومريم كما تقتضي العادات، فمكان الرّجل خارج البيت. وفي هذه الحالة يجب أن ينتبه عمر لذلك ويسعى للوصول إلى ما قصدته والدته من هذا الانتهاك.

ومن المبادئ الّتي تمّ خرقها أيضا: مبدأ الكمّ، ويتّضح ذلك في قول عمر ردّا على سؤال عيني: "– **لا، لم يعلن إلّا عن الزّيت والصّابون، وقد أخذناهما. فإذا فعلوا كما فعلوا في المرّة الماضية، كان توزيع الدّقيق لا يجيء أوانه إلّا بعد ثمانية أيّام.**"[2] عيني سألت عن شيء واحد هو الدّقيق" – **هل رأيت إعلان البلديّة؟ هل أعلن عن توزيع الدّقيق؟**"[3] وهو أجاب أكثر من ذلك. إذا قال:(لا) ستكون إجابته تامّة الفائدة.

كما انتهك عمر قاعدة الطّريقة في هذا الحوار أيضا: "– **الشّحّاذون يصلون من كل مكان في هذه الأيام.** عمر: **لا غرابة في هذا الجوّ على ما ترين.**"[4]

نلحظ في ردّه عدم الوضوح مقارنة بما قالته عيني، فهي تتحدّث عن كثرة نزوح الشحّاذين إلى المدينة في هذه الأيّام، وعمر ردّ بقوله إنّ الجوّ هو من ساعد في ازدياد أعدادهم، ويقصد بذلك جوّ الشّتاء، فقد ذُكر في ثنايا الرّواية أنّ الفلّاح في فصل الشّتاء لا يجد ما يفعله، بل يمضي فارّا إلى كوخه يرتجف من البرد، بينما في فصل الصّيف يحلّ موسم الحصاد وجني الثّمار. وهنا يقصد عمر أنّ الشّتاء هو موسم الجوع بالنّسبة للفلّاح، فلا يجد عملا يتقاضى منه أجرته.

قال عمر:"–**جاءتا.** عيني: **اخرس.. أتظنّ أنّ ليس لي أذنان أسمع بهما؟**"[5] انتهكت جملة عيني مبدأ من مبادئ الطّريقة: وهو الوضوح. فهي تريد أن تقول "سمعتهما" إذ يصل صوتهما إلى

[1] محمّد ديب، النّول ، ص295.

[2] المصدر نفسه، ص297.

[3] نفسه، الصّفحة نفسها.

[4] نفسه، الصّفحة نفسها.

[5] نفسه، الصّفحة نفسها.

المنزل كما يظهر في الرّواية، وإنّما تذمّرت من كلام عمر، ويبدو أنّها لا تزال محتفظة بتلك الشّحنة الانفعاليّة الّتي تأجّجت نتيجة عدم ذهابه، والمقصود من قولها: **(عوض أن تذهب للقائهما بقيت في المنزل، الآن وقد جاءتا لا أحتاج إلى سماع كلامك فقد سمعتهما، لا داعي إلى أن تطمئنني الآن)**، فهذا الكلام كانت تريد سماعه قبل ذلك، أمّا الآن وقد وصلتا فلا داعي لكلامه.

وفي حوار آخر دار بين عمر وأحد المتشرّدين كالآتي:"– **هات.** عمر:**هل أنت شحّاذ!** المتشرّد: **هل أنا شحاّذ؟ أوه...**"[1]

انتهكت جملة " هل أنا شحّاذ؟ أوه" مبدأ الكمّ؛ لأنّ الشحّاذ لا يؤتي الإجابة الّتي يحتاجها عمر. لقد سأل عمر المتشرّد إن كان شحّاذا بعدما سأله قبلا إن كان يريد أن يأخذ الخبز والسّمك، ولكنّ المتشرّد أجاب بالسّؤال الّذي لا يحتاجه عمر، إجابته غير إخبارية انتهك مبدأ التّعاون. إجابة في شكل سؤال غريب، حيث تظهر على المتشرّد كلّ مظاهر الشحّاذين، فلا حاجة للتّدليل باللّفظ، كما أنّ أخذ الخبز والسّمك لا يستدعي السّؤال، ما جعل المتشرّد يتبع كلامه بقوله" أووه" للتّعبير عن عدم الرّضا.

استهلّ المحاور باصقالي حديثه سائلا عمر عن والده في الحوار الآتي:

"– **من أنت يا بنيّ؟ .. أقصد .. من أبوك؟ لقد مات أبي منذ مدّة طويلة، ولست أذكره. أنت إذن يتيم؟ كان الله معك. ماذا كان اسم أبيك؟ ماذا كان اسمه؟ أحمد دزيري. آ... ماذا كنت تعمل قبل أن تأتي إلى هنا؟ كنت أذهب إلى المدرسة. ها.. أأنت تعرف القراءة والكتابة؟ نعم. وتعرف القراءة والكتابة بالعربيّة؟ لا. كيف لا؟ أتجهل لغتك يا بنيّ؟**"[2]

ليأتي ردّ عمر عليه منتهكا مبدأ الكمّ؛ لأنّ عمر لا يؤتي الإجابة الّتي يحتاجها باصقالي، فمبدأ الكمّ يتطلّب أن تكون مساهمة المخاطَب بالقدر الّذي طلبه السّائل دون أن يزيد أو ينقص. حينما سُئل عن اسم والده المفروض أن يقول: (أحمد دزيري) وليس (لقد مات...) معلومته غير كافية لن توصل باصقالي إلى اسم والده. بينما في الجزء الثّانيّ والثّالث من الحوار نلاحظ احتراما لمبدأ

[1] محمّد ديب، النّول، ص 299.

[2] المصدر نفسه، ص ص 306، 307.

التّعاون ولكلّ المبادئ الّتي تتفرّع عنه، جملة " أحمد دزيري" هي معلومة تفيد باصقالي(مبدأ الكمّ)، صادقة (مبدأ الكيف)، مناسبة لمضمون السّؤال(مبدأ العلاقة)، واضحة وموجزة (مبدأ الطّريقة).

يتّصف الحوار الّذي دار بين عمر والأحمر بالتّشنّج وارتفاعا حادّ في نبرته، وكان المزاح الأرضيّة الأساسيّة لهذا الحوار المبيّن هنا:" – **هل تعرف يا عمر؟ إنّك أشبه بفرّوج صغير باضه المعلّم. فرّوج أمّك. لسوف أسحقه لك، هذا الرّأس القذر.. سترى. اذهب الآن، اذهب..**"[1]

لكنّنا نجد في المقابل ردّا قويّا وسريعا من طرف عمر في قوله " فرّوج أمّك" فقد كان الطّرف الثّانيّ في موقف المزاح والمرح، كما بيّنته القهقهات الّتي تتراكض في المصنع، ما جعل عمر ينزعج من ذلك، فردّ بتلك الطّريقة غير المناسبة لموقف المزاح. إنّ المجتمع الجزائريّ من المجتمعات المحافظة الّتي تحترم الحرمات، فاستحضار كلمة الأمّ في هذا المقام على مسامع الجميع، يعتبر تقليلا من شأنه وحطّا من قيمته، إذ نجد أنّ الأحمر حاول أن يستهزئ بعمر من باب المزاح، لكنّ عمر ردّ عليه بطريقة تعبّر عن عدم رضاه، كمن يهوي به إلى القاع في جملة قصيرة لخّصت معنى السّباب.(خرق مبدأ العلاقة).

إنّ ملفوظ عمر:" **قذر، غدّار، خائن.**"[2] نبرة عالية، تعبّر عنها لفظة(صاح) تنسف غرض المزاح، إذ كانت شرارة انطلاق حوار عنيف لم يصمت صوته حتّى انتهى. وقول عمر ذاك خرق لمبدأ الكيف، حيث قام برشق زميله في العمل بجملة من التّهم، قالها بطريقة عفويّة كانت نتيجة حتميّة لما حدث(ضرب مبرح) فقد أحسّ بالاحتقار، إذ أخذت هذه الكلمات تتسرّب منه لعلّها تشفي غليله، وتطفيء النّار المتوهّجة داخله، وتلك التُّهم لا دليل على صدقها، إذ لا يملك عمر أدلّة تثبت أنّ حمدوش (الأحمر) فعلا غدّار وقذر وخائن. وفي هذا كلّه خرق لمبدأ الكيف.

كما سنرى تحقّق جميع القواعد من خلال المثال التّالي، وهو عبارة عن حوار جرى بين عمر وعكاشة:"– **قهوة أم شاي؟ شاي؟ واحد قهوة، وواحد شاي، يا معلم.**"[3] وسبب هذا التحقّق هو عدم وجود تمييز بين ما قيل وما يعنيه ذلك القول.

---

[1] محمّد ديب، النّول، ص 313.

[2] المصدر نفسه، ص 314.

[3] نفسه، ص ص 331، 332.

وفي حوار آخر:" – **أأنت مؤمن بالله؟ أنا.. لا أدري.. أصحيح حقّا أنّك لا تعرف؟**"[1] نلاحظ أنّ جملة: " **أنا.. لا أدري..**" تقوم على خرق مبدأ الكمّ، ولم يقدّم عمر معلومات كافية عمّا سئل عنه، ولم يجب بالقدر المطلوب، كما أنّ إجابته لا تفي بالغرض المطلوب ولن تفيد السّائل.

وفي الأنموذج الموالي:

"– **ستسافر... وبعد؟ يجب أن يولي البشر ما يستحقّونه من احترام. لماذا صار العالم إلى ما صار إليه، لماذا صار العالم شيئا لا يشتهي المرء أن يلقي عليه نظرة؟ لفقدان الاحترام. إنّ الّذين يحترمون إخوتهم بني الإنسان، لا وجود لهم اليوم على هذه الأرض. كيف ينظر إلينا الأوروبيّون مثلا؟ وكيف ينظر ماحي بوعنان إلى غيره من الناس؟ الأوربيّون ينظرون إليه على أنّه " العربيّ" أي الإنسان الّذي ليس له مثل أعلى، الإنسان المتمرّغ في الجهل والإهمال والاستسلام، الإنسان الّذي لن يتبدّل مهما بذل من جهود من أجل أن ينظّف نفسه من الوحل، إلخ...وماحي بوعنان ينظر إلينا على أننا جياع ليس لنا مثل أعلى، على أنّنا أقرب إلى البهيمة منّا إلى الإنسان، على أنّنا أناس كسالى نريد أن نعيش من دون أن نعمل، إلخ.. أنت تكره جميع الناس. جميع الناس؟ ربّما.. ذلك بعينه ما يحزّ في النّفس.**"[2]

في هذا الأنموذج ردّ عكاشة على عمر بإجابة طويلة حدث فيها خرق للكمّ، عمر يريد القول لعكاشة: عزمت وقرّرت السّفر، ثمّ قال: وبعد؟ وقصد بذلك أنت ذاهب تاركا خلفك كلّ شيء، فكان جوابه طويلا يختصر القصد بأنّ لا وجود لأيّ شيء، هنا يتحسّر على فراقه فحتّى وجوده منعدم، فلا قيمة له في بلده.

يتردّد خرق مبدأ التّعاون في عدد من قواعده وفي أكثر من حوار جمع بين عمر وحمدوش، أوّلها: "– **إلى أين أنت ذاهب؟ لا أدري. وأنت؟ قد أذهب أنا إلى عكاشة في المطعم. ولكن.. دعك من** " **ولكن**" **هذه. سأذهب إليه معك. هناك ما أحبّ أن أقصه عليه.**"[3]

---

[1] محمّد ديب، النّول، ص332.

[2] المصدر نفسه، ص 338.

[3] نفسه، ص ص 350، 379، 381، 388.

والّذي فيه خرق لمبدأ الكيف في جملة" لا أدري. وأنت؟ قد أذهب أنا إلى عكاشة في المطعم." فعمر لم يقدّم الإجابة الصّحيحة لحمدوش، بل بقي متردّدا، كما لم يكن صادقا، إذ تعوّد في كلّ يوم أحد في ساعة محدّدة أن يلتقي بعكاشة في المطعم أو المقهى، تعمّد قول ذلك تحاشيا لحمدوش، فهو لا يستلطفه ولا يريد أن يلقاه.

وثانيها:"– **هل هنا أحد؟ هه. هذا أنت؟ أدخل يا سيّدي أدخل!**"[1] حين خرق حمدوش مبدأ الكيف في قوله: "**أدخل يا سيّدي أدخل!**" من باب المزاح؛ لأنّ عمر ليس سيّده.

وثالثها:"– **كيف الأحوال يا حمدوش؟ لقد سأل المعلّم لماذا لم تأت إلى العمل؟ مسألة صعبة. هذه أوّل مرّة أرتكب فيها سرقة... تعوزني العادة. مسدّس أوتوماتيكيّ. هه، ما رأيك؟ ولكن أوشكت أن يقبض عليّ.**"[2]

هنا قد تمّ خرق كلّ من مبدأ الكمّ والطّريقة والكيف في هذا الحوار. يتمثّل المبدأ الأوّل في سؤال عمر عن حال حمدوش وعن سبب غيابه، لكنّ حمدوش لم يقدّم معلومات كافية سوى قوله أنّها مسألة صعبة، ثمّ أخذ يتحدّث بكلام غريب وغامض لم يفهمه عمر منتهكا مبدأ الطّريقة وفي نفس الوقت ذلك الكلام الغامض لم يكن صحيحا، حمدوش لم يكن صادقا في قوله وهنا خرق لمبدأ الكيف وإنّما يخفي شيئا من وراء كلامه، فقد شكّ عمر أنّه يخطّط لشيء خطير.

وفي مسار الحوار السّابق نفسه ردّد حمدوش قائلا:"– **لسوف تشكرني في يوم من الأيّام. أشكرك على ماذا؟ ستفهم ذلك فيما بعد.**"[3] وهو قول غامض لم يفهمه عمر، هذا الأخير سأله عن سبب شكره إيّاه، فأجاب إجابة غامضة زادت الغموض عند عمر(خرق مبدأ الطّريقة).

وفي هذه الحوارات تتالت الخروقات على النّحو المبيّن في هذا الجدول، وفي مقدّمتها خرق مبدأ الكمّ يليه خرق مبدأ الكيف ومبدأ الطّريقة:

[1] محمّد ديب، النّول، ص379.

[2] المصدر نفسه، ص388.

[3] نفسه، ص389.

حوارات عمر	احترام مبدأ التّعاون	خرق مبدأ الكمّ	خرق مبدأ الكيف	خرق مبدأ العلاقة	خرق مبدأ الطّريقة
تكرارات الخرق	2	9	5	2	5

4-2 حوار باصقالي مع عامل في المصنع:

ينطلق باصقالي في حواره مع أحد عمّال المصنع من التّجربة الإنسانية الّتي تختزن مضامين ومعلومات تترك بصماتها في كلام المخاطِب، وتجعل المخاطَب يقوم بتسخير كلّ الإمكانات لاستنتاج القصد. ونصّ الحوار كالآتي: - **إنّكم لا تزالون شبّانا والحقّ يقال.** العامل: **لا نزال ماذا؟ لا تزالون شبانا.** العامل: **شبّانا؟** باصقالي: **أصغر سنّا من أن تفهموا هذا الأمر.** العامل: **من أن نفهم ماذا؟** باصقالي: **من أن تفهموا ما كان يشعر به أرباب العمل من احترام لعملنا."**[1]

في هذا الحوار نجد أنّ جملة (أصغر سنّا من أن تفهموا هذا الأمر) قد انتهكت مبدأ من مبادئ الطّريقة بالغموض فهذه الجملة زادت من غموض القصد الّذي يريد الشّاب العامل الوصول إليه، ما جعله يطرح مزيدا من الأسئلة ليفهم، وباصقالي بدوره زاده غموضا وتعقيدا، فالشّاب استغرب ذلك، فكونه شابّا لا يعني أنّه لا يفهم معنى الاحترام، الّذي يكنّه أرباب العمل لعمّالهم، وهنا يريد باصقالي أن يقول له: إنّه لم يعش تلك الفترة الّتي عاشوها هم حين كانوا عمّالا عندهم، فهم شباب؛ ما يعني أنّهم صغار في ذلك الوقت يستحيل أن يستوعبوا ذلك الاحترام، فهو شعور يعاش ولا يُحكى.

من تحليل هذا الحوار وجدنا الخرق قد ورد مرّة واحدة، وتمثّل في خرق مبدأ الطّريقة، كما يوضّحه الجدول الموالي:

حوار باصقالي	احترام مبدأ التّعاون	خرق مبدأ الكمّ	خرق مبدأ الكيف	خرق مبدأ العلاقة	خرق مبدأ الطريقة
تكرارات الخرق	0	0	0	0	1

4-3 حوار الشّاب الأحمر مع شول:

[1] محمّد ديب، النّول، ص 302.

بالعودة إلى هذا الحوار:"- **أنا مريض. لا يظهر هذا لمن يراك. لست أعرض متاعبي. هل لك أن تقول لي ما هي متاعبك؟ أوه .. لا شيء.. لا شيء إلّا المتاعب النّاشئة عن رؤيتك.. عن رؤيتك في كلّ يوم من الأيّام الّتي يخلقها الله. يمينا إنّ نفسي لتمرض من مجرّد النّظر إليك. أتفهم ذلك؟ فرّد عليه: هيّا اعزف على النّاي في الطّرقات، فذلك أنجح لك. أمّا هنا فالنّاس جميعا أهل جدّ. ليس في وسعك أن تفهم.. أنت حسبك أن تأكل و أن تنام وأن تـ... يا لطيف يا رب..**

هل لك أن تعيد ما قلت؟.."[1]

نجد في جواب الأحمر خرقا لمبدأ الكمّ، حينما سأل شول الأحمر عن متاعبه ردّ عليه بجملة تكرّر معناها فجاءت إجابته طويلة إلى حدّ ما، كان بإمكانه أن يقول ببساطة: رؤيتك هي سبب متاعبي.

لقد انتهكت هذه الجملة "**هيا اعزف على النّاي في الطّرقات، فذلك أنجح لك. أمّا هنا فالنّاس جميعا أهل جدّ**" مبدأ العلاقة، حيث لا نجد علاقة بين هذا القول وبين قول الأحمر، فالحديث كان حول شعور الأحمر بالمرض لمجرّد رؤية شول، بينما ردّ شول كان بتلك الجملة الّتي لا تتناسب مع مضمون حديثهما، يقصد به السّخرية من شخص تافه شغله الشّاغل هو مراقبة النّاس، فالأفضل له أن يجد ما يلهيه عن ذلك.

وفي حوار آخر بينهما:"- **المعلم شارب قليلا. كفى هراء.**"[2] يبدو شول فيه معارضا للأحمر، فحينما دخل صاحب المصنع قال كلاما غامضا لم يفهمه العمّال ما دفع بالأحمر إلى قول ما قاله، كما أنّ صاحب المصنع معروف بإسرافه في الشّرب، لكن شول وقف موقفا معتادا وهو إظهار الولاء المطلق لسيّده، حتّى في الأمور الظّاهرة للعيان يحاول تكذيبها، وفي ذلك خرق لمبدأ الكيف(لا تقل ما تعتقد أنّه كذب). شول يعلم أنّ الأحمر على حقّ، ولكنّه أراد تكذيب قوله بطلب الكفّ عن الكلام الّذي لا أساس له من الصّحّة.(كفى هراء).

وهذا الجدول يلخّص ما ورد في الحوار:

[1] محمّد ديب، النّول، ص 313.

[2] المصدر نفسه، ص318.

حوارات الأحمر	احترام مبدأ التّعاون	خرق مبدأ الكمّ	خرق مبدأ الكيف	خرق مبدأ العلاقة	خرق مبدأ الطّريقة
تكرارات الخرق	0	1	0	1	1

وفي هذا الحوار خرق واحد لمبدأ الكمّ، والعلاقة والطّريقة.

4-4 حوار الرّجال في المصنع:

بعد أن فرّ متسوّل واختبأ في المصنع، جاء رجال الشّرطة وألقوا القبض عليه على مرأى الرّجال دون أن يدافعوا عنه ولو بكلمة على الأقلّ، ففتح ذلك مجالا للحديث عن أولئك المتسوّلين الّذين نزحوا إلى المدينة. فأخذوا يتساءلون فيما بينهم عن السبب الّذي أوصلهم إلى تلك الحالة، بعدما كانوا أصحاب الأراضي.[1]

لاشكّ في أنّ الدّلالة اللّسانيّة للقول لا تفصح عن كلّ شيء، فارتباطه بالسّياق يحوّله إلى قصد آخر غير القصد الصّريح، ليشمل كلّ ما يرتبط به، ولتوضيح ذلك سنورد هذا الحوار:"- **أي أوان؟ ألم تسمع بالقول المأثور: لو كان يباع لما رموه؟ كذلك شأن هؤلاء ... فليأت الأوان.. وسنرى.**"[2]

في هذا الحوار الّذي يبدو من خلاله أنّ قول عكاشة:" لو كان يباع لما رموه" فيه خرق لمبدأ العلاقة، حيث لا وجود لعلاقة أو مناسبة بين القولين، لكن ذلك يدفع بالمخاطِب إلى استنتاج أنّ الشّيء الّذي يباع هو الشّيء الّذي يعود بالمنفعة لصاحبه، وهو شأن المتسوّل، فلو كانت له قيمة لما رموه في الشّارع، كذلك الشّيء الّذي يرمى هو الشّيء المهترئ، أو الشّيء الّذي لا حاجة له به، ومنه فلا حاجة إلى هؤلاء، لم تعد هناك منفعة من ورائهم فسلبت أراضيهم وتشرّدوا.

ونجمل تكرارات الخرق في هذا الجدول الإحصائيّ الّذي يشير إلى وقوع خرق واحد هو خرق مبدأ العلاقة:

[1] ينظر: محمّد ديب، النّول، ص 328-331.

[2] المصدر نفسه، ص329.

حوار الرّجال	احترام مبدأ التّعاون	خرق مبدأ الكمّ	خرق مبدأ الكيف	خرق مبدأ العلاقة	خرق مبدأ الطّريقة
تكرارات الخرق	0	0	0	1	0

4-5 حوار عكاشة مع حمدوش(الأحمر):

ولننظر مرّة أخرى إلى هذا الحوار:"- **قل لي، هل صحيح أنّك انخرطت يوما في السّياسة، ثم عضضت أصابعك ندما على ما فعلت؟ السّياسة؟ جميع النّاس يعملون في السّياسة. لست أفهم ما تريد أن تقوله. أنا مثلا أهتمّ بعملي ولا أكترث بشيء عداه. وأنت تعمل في السّياسة أيضا.**"[1]

فيه انتهكت هذه الجملة "**السّياسة؟ جميع النّاس يعملون في السّياسة.**" مبدأ الكمّ، لم يقدّم عكاشة معلومات كافية، وجب عليه أن يجيب (بنعم أو لا)، ولكنّه أجاب بطريقة غير مباشرة تجعل حمدوش يدرك أنّه يعمل في السّياسة، وقوله (النّاس جميعا) يعني ذلك أنّ حمدوش لا يستثنى أيضا. في نفس الوقت هذا الرّد فيه إجابة أكثر من اللّازم، فالسّؤال طرح عن نفسه والإجابة شملت المخاطَب أيضا(جميعا).

انتهكت جملة "**أنا مثلا أهتمّ بعملي ولا أكترث بشيء عداه.**" مبدأ الكيف، هو قول كاذب يكشف عن عكس ذلك، فقد رأينا في الرّواية كيف أنّ حمدوش(الأحمر) مهمل في عمله، وغير مواظب، يتخلّف عن الحضور في كثير من المرّات، ما دفع بعمر إلى زيارته في بيته أين اكتشف أمورا غامضة تتعلّق بهذا الشّخص(كان ينوي القيام باغتيالات). كما أنّ ردّة فعل زملائه تبيّن ذلك فقد أصدروا قهقهات دوّت المصنع. حمدوش حينما قال ذلك فقد علم مسبقا أنّهم سيفهمون قصده.

ونوضّح ذلك بهذا الجدول:

حوار عكاشة	احترام مبدأ التّعاون	خرق الكمّ	خرق الكيف	خرق العلاقة	خرق الطّريقة
تكرارات الخرق	0	1	1	0	0

4-6 حوار حمزة مع عكاشة:

[1] محمّد ديب، النّول، ص 334.

وفي هذا الحوار القصير بين حمزة وعكاشة:"- **لنمسك عن الهذر. لماذا؟ لا لشيء.**"[1]

انتهك جواب حمزة مبدأ الكيف، إذ لم يقدّم إجابة صادقة. وبالعودة إلى المقام الّذي قيل فيه هذا الكلام يجد عكاشة أنّ السّبب هو جلوس أوروبيّين في المطعم، ما جعل حمزة شديد الحيطة والحذر أثناء الحديث. يجيب بطريقة غير مباشرة عن سبب التزامه الصمت.

ويمكن إجمال مبادئ هذا الحوار القصير في هذا الجدول:

حوار حمزة	احترام مبدأ التّعاون	خرق الكمّ	خرق الكيف	خرق العلاقة	خرق الطّريقة
تكرارات الخرق	0	0	1	0	0

4-7 حوار صاحب المطعم مع جمال طراز:

ومن أمثلة احترام مبدأ التّعاون ما نجده في حوار صاحب المطعم مع جمال طراز، حين سأل صاحب المطعم جمال طراز قائلا:"- **مع ليمون؟ قطعة خبز؟** "[2] فأجابه بنفي مكرّر. وكان حديثهما ملتزما بمبدأ التّعاون، مناسبا للسّياق، واضحا يحمل القدر المطلوب من الكلام، صادقا فلم يخرج المعنى عن حرفيّته.

ونورد جملة ما قيل فيما يلي:

حوار صاحب المطعم	احترام مبدأ التّعاون	خرق مبدأ الكمّ	خرق مبدأ الكيف	خرق مبدأ العلاقة	خرق مبدأ الطّريقة
تكرارات الخرق	1	0	0	0	0

4-8 حوار أحد زبائن المطعم مع متسوّل:

ثمّة استنتاجات يقوم بها الزّبون من مضمون القول أثناء الحوار إذ يستحيل التّواصل بغير ماهو خفيّ وضمنيّ:« فالتّصريح بكلّ شيء في رسالة بسيطة يتحوّل إلى دائرة مغلقة ليست لها نهاية،

[1] محمّد ديب، النّول، ص 338.

[2] المصدر نفسه، 339.

لذلك لا يمكن أن يقال كلّ شيء.»[1] وهو حال هذا الحوار: "– **أأنتما آتيان من الريف؟ نعم أيها المحسن. هل في الريف مجاعة؟ مجاعة؟ حتى عصافير ربنا تموت جوعا هناك. العصافير؟ العصافير؟ آه.آه.آه إذن لم يبق على الأشجار ثمار ولا بقيت بذور برية. أتيتم أنتم على كل شيء؟ من أجل الأكل أنتم أقوياء.. آه، آه، آه، أما نحن من أجل العمل فتلك حكاية أخرى. هل يمكن أن تنال مجاعة من إنسان يعمل؟ أنتم أناس تؤثرون أن تستعطفوا على أن تبذلوا شيئا من جهد.**"[2]

ففي هذا الحوار حدث خرق لمبدأ الكمّ في جملة" حتّى عصافير ربّنا تموت جوعا هناك" حيث قدّم معلومات أكثر ممّا هو مطلوب، السّؤال" هل هناك" يستدعي أن تكون الإجابة (نعم) هناك مجاعة، ولكن المتكلّم يقصد أنّ المجاعة ليست فقط بعدم توافر الأكل، وإنّما انعدام مظاهر الحياة عند كلّ الكائنات، وهذا ما يدلّ عليه قوله "مجاعة؟" فالنّطق بالكلمة أسهل بكثير من الواقع هناك.

وقد مرّ تحليل الحوار عبر عدد من المبادئ نجملها في الجدول التّالي الّذي جرى فيه خرق واحد هو خرق الكيف:

حوار الزّبون	احترام مبدأ التّعاون	خرق الكمّ	خرق الكيف	خرق العلاقة	خرق الطّريقة
تكرارات الخرق	0	1	0	0	0

واستنادا إلى ما سبق سارت الحوارات على وفق نمطين يمكن أن نصطلح عليهما:" لعبة الأدوار" ونمثّل لها بهذا الشّكل:

النّمط الأوّل: فعل أوّلي ← فعل إجابة ← فعل أوّليّ.

النّمط الثّانيّ: فعل أوّليّ ← فعل إجابة.

[1] عبد السّلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، مقاربة تداوليّة معرفيّة لآليات التّواصل والحجاج، دط، أفريقيا الشّرق، المغرب2006. ص47.

[2] محمّد ديب، النّول، 345.

ففي النّمط الأوّل نجد أنّ المخاطِب يتحدّث إلى مخاطَبه، ثمّ المخاطَب بدوره يردّ عليه بإجابة هي في الوقت نفسه فعل أوّليّ يعاد به إنتاج كلام آخر وتستمرّ الدّورة بهذا الشّكل. بينما في النّمط الثّانيّ فإنّ المخاطِب لا يؤتي الإجابة الّتي تدعو إلى كلام آخر. كما أنّ بعض الحوارات لا تستند إلى ما سبق؛ بمعنى لا تتّكئ على كلام الأوّل، حيث يأتي مخاطِب ويقدّم رأيه ويتدخّل الثّانيّ والثّالث...إلخ وقد يتدخّل المخاطِب بشكل تلقائيّ دون أن يّطلب منهم التّكلّم، أو يجد نفسه مطالبا بذلك؛ إذ وجدنا بعض الحوارات يرغم فيها المخاطِب على الحديث، بالإضافة إلى وجود مخاطبين يقاطعون الحديث للشّروع في حديثهم، أو يحدث وأن يتدخّل مخاطِب جديد على وفق شروط خطابيّة مناسبة(زمان، مكان، سياق) ما يسمح العبور من مخاطِب إلى آخر بطريقة سلسة. وكلّ هذا يسير على وفق النّمطين المذكورين.

وخلاصة الفصل، يمكن القول:

بعد تحليل المدوّنة، وجدنا أنّ خرق مبدأ العلاقة أُستعمل واحدا وخمسين مرّة مقارنة بباقي المبادئ، وهذا لا يعني أنّ محمّد ديب حاد عن مضمون الحوار أو هدفه، فالابتعاد عن مناسبة الحوار في كثير من الحوارات يجعلنا نفهم ردود المتخاطبين في مواقف مختلفة كالسّخرية والهزل والتّذمّر والغضب وغيرها من الحالات الانفعالية. إنّ عدم الالتزام بالقول المباشر لم ينفّر الطّرف الثّانيّ من الحوار بل بالعكس وجدنا أنّه بهذه القاعدة كفل حقّه في الرّدّ وفهم المضامين. إنّه، في نظرنا هو الأنسب لتحقيق المعاني المستلزمة، وهي المعاني الّتي تركّز على نوايا وخبايا المخاطِب الّتي في الأساس ميدان الأدب.

أمّا القاعدة الثّانية–الكمّ– فيُفسّر إسقاطها في ثمانية وأربعين موضعا بأنّ الثلاثية أقرب إلى الواقعيّة، فكلّما اقتربنا من الواقع كلّما تجرّدنا من المثاليّة في الحديث، إذ من غير المعقول أن يّختصر الحديث اليوميّ المليء بقصص وأحداث متشعّبة. إضافة إلى أن تفاصيل تلك الحياة(في تلك الفترة) قد نقلها محمّد ديب في روايته في شكل رسالة مرّرها لقرائه، كما أنّ مضمون الثّلاثيّة يطول بها الحديث لشرح تفاصيلها، ومنحها اهتماما أوسع، وإعطاء المخاطِب مساحة كافية لإيصال فكرته للمخاطَب، يمكننا أن نعتبر المتخاطبين شهودا على أوضاعهم. كما يمكننا أن نفسّر أيضا سبب إسقاط هذه القاعدة برغبة محمّد ديب منح حريّة للمخاطِب للتّعبير عن أفكاره، وهي الحريّة الّتي حرّم منها الجزائريّ في الحقيقة. هذا لا ينفي وجود الإيجاز الّذي يخلّ بالمعنى في سياقات

مختلفة ويرجع السّبب إلى طبيعة المخاطِب ودوره في الرّواية مثل: شخصية قره الخائن الّذي يتعمّد في كلّ مرّة التكتّم والحرص الشّديد على عدم الإدلاء بمعلومات كافية خوفا من كشف حقيقته.

وتأتي قاعدة الطّريقة في المرتبة الثالثة باثنين وأربعين مرّة، فمحمّد ديب استعمل الغموض بشكل واضح في حواراته بهدف إعمال المتلقّي لفكره واستنتاج ما لم يصرّح به. والمواضع الأكثر استعمالا للغموض كانت في سياقات الشّتم ومحاولة فرض السّيطرة على الآخر.

وقاعدة الكيف أُسقطت أربعا وعشرين مرّة مقارنة بباقي المبادئ، فلا يمكن أن نتّهم محمّد ديب بالكذب، وإنّما السّياق الاجتماعي لبناء مضمون الثّلاثيّة يفرض أن يتقمّص المخاطِب في الحوارات ذلك الدّور خصوصا عند التّحايل لتحقيق المصلحة الخاصّة أو الهروب من الاعتراف بالحقيقة وما أكثر الحالات الحواريّة الّتي تُظهر ذلك. كما يُفسّر ذلك برغبة محمّد ديب في الكشف عن طريقة تفكير المتحايلين.

ويظهر الزّيف حتّى في العواطف، وهذا ما لاحظناه في معاملة عيني لأولادها، فمشاعر الأمومة قد تحولت إلى مشاعر القساوة، وهذا لا يعني حقّا أنّ عيني فقدت أمومتها وإنّما الظّروف القاسية أفرزت تلك المعاملة، فسياسة التّفقير الّتي مارسها المستعمر قد تسرّبت كذلك إلى المشاعر.

الفصل الثّانيّ:

تداوليّة أساليب الحوار في ثلاثيّة محمّد ديب.

أوّلا: الأفعال الكلاميّة غير المباشرة والاستلزام الحواريّ.

1- مفهوم الفعل الكلاميّ غير المباشر.

2- مفهوم القوّة، القيمة، الغرض.

3- مفهوم الجملة الإنشائيّة، الفعل الكلاميّ، الفعل الإنجازيّ.

4- مفهوم الاستلزام الحواريّ.

ثانيا: ترجيح مقاصد الأفعال غير المباشرة في أساليب حوارات الثّلاثيّة.

1- تداوليّة الاستفهام.

2- تداوليّة الأمر.

3- تداوليّة النّهي.

4- تداوليّة النّداء.

ثالثا: التّفاعل الكلاميّ في حوارات الثّلاثيّة.

أوّلا: الأفعال الكلاميّة غير المباشرة والاستلزام الحواريّ:

وجدنا في بحثنا أنّه من غير الممكن فصل الاستلزام الحواريّ عن نظريّة الأفعال الكلاميّة. فالاشتغال على هذين المفهومين في الثّلاثيّة يعدّ من صميم العمل التّداوليّ، لأنّه يفضي إلى الانتقال من معنى الجملة إلى معنى المخاطِب، ثم تجاوز معنى المخاطِب إلى القصد.

والجمع بين هذين المفهومين لا يعني أنّهما وجهان لعملة واحد، فالكثير يعتقد أنّ الفعل الكلاميّ غير المباشر هو الاستلزام الحواريّ. وفي نظرنا فإنّ الاستلزام الحواريّ ينتجه المخاطَب بينما الفعل الكلاميّ ينتجه المخاطِب فضلا عن آليات اشتغالهما؛ فالأفعال الكلامية تنطلق من محتوى قضوي، وقوّة إنجازيةّ بينما آلية البحث في الاستلزام الحواريّ تقوم على مقاربة **غرايس**. هما(أي الفعل الكلاميّ والاستلزام الحواريّ) في وضعية تقابل (مخاطِب، مخاطَب)، الأوّل يقوم بعمليّة تركيبيّة والثّاني تحليليّة. البداية تقوم بتحديد السّياق لإنتاج الكلام، والثّانيّ ينطلق من المُنجز ومعرفة السّياق للتّحليل، هي(الأفعال الكلاميّة) إذن قوّة إنجازيّة ومعنى مقصود، فالمخاطِب في وضعيّة التّركيب لإنجاز فعل مباشر أو غير مباشر، بينما في الاستلزام الحواريّ العمليّة الأولى تقوم على التّحليل للوصول إلى المعنى المقصود.

وبعد تحديد هذه الفروق الجوهريّة بين هذين المفهومين، سنشرع في عرض الأفعال الكلاميّة غير المباشرة.

ولتحديد مفهوم الفعل الكلاميّ غير المباشر، لابدّ أن نوضّح مفاهيم المصطلحات التّالية: القوّة / الغرض/ القيمة، الجملة الإنشائيّة(القوّة الإنشائيّة)/ الفعل الكلاميّ/ والفعل الإنجازيّ.

1- مفهوم القوّة، القيمة، الغرض:

هذه المصطلحات لها ميزة كبيرة ارتبطت بدراسة الأفعال الكلاميّة، وقد أسهمت حركة التّرجمة في حقل التّداولية إلى إفراز جملة من المصطلحات من بينها المصطلحات المذكورة سابقا، والسّبب راجع إلى طريقة النّقل عن النّصّ الأصليّ باللّغة الإنجليزيّة، والبعض الآخر نقل عن اللّغة الفرنسيّة، وحتّى الّذين نقلوا عن اللّغة الإنجليزيّة باللّغة الفرنسيّة. وأوّل هذه المصطلحات نجد القوّة، القيمة، فهي ذات مدلول واحد يعود إلى المصطلح الإنجليزيّ **(force)** وترجمه جيل لان

(**GILLES LANE**) إلى اللّغة الفرنسيّة بمصطلح (**valeur**) وحجته في استخدامه هو أنّ لهذا المصطلح ميزة كبيرة في اللّغة الفرنسيّة، والقوّة في نظره متعلّقة بالجانب الوصفيّ للفعل، ولكن الفعل يعرض– في نظره– على تمييز شخص ما، ممّا يعني أنّ له قيمة معيّنة تعتمد على ردّ فعل الآخر بدلا من القوّة الّتي ستفرض على المحاور.[1]

وبعد الاطّلاع على كتابه(جيل لان) وجدنا أنّه قابل في البداية بين مصطلح (force) القوّة و مصطلح (valeur) القيمة وذكر المصطلح الأخير أربع مرات.[2] بينما نجد سيرل قد استعمل مصطلح القوّة (force) ولم يستعمل مصطلح القيمة في كتابه (sens et expression). والغرض(purpose)[3] يعدّ جزءا من هذه القوّة أو القيمة وقد استعمله جون أوستين لكن جعله مطابقا للقيمة، وفي ترجمة محمد يحياتن لهذا الكتاب، لم يترجمه بالغرض، وإنّما ذكر الآثار الّتي يتركها على المستمع[4]، أمّا في ترجمة عبد القادر قنيني أورد الغرض في حديثه عن إنجاز فعل الكلام الّذي يُحدث تلك الآثار لقصد أو نيّة أو غرض معيّن[5]. و يكمن الاختلاف بين أوستين وسيرل في مصدر توليد قوّة أو قيمة المنطوق الإنجازيّ:« يرى أوستين أنّ قوة المنطوق الإنجازيّة تحقيق لمقصد المتكلّم تحقيقا ناجحا، ولكن سيرل يرى أنّ القوّة حاصل تفسير المستمع للمنطوق.»[6]

و يرى سيرل مثلا الغرض من الأمر نفسه الغرض من الرّجاء لكن قوّة الإنجاز تختلف بينهما، أو مثلا غرض الطّلب يكون بقوّة الأمر، وقوة التّمنّي، والقوّة في هذه الحالة تتباين في درجتها بين الأمر والتّمنّي وغيرها، إذن:« القوّة درجة والغرض وظيفة.»[7]

---

[1] Voir : Austin, quand dire c’est faire, édition du seuil, France1970,p.175.

[2] Voir : ibid ,pp.63,93,113,153.

[3] Voir:J. AUSTIN, how to do things with words,oxford at the clarendon press1962, p. 101.

[4] ينظر: محمّد يحياتن، القول من حيث هو الفعل، ص 89.

[5] ينظر: جون أوستين، نظريّة أفعال الكلام العامّة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قنيني، دط، أفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء 1991. ص121.

[6] محمّد العبد، النّصّ والخطاب والاتّصال، دط، الأكاديميّة الحديثة للكتاب الجامعيّ، القاهرة 2014. ص223

[7] محمّد العبد، تعديل القوّة الإنجازيّة دراسة في التّحليل التّداوليّ للخطاب، مجلّة فصول(مجلة النّقد الأدبيّ)، ملفّ العدد النّظرية الأدبيّة الآن، مجلّة تصدر عن الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، العدد 65، خريف 2004، شتاء 2005. ص141.

2- مفهوم الجملة الإنشائيّة(القوّة الإنشائيّة)،الفعل الكلاميّ، والفعل الإنجازيّ:

الفعل الإنشائيّ تكون فيه بنية القول شاملة للعناصر الدّالة على الإنشاء، وتتحقّق بإسناد الفعل الدّال على الزّمن الحاضر إلى ضمير المتكلّم المفرد. وتكون هذه الأفعال إمّا أوّليّة أو صريحة. بينما الفعل الكلاميّ قد لا يكون إنشائيّا ولا يتحقّق مثل قولنا "سأقتلك" فمرجعيّة هذا الكلام تعود إلى فعل القتل. كما أنّ شرط الزّمن الحاضر المسند إلى متكلّم مفرد لا يشترطه الفعل الكلاميّ كما هو الحال في الفعل الإنشائيّ، ومثال ذلك شكرا بدل أشكرك، تعال(آمرك بالمجيء).[1]

ارتبط مفهوم الفعل الكلاميّ بعلاقة البنية (سطحيّة أو عميقة) بالوظيفة:« كلّما وجدت علاقة مباشرة بين البنية والوظيفة نحصل على فعل كلام مباشر، بينما كلّما وجدت علاقة غير مباشرة بين البنية والوظيفة نحصل على فعل كلام غير مباشر، لذا يعتبر استعمال البنية الخبريّة لتكوين جملة خبريّة فعل كلام مباشر ولكن استعمال البنية الخبريّة لتكوين طلب فعل كلام غير مباشر.»[2]

ويقصد بالبنيّة ذلك التّركيب (مستوى من مستويات بنية اللّغة) المنطوق، أمّا الوظيفة هو أداء ذلك المنطوق، والارتباط بينهما يكون إمّا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. وقد تتعدّد وظائف التّركيب الواحد، كاستعمال التّركيب الاستفهاميّ بغرض الأمر، الطّلب، ...إلخ

ميّز أوستن بين الجمل الإنجازيّة الابتدائيّة وبين الجمل الإنجازيّة الصّريحة (performatif explicite, performatif primaire) فوجد أنّ الجملة الابتدائيّة هي الّتي تنشيء الأفعال غير المباشرة وأنّ عامل تطوّر اللّغة والمجتمع يتحكّمان في الإنجاز، وقد ساق أوستين مثالا يوضّح الفرق بينهما:

المثال الأوّل: سأكون هناك.

المثال الثّانيّ: أعدك بأن أكون هناك.

---

[1] ينظر: عمر بلخير، نوارة بوعياد، تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصّحافيّ الجزائريّ المكتوب باللّغة العربيّة، مجلّة الأثر، العدد13، 2012. ص51.

[2] جورج يول، التّداوليّة، ترجمة: قصي العتّابيّ، ط1، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، دار الأمان، الرّباط 2010. ص 92.

الأولى جملة إنجازيةّ ابتدائيّة تحتمل أكثر من غرض إنجازيّ واحد فقد تفيد الوعد، فالوعد فعل آخر نتج عن فعل أوّليّ.[1] بينما الجملة الثّانية صريحة مباشرة.

استفاد سيرل من تحليل الفلاسفة (فريجه...إلخ) لتمييز فعل النّمط وفعل المحتوى، ومن هذا المنطلق حاول استيعاب هذا التّمييز بين الفعل المتضمّن في القول والفعل القضويّ لبناء دراسته على هذا الأساس، ففعل النّمط هو الفعل القضويّ الّذي تحيل عليه مدلول القضيّة، بينما فعل المحتوى هو الفعل المتضمّن في فعل القضويّ[2]، وحاول تقنين:« هذه الظّاهرة (الأفعال الكلاميّة غير المباشرة) في نسق من القواعد الاستدلاليّة المرتبطة بقدرة المخاطب على تأويل ما لم يصرّح به المتكلّم من أفعال كلاميّة.»[3] معنى المخاطِب يختلف في كثير من الأحيان عن معنى الجملة كما هو الحال في التّلميحات، الاستعارة، السّخريّة...إلخ، إذ كثيرا ما يقول المخاطِب جملة تختلف عن المحتوى ويقصد بها أشياء أخرى. وقدّم سيرل هذا المثال ليوضّح ذلك:**هل تناولني الملح؟**

إنّ هذه الجملة تضمّ فعلين: الأوّل استفهام، أمّا الثّانيّ هو الطّلب.[4] هنا الاستفهام أُستعمل كفعل كلاميّ مباشر للسّؤال، والسّؤال يحتاج إلى جواب، لكن الاستفهام غير مراد المخاطِب لا يتوقّع منه جوابا وإنّما فعلا، كما أُستعمل أيضا كفعل كلاميّ غير مباشر يؤدّي معنى الطّلب. وهذا الأخير هو مكمن الاختلاف بين المعنى الأوّل والثّانيّ، إذ إنّ الثّانيّ بيّن إمكانية قول شيء ليفهم منه شيئا آخر غير مراد المخاطِب، وهو المقصود بالفعل غير المباشر الّذي يفيد الطّلب:« وهو طلب مهذّب يؤدّي معنى فعل إنجازيّ مباشر هو: ناولني الملح.»[5]

لكي يصل المخاطَب إلى هذا الفعل غير المباشر لابدّ من تفعيل بعض الوسائل من طرف المخاطِب ليعرضها على المخاطَب، ويتعلّق بالمقاصد وسياق التّواصل، فالحرفيّة أحيانا لا تناسب

---

[1] Voir : Austin, quand dire c'est faie, pp.90,101.

[2] ينظر: طالب سيّد هاشم الطّبطبائيّ، نظريّة الأفعال الكلاميّة بين فلاسفة اللّغة المعاصرين والبلاغيّين العرب، دط، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت1994. ص15.

[3] عمر بلخير، نظريّة الأفعال الكلاميّة وإعادة قراءة التّراث العربيّ، مجلة الأثر، عدد خاصّ: أشغال الملتقى الدّوليّ الثّالث في تحليل الخطاب، ص ص 69، 70.

[4] John Searle, sens et expression(étude des actes de langage) édition Minuit,Paris, p.71.

[5] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغويّ المعاصر، دط، دار المعرفة الجامعيّة، مصر2002. ص 51.

السّياق ولن يؤدّي القصد المطلوب، فيعمد المخاطِب إلى الأفعال غير المباشرة، إضافة إلى قرائن وآليات إنتاج الخطاب تعينه للوصول إلى القصد.[1]

من خلال هذا الحوار بين شخصين قدّم سيرل تفاصيل عديدة حول الأفعال غير المباشرة:

- لنذهب إلى السّينما اللّيلة.

- يجب عليّ أن أحضّر للامتحان.[2]

قول الأوّل هو اقتراح لمرافقته للسّينما، وردّ الثّانيّ هو إخبار بأنّه سيحضّر الامتحان، وهو ردّ برفض الاقتراح، إذن، الثّانيّ أنجز فعلين الأوّل ظاهر غير حقيقيّ يدّعي أنّه يحضّر للامتحان، بينما الثّانيّ حقيقيّ مقاميّ وهو الرّفض. ولكنّ السّؤال المطروح كيف استطاع الأوّل أن يفهم ردّ الثّانيّ؟ وهذا ما دفع سيرل إلى تقديم جملة من القواعد تبيّن طريقة اشتقاق المخاطَب المعنى غير المباشر من المعنى الصّريح المباشر[3]:

1- اقترح" 1" من" 2" لأن يرافقه للسّينما فأجابه "2" بأنّ عليه أن يهيّء للامتحان(حقائق المحادثة).

2- نفترض أنّ "2" متعاونا في الحوار وأنّ جوابه ملائم(مبدأ التّعاون).

3- الجواب الملائم قد يكون قبولا لهذا الاقتراح، أو رفضا له، أو اقتراحا مضادّا، أو استمرارا في المحادثة...(نظريّة الأفعال الكلاميّة).

4- جواب" 2" لا يعبّر في معناه الحرفيّ عن أيّ شيء من هذا القبيل، وهذا يعني أنّه لا يمثّل ردّا ملائما(استنتاج من المرحلتين 1 و2) ليس قبولا ولا اقتراحا.

5- من المحتمل إذن "2" يريد أن يقول أكثر ممّا نطق به، وسيفترض "1" رد"2" ملائم، وأنّ هدفه الإنجازيّ الأوليّ مخالف للهدف الإنجازيّ الحرفيّ(استنتاج من المرحلتين2 و4) وتعدّ هذه المرحلة

---

[1] ينظر: علي محمود حجي الصرّاف، في البراجماتيّة، الأفعال الإنجازيّة في العربيّة المعاصرة، دراسة دلاليّة في معجم سياقيّ، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة 2010. ص 125.

[2] Searle, sesns et expression,p. 74.

[3] Ibid, pp. 75 ,76.

هامّة، لأنّ المخاطَب لن يتمكّن من إدراك الأفعال اللغويّة غير المباشرة ما لم تكن له إستراتيجيّة استدلاليّة تمكّنه من استنتاج الحالة الّتي يكون فيها الهدف.

6- أعرف أنّ التّحضير للامتحان يستغرق وقتا طويلا، فليلة واحدة لا تكفي وكذلك الذّهاب إلى السّينما (الخلفيّة الإخباريّة المتبادلة).

7- إذن "2" لا يستطيع الذّهاب إلى السّينما والتّحضير لامتحانه في الوقت نفسه وفي ليلة واحدة (استنتاج من المرحلة السّادسة).

8- يدرك "1" أنّ أحد الشّروط التّمهيديّة لقبول اقتراح ما، هو القدرة على إنجاز الفعل الّذي يدلّ عليه المحتوى القضويّ(نظريّة الأفعال اللّغويّة).

9- أعلم إذن أنّ "2" قال شيئا مفاده أن لا يمكنه قبول اقتراحه(استنتاج من المراحل 1 و7و8).

10- إذن هدف" 2 "الإنجازيّ الأوليّ هو رفض اقتراح "1"(استنتاج من الخطوتين 5و9).

كانت التّوجيهيّات (directives) في شقّها غير المباشر الأنسب للدّراسة، فقد لا يصل المخاطِب إلى ما يريده من مخاطَبه، وقد يحدث في كثير من الأحيان أن يرفض المخاطَب الأوامر المباشرة، مثل(أُترك الغرفة) أو أوامر صريحة مثل (آمرك أن تترك الغرفة) من ثمّ يلزم عليه إيجاد الطّرق غير المباشرة لأداء أفعاله الإنجازيّة، فاللّباقة إذن سبب في العدول عن التّوجيه المباشر.[1]

إنّ الأفعال التّوجيهيّة المباشرة من أمر ونهي واستفهام...إلخ هي معان مباشرة تدرك من ظاهر الكلام، وقد تخالف قوّتها الإنجازيّة الحرفيّة مراد المخاطِب، حيث إنّ المعاني الّتي تحملها تعرف من سياق الكلام ومقامه والعلاقة بين المتخاطبين كالتّحذير والتّوبيخ والوعد والنّصح والإرشاد...إلخ، وهذه المعاني لا يدلّ عليها تركيب الجملة أو بنية الجملة، وإنّما يدلّ عليها **معنى المخاطِب**، وتلك الأفعال المباشرة هي مجرّد همزة وصل للوصول إلى ذلك المعنى غير المباشر.

[1] ينظر: محمّد العبد، تعديل القوّة الإنجازيّة دراسة في التّحليل التّداوليّ للخطاب، ص140. وينظر: Searle, sens et expression,p.77.

وبالنّظر إلى الكلام المستعمل يوميّا نلاحظ أنّ المتخاطبين يتواصلون بهذا النّوع من الأفعال غير المباشرة أكثر من المباشرة والأمر راجع- كما سبق ذكره-[1] إلى النّزوع نحو التّأدّب في الحديث، والغاية من كلّ ذلك هو تحقيق التّأثير في المخاطَب (الفعل التّأثيريّ). ومن هذا المنطلق فُتح باب واسع للدّراسات والتّركيز على التّفاعل الاجتماعيّ، والتّي تجعل من هذه الأفعال إستراتيجيّة لإيجاد مخرج للحفاظ على التّفاعلات الاجتماعيّة:«إنّ كثيرا ممّا نقول وكثيرا ممّا نتواصل به يتقرّر بموجب علاقاتنا الاجتماعيّة. لهذا فالتّفاعل اللّغويّ إنّما هو تفاعل اجتماعيّ.»[2]

للتّمييز بين الفعل المباشر وغير المباشر أورد أحمد المتوكّل فرقين جوهريّين في فصل الحديث عن القوّة الإنجازيّة المستلزمة بين النّحو والمنطق، حيث خصّص عنصرا للحديث عن القوّة الإنجازيّة الحرفيّة والقوّة المستلزمة بتقديم أمثلة توضيحيّة توصّل من خلالها إلى مايلي:

- القوّة الإنجازيّة الحرفيّة تظلّ ملازمة للعبارة اللّغويّة في مختلف المقامات الّتي يمكن أن ترد فيها، بينما ترتبط القوّة الإنجازيّة المستلزمة بالمقام، بحيث لا يتمّ تولدها إلّا في طبقات مقاميّة معيّنة.

- تأخذ القوّة الإنجازيّة وضعا ثانويّا بالنّظر إلى القوّة الحرفيّة ذلك أنّها يمكن إلغاؤها، كما يتعذّر التّوصّل إليها إلّا عبر عمليّات ذهنيّة استدلاليّة تتفاوت من حيث الطّول والتّعقيد، في حين أنّ القوّة الحرفيّة تؤخذ مباشرة من صيغة العبارة ذاتها.[3]

3- مفهوم الاستلزام الحواريّ implicature :

بما أنّ اللّزوم المنطقيّ (logical implication) هو محور علم المعاني، فكذلك الاستلزام الحواريّ(conversational implicature) الّذي هو من أهمّ المفاهيم الّتي تقوم عليها التّداوليّات (pragmatics)، وعلى الرّغم من وجود تقارب بين هذين المفهومين، فإنّ هناك فوارق حاسمة دعت الفيلسوف الأمريكيّ غرايس إلى اشتقاق مصطلح جديد من المصدر (implicature) ذاته،

[1] ينظر: ص137 من هذه الأطروحة.

[2] مجيد الماشطة وأمجد الرّكابيّ، مسرد التّداوليّة، ط1، دار الرّضوان للنّشر والتّوزيع، عمّان2018. ص104.

[3] ينظر: أحمد المتوكّل، آفاق جديدة في نظريّة النّحو الوظيفيّ، ط1، سلسلة بحوث ودراسات رقم 5، منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، الرّباط 1993. ص23.

وتخصيص عمليّة الاستدلال الّتي تجري في التّداول اللّغويّ باسم (implicature)، تمييزا عن (implication).[1]

لقد ارتبط مفهوم الاستلزام الحواريّ بمفهوم القصد، وذلك: «أنّ النّاس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، ويقصدون أكثر ممّا يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون.»[2] والقصد هو ما اصطلح عليه القدامى **معنى المعنى**. والاستلزام الحواريّ يتعلّق بالدّلالات الضّمنيّة الّتي يستلزمها سياق الكلام. والحديث عن الدّلالة يقودنا إلى تمييز بول غرايس بين نوعين من الدّلالة هي: الدّلالة غير الطّبيعيّة والدّلالة الطّبيعيّة انطلاقا من لفظة (meaning) في التّداول العاديّ.

تنتج الدّلالة الطّبيعيّة عن علاقة الدّال بالمدلول، هي دلالة لم تحدث نتيجة قصد معيّن بل متعلّقة بالظّواهر، كالغيوم للدّلالة على المطر، الدّخّان على النّار، الاحمرار للدّلالة على الخجل، تقطيب الحاجبين للّدلالة على الاستياء. وانطلاقا من الفعل السّابق تكون الجمل على هذا النّحو:

الغيوم **تعني** أو **تدلّ** على المطر.

الاحمرار **يعني** أو **يدلّ** على الخجل.

تقطيب الحاجبين **يعني** أو **يدلّ** على الاستياء.

استعمال هذه الجمل لا يحتمل القصد. بينما الدّلالة غير الطّبيعيّة مرتبطة بمعنى المخاطِب وقصده، وبقدرة السّامع على إدراكه.[3]

و ينتج الاستلزام الحواريّ عن خرق إحدى القواعد الأربعة لمبدأ التّعاون(الكمّ، الكيف، المناسبة، الطّريقة) مع الالتزام بمبدأ التّعاون وبهذا يكون الاستلزام الحواريّ، فهو تواصل في إطار تعاونيّ إمّا ظاهريّا أو ضمنيّا. ويقترح أحمد المتوكّل استعمال مصطلح الاستلزام التّخاطبيّ بدلا من الاستلزام

[1] ينظر: عادل فاخوري، الاقتضاء في التّداول اللّسانيّ، مجلّة عالم الفكر، العدد3، المجلّد20، الكويت1989. ص144. وينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواريّ، ص 17.

[2] أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغويّ المعاصر، ص 33.

[3] ينظر: عادل فاخوري، المرجع نفسه، ص144.

الحواريّ.[1] ونُقل هذا المصطلح عن طريق التّرجمة بتقديم مجموعة من المقابلات نجد من بينها: التّضمين[2]، والتّلويح[3]، والاقتضاء وهذا الأخير هو المتداول عند الأصوليّين كما أنّ استعمال مصطلح الاقتضاء يدلّ على التّوجّه الفلسفيّ(المنطق).[4]

يتعذّر الوصول إلى المعنى الحقيقيّ إذا تمّ الاعتماد فقط على المعطيات الظّاهرة، بل يتطلّب ذلك تأويلا وفهما للوصول إلى المقصود إضافة إلى المعرفة المشتركة بين المتخاطبين، وهذه الأخيرة تجعل المخاطَب قادرا على الوصول إلى القصد. ولتوضيح ذلك قدّم **غرايس** هذا المثال: لنفترض أنّ شخصين يتحدّثان عن صديق مشترك يشتغل في مصرف، فسأل الأوّل الثّانيّ عن عمل صديقهم فيجيب قائلا: «**أوه! أظنّ أنّ أموره على أحسن ما يرام، وهو كذلك يحبّ زملاءه ولم يودع بعد السجن.**»[5] انطلاقا من هذا المثال ووفقا لقاعدة المعرفة المشتركة بين السّائل والمجيب، يتّضح أنّ السّائل يستنتج من قول المجيب أنّ صديقهم يمارس أمورا غير قانونيّة في عمله، أو أنّ زملاءه الّذين يحبّهم (مخادعون) قد يكونون سببا في سجنه.[6] وتعتبر هذه قرائن لفظيّة قدّمها المجيب للسّائل ليرتكز عليه تأويله، وبهذا تكون إجابة عن كيفيّة الانتقال من ظاهر الكلام إلى غير المصرّح به.

ولتأكيد ارتباط دلالة الاستلزام الحواريّ بالّسياق عمد غرايس إلى تمييزه عن **الاستلزام العرفيّ**، وهو المعنى الحرفيّ الّذي يُدرك من خلال الألفاظ و تركيب الجملة، ولا يتغيّر مهما تغيّر السّياق الّذي ترد فيه، ولا يستند إلى قواعد تداوليّة(قواعد الحوار) بل إلى قواعد معجميّة وتركيبيّة:

---

[1] ينظر: أحمد المتوكّل، الاستلزام التّخاطبيّ بين البلاغة العربيّة والتّداوليّات الحديثة ضمن التّداوليّات علم استعمال اللّغة، حافظ إسماعيل علوي، ط2، عالم الكتب الحديث الأردن2014. ص292.

[2] ينظر: مجيد الماشطة وأمجد الرّكابيّ، مسرد التّداوليّة، ص81.

[3] العودة إلى كتاب: هشام عبد الله الخليفة، نظرية التّلويح الحواريّ.

[4] ينظر: محمد السّيديّ، إشكال المعنى من الإستعارة إلى الاستلزام الحواريّ، مجلّة فكر ونقد، العدد25، 2000. ص105.

[5] بول غرايس، المنطق والمحادثة، ترجمة: محمّد الشّيبانيّ، سيف الدّين دغفوس، ضمن كتاب إطلالات على النّظريّات اللّسانيّة والدّلاليّة في النّصف الثّانيّ من القرن العشرين، الجزء2، ط2، المجمع التّونسيّ للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس2012. ص616.

[6] ينظر: المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

«الاستلزام العرفيّ يعود إلى المفردات المعجميّة بالعرف أو الاتّفاق.»[1] وهو ما ينطبق على مفهوم الاقتضاء: « ومثال ذلك في الإنجليزيّة (but) ونظيرتها في اللّغة العربيّة (لكن) يستلزم أن يكون ما بعدها مخالفا لما يتوقّعه السّامع مثل **my friend is poor, but honest** ومثل **زيد غني لكنه بخيل.**»[2] في حين أنّ الاستلزام الحواريّ ملازم للسّياق يتغيّر بتغيّره ولا يكتفي بالصّيغة الصّورية للجمل كالاستفهام، الأمر...إلخ، وينقسم بدوره حسب غرايس إلى قسمين:[3]

القسم الأوّل هو الاستلزام الحواريّ العامّ: لا يتطلّب وجود سياق خاصّ، مثل دخلت بيتا واسعا، فهذه العبارة تستلزم أنّ البيت ليس لي؛ لأنّ كلمة بيت لم ترد في سياق خاصّ، كما أنّها جاءت نكرة فلم يعرف البيت، فلو جاء معروفا لقلنا ارتبط الأوّل بالثّانيّ فالنّكرة لا تمتّ بصلة للمخاطِب.

في حين أنّ القسم الثّانيّ هو الاستلزام الحواريّ الخاصّ: يشترط فيه سياق معيّن مثال ذلك: تبدو القطّة في غاية الانشراح يستلزم أنّ القطّة أكلت الجبنة، وهذا لا يجوز إلّا إذا وردت العبارة الأولى في سياق معيّن، بمعنى لا يستقيم الملفوظ الثّانيّ إلّا بوجود الأوّل ولا ينتج الاستلزام إلّا بالارتباط بينهما:

1)- أين اختفت قطعة الجبنة؟

- تبدو القطّة في غاية الانشراح.

ولتأكيد مركزيّة السّياق الخاصّ والظّروف المحيطة بالكلام لدينا المثال التّاليّ:

2)- سمير هو السّارق.

- سمير اشترى شقّة.

ما الّذي يجعل من قول سمير هو السّارق؟ أكيد هناك ظروف متعلّقة بهذا الكلام كحدوث سرقة ما، أو استحالة شراء شقّة كون سمير لا تسمح ظروفه الماديّة بذلك.

---

[1] عادل فاخوري، الاقتضاء في التّداول اللّسانيّ، ص165.

[2] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغويّ المعاصر، ص33.

[3] ينظر: عادل فاخوري، المرجع نفسه، ص ص 162،163. ينظر أيضا: هشام عبد الله الخليفة، نظريّة التّلويح الحواريّ، ص ص 35 ،36.

ومن خصائص الاستلزام الحواريّ الّتي تميّزه عن باقي الاستلزامات مايلي:[1]

- الاستلزام ممكن إلغاؤه أو إبطاله defeasible:

ويكون ذلك عادة بإضافة عبارة يسدّ للجملة الّتي وقع فيها الاستلزام، أو يحول دونه وتكون هذه الإضافة لا تؤدّي إلى التّناقض، فإذا قالت قارئة لكتاب مثلا: لم أقرأ كلّ كتبك، فقد يستلزم ذلك عنده أنّها قرأت بعضها، فإذا أعقبت كلامها بقولها، الحقّ أنّي لم أقرأ أيّ كتاب منها، فقد ألغت الاستلزام. وإمكان الإلغاء هذا هو أهمّ اختلاف بين المعنى الصّريح والمعنى الضّمنيّ، وهو الّذي يمكن المخاطِب من أن ينكر ما يستلزمه كلامه. فلو نظرنا مثلا إلى الاستنباط في التّحليل المنطقيّ نجد أنّ صدق المقدّمتين يستلزم صدق النّتيجة ولا يمكن إلغاء النّتيجة. وهذا مكمن الاختلاف بين الاستلزام الحواريّ وباقي الاستلزامات.

- الاستلزام لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدّلاليّnon-detachable:

ويقصد جرايس بذلك أنّ الاستلزام الحواريّ متّصل بالمعنى الدّلاليّ لما يقال لا بالصّيغة اللّغويّة الّتي قيل بها، فلا ينقطع مع استبدال مفردات أو عبارات بأخرى ترادفها، أي أنّه غير متعلّق بالألفاظ عكس الاستلزام العرفيّ. ولعلّ هذه الخاصيّة هي الّتي تميّز الاستلزام الحواريّ عن غيره من أنواع الاستدلال التّداوليّ مثل الافتراض السّابق(presupposition). فلننظر إلى الحوار التّالي:

إنّ عمر لطالب ذكيّ.

عمر فاشل.

فلو غيّرنا لفظة ذكيّ بماهر، مجتهد...إلخ فإنّ الاستلزام يبقى قائما إذا كان عمر معروفا بالفشل. فعلى الرّغم من التّغيير في القول، فإنّ ما يستلزمه القول من السّخريّة أو التّهكّم من عمر لا يزال قائما.

- الاستلزام متغيّر(عدم التّعيين) indeterminacy:

[1] ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغويّ المعاصر، ص ص 38، 39. وينظر: هشام عبد الله الخليفة، نظريّة التّلويح الحواريّ، ص 39- 45.

والمقصود بالتغيّر أنّ التّعبير الواحد يمكن أن يؤدّي إلى استلزامات مختلفة في سياقات مختلفة، يمتاز بالتّلوّن والتّنوّع فهو مرهون بالعمليّة الاستدلاليّة وهذه الاستدلالات في الأساس تستند إلى طبيعة البشر وطريقة التّفكير لها خصوصيّة معيّنة غير مرتبطة باللّغة ذاتها. فإذا سألت طفلا يحتفل بيوم ميلاده مثلا: كم عمرك؟ فهو طلب للعلم، وإذا سألت السّؤال نفسه لصبيّ عمره خمسة عشر عاما فقد يستلزم السّؤال مؤاخذة له على نوع من السّلوك لا ترضاه له، وإذا سألت السّؤال نفسه لفتى يمنع من اتّخاذ قرار لا يخرج عن تعاليم الدّين ومواضعات الأخلاق والأعراف فقد يعني ذلك أنّه من النّضج، بحيث يستطيع أن يتّخذ قراره ويتحمّل عواقبه. إذ هذا السّؤال يحتمل عدّة تفسيرات لا يتعلّق بتعيين وتحديد واحد.

- الاستلزام يمكن تقديرهcalculability:

ويقصد به أنّ المخاطَب يقوم بخطوات استنتاجيّة للوصول إلى ما يستلزمه كلام المخاطِب، انطلاقا من الاستعمال المألوف للألفاظ(الوضع) ومعرفة الشّيء المتحدّث عنه، سياق الموقف الّذي قيل فيه الكلام، ويكون المخاطِب محترما لمبدأ التّعاون لا يريد الخداع أو التّضليل ، وانطلاقا من هذه الخطوات نجد أنّ المخاطِب يريد من مخاطَبه أن يفهم قوله ما يجعله يبحث عمّا وراء تلك الألفاظ. فإذا قيل مثلا: الملكة فكتوريا صنعت من حديد، فإنّ القرينة تبعد المخاطَب عن قبول المعنى اللّفظيّ، ولابدّ أنّه يريد أن يخلع على الملكة بعض صفات الحديد كالصّلابة، والمتانة وقوّة التّحمّل. فالمعنى المراد غير المعنى الحرفيّ هو معنى استعاريّ.

ثانيا: ترجيح مقاصد الأفعال غير المباشرة في أساليب حوارات الثّلاثيّة:

جرى البحث في الفصل الأوّل عن الحوارات الّتي تحقّقت فيها مبادئ الحوار، وعن مواضع الخرق فيها مع الحديث عن تجاوز المعنى إلى القصد، في حين يجري البحث في هذا الفصل عن الأفعال غير المباشرة الّتي كانت أساس عقد الحوارات والبحث عن قصد المخاطِب من خلال الرّدود الّتي تمّت لتحقيق الأفعال غير المباشرة. بمعنى أنّ البحث في الفصل الأوّل توقف عند عتبة مبدأ التّعاون، بينما في الفصل الثّانيّ نحاول إيجاد الطّرق اللّغويّة الّتي تمّ بها تقديم المقاصد.

إنّ الميزة الأساسيّة الّتي طغت على الحوارات في الثّلاثيّة هي وجود أساليب لغويّة تمّت عن طريقها عمليّة التّحاور منها: الاستفهام، الأمر، النّداء، النّهي. وتعدّ من صميم البحث التّداوليّ،

وسيتناول البحث بالدّراسة هذه الأفعال الكلاميّة التّوجيهيّة حسب تصنيف سيرل. فكيف تمّ تداول هذه الأساليب بين الطّرفين يا ترى؟ وهل خرجت هذه الأساليب عن أصل الوضع إلى معان جديدة؟

1- تداوليّة الاستفهام:

جاء في لسان العرب أنّ الاستفهام من الفهم والفهم، أي:« معرفتك الشّيء بالقلب وفهمت الشّيء: عقلته وعرفته، وفهمت فلانا وأفهمته وتفهّم الكلام: فهمه شيئا بعد شيء واستفهمه: سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشّيء، فأفهمته وفهمته تفهيما.»[1]

وهناك من يجعل الاستفهام هو الاستخبار أمثال الزّركشي وابن فارس، ويعرف الزّركشي الاستفهام بقوله: « طلب خبر ما ليس عندك وهو بمعنى الاستفهام أي طلب الفهم.»[2] كما يرى أنّ هناك من يفرّق بينهما وجعل الاستفهام أخصّ من الاستخبار في قوله:« (...) تستخبر فتجاب بشيء، فربّما فهمته، وربّما لم تفهمه. وإذا سألت ثانية فأنت مستفهم تقول: أفهمني ما قلته لي(...)»[3]

الاستفهام فعل إنجازيّ تكمن دلالته في مقاصد يحدّدها المخاطِب ليوصلها إلى المخاطَب، ومن تلك المقاصد نجد:

1-1- الاستفهام للتّعجّب والتّحدّي:

هما من المعانيّ الّتي خرج إليهما أسلوب الاستفهام في الثّلاثيّة، مثلما يبيّنه هذا الحوار بين عيني مع عمر:

"- **أهذا هو الغداء؟ نعم هذا هو الغداء! في أيّ ساعة نأكل؟..هي الآن الحادية عشرة والنّصف. لعن الله أبا العكوب وأمّه! اذهب الرّجال لم يخلقوا للبيت**".[4] إذ جاء في سياق حوار عيني مع ابنها عمر عندما طلب العلم عن الشّيء فسأل والدته عن الغداء، إذ إنّ الاستفهام هنا فعل إنجازيّ غير

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادّة فهم.ج11، ص235.

[2] الزّركشيّ، البرهان في علوم القرآن،ج2، دط، دار الكتب العلميّة، بيروت 2001. ص 329.

[3] ابن فارس، الصّاحبيّ، حقّقه وضبط نصوصه: عمر فاروق الطبّاع، ط1، مكتبة المعارف، بيروت 1993. ص 186.

[4] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 15.

مباشر تكمن قصديّته في التّعجّب، وهو ظاهر مسبوق بالهمزة، المقصود منه إظهار قصد عمر لأمّه، فهو لم يستفهم من أجل الحصول على أخبار وإنّما قصد التّعجّب من نوعيّة الطّعام، الّذي لم يكن سوى عكوبا بلديّا؛ وهو نبات يؤكل، جعل عمر في موقف تعجّب من أنّ هذا النّبات يستطيع أن يملأ بطونهم الخاوية.

ومثال ذلك أيضا ما جاء في هذا الحوار:"- **كيف؟ ألا أستطيع أن أضربهم؟ ليسوا أولادي؟ ما هذا الّذي تقولين؟ لا أستطيع؟ من ذا الّذي يمكن أن يمنعني من ضربهم؟ أليسوا لي؟ هل تظنّون أنّني واحدة من تلك النّساء اللّائي يدعن أولادهنّ بغير تهذيب؟**"[1] هنا الاستفهام فعل كلاميّ غير مباشر. خرجت الاستفهامات الواردة إلى معان مختلفة منها: التّعجّب، التّحدّي، وقد وردت في سياق واحد في حوار عيني مع مالكة الدّار. فبعدما ملّ الأولاد من حمل قواديس الماء راحوا يحاولون اللّعب على أعصاب والدتهم بأسلوب تهكّميّ، ما أثار غضبها فأخذت تضربهم دون رحمة، حيث وصلت أصواتهم إلى الجيران، فأخذوا يتذمّرون من الوضع ومن ذلك ردّ عيني بهذا الشّكل.

باستحضار كلّ مقتضيات السّياق نجد أنّ هذا الاستفهام:"- **ماذا حدث لك يا عيني؟**"[2] حمل معنى آخر إلى جانب الغرض الّذي وضع له وهو التّعجّب. ما إن خرجت عيني للسّفر حتّى عادت وهذا ما جعل سكّان الدّار الكبيرة يتعجّبون من ذلك.

1-2- الاستفهام للتّذمّر:

خرج الاستفهام عن معناه الأصليّ إلى معنى التّذمّر في مجموعة من الحوارات، منها هذا القول الّذي ورد على لسان تلميذ في حواره مع زملائه:

"- **وأنا ماذا يبقى لي إذن؟.. أتريدون أن أعطيكم كلّ شيء؟**"[3]

حيث ورد في سياق الحديث عن تلميذ غنيّ كان يُحضر معه إلى المدرسة مجموعة من الأطعمة والحلويّات، فيوزّع قليلا منها للتّلاميذ، وكانت أيدي التّلاميذ تلحّ من كلّ جانب لطلب

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص ص65، 66.

[2] محمّد ديب، الحريق، ص244.

[3] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 17.

نصيب منها، عندما نظر الولد إلى ما يمكله وجد أنّه لا يكفي للجميع، فردّ عليهم باستفهام خرج إلى قصديّة التّذمّر.

ويحضر التّذمّر أيضا عندما انزعجت زليخة، بعد اكتشافها أنّ حيلتها لم تعد تجدي نفعا فقالت متذمّرة:"- **ماذا تريدون منّي؟ ماذا تريدون من هذه المسكينة؟ إنّكم تجلبون لي العار. أين عساي أبحث لكم عن خبز؟**"[1] لقد كبر أولادها وصارت حيلة ترك الماء يغلي عند نفاذ الطّعام للتّمويه بأنّ الحساء يغلي لن تنطلي عليهم، حينها صار الصّراخ أنيسها للتّعبير عن خروج الأمر عن سيطرتها في حالة من التّذمّر القصوى.

ومثل ذلك أيضا قول امرأة لعمر:"- **أيجب أن ينتظرك النّاس نصف يوم بكامله؟**"[2] فعل كلاميّ غير مباشر. المرأة متذّمرة من بقاء عمر طويلا في المرحاض.

الاستفهام في هذا القول:"- **أأظلّ أذهب وأجيء طوال الوقت، أحمل الماء وأصبّه على الأرض؟**"[3] فعل كلاميّ غير مباشر ورد في سياق الحوار بين عيني وأبنائها، حيث طلبت منهم إحضار قواديس الماء وصبّها في الغرفة لترطيب الجوّ كي تتمكّن من مواصلة عملها على ماكينة الخياطة، ولكن بمجرّد صبّ ذلك الماء يتبخّر من الحرارة الشّديدة، ممّا جعل عيّوشة تتساءل عن جدوى إحضار الماء إن كان لا يستطيع أن يلطّف الجوّ، وكانوا يحضرون الماء من بئر وسط فناء البيت مرورا على الدّرج، لهذا استولى عليها التّعب وراحت تتساءل متذمّرة من تلك الحالة.

جاء استفهام عيني بقولها:"- **أتسمعون؟**"[4] ليحمل معنى التّذمّر. إذ ورد في سياق حوارها مع أبنائها الّذين عاتبوها على سوء معاملتها لوالدتها. هذه الجدّة الّتي تئنّ باستمرار ولّدت حالة من التّذمّر لدى عيني، وعن طريق الاستفهام تحاول أن تسقط اللّوم عن نفسها، وكأنّها تقصد بذلك: أنا على حقّ لم أكن مخطئة كما يعتقد أبناؤها.

---

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 39.

[2] المصدر نفسه، ص 51.

[3] نفسه، ص63.

[4] نفسه، ص 88.

إنّ الغاية من استعمال هذا الاستفهام:"- **لماذا لا يبقيك ابنك عنده؟ رماك كما ترمى الزّبالة، أليس كذلك؟ لماذا لم ترفضي أن يحملك إلى هنا؟**"[1] ليس لطلب المعلومات، وجاء في سياق يتمثّل في إحضار الجدّة ماما إلى بيت ابنتها عيني الّتي تعتبرها عالّة عليها بالنّظر إلى وضعها الماديّ، فصرخت في وجهها باستفهام مشحون باللّوم والعتاب.

يقول شول مخاطبا عمر:"- **ماذا تريد؟ ما الّذي جاء بك، هه؟**"[2] باستفهام خرج إلى معنى آخر مصاحب لمعنى طلب الفهم وهو التّذمّر. وما يُظهر ذلك هي تلك الصّفات المتعلّقة بالمخاطِب منها الجسميّة والأخلاقيّة...إلخ،[3] وهي صفات لازمة له في كلّ السّياقات داخل المدوّنة، وأوّل مؤشّر عن تلك الصّفات قول عمر إنّ وجهه فيه أمارات التّقزّز، وأنّ النّظر إليه لا يبعث بالرّاحة، إذ هي شخصية متسلّطة كثيرة التّذمّر. كلّ ذلك مصاحب للفعل الكلاميّ كشف عن قصده.

1-3- الاستفهام للتّوبيخ:

يرتبط إنجاز هذا المنطوق بتوبيخ عيني لعمر، وقد حدث ذلك تدريجيّا، فكانت البداية بتذمّر عيني قائلة:- "**أأنت مجنون فتصرخ هكذا؟**"[4]. وجاء في حوار بين عيني وعمر عندما أقدمت عيني على تصرّف وقح وغير لبق تجاه والدتها، ما أثار شعورا غريبا لدى عمر دفع به إلى إصدار صوت، فأخذت والدته توبّخه على ما فعل بأسلوب استفهاميّ.

ويمكن أن يعدّ الاستفهام في الحوار الموواليّ فعلا كلاميّا غير مباشر يفيد معنى التّوبيخ:"- **أين الخبز الّذي ذهبت تشتريه؟ أين كنت؟ أين كنت حتّى هذه السّاعة بينما نحن ننتظر؟**"[5] وجاء في سياق الحوار بين عيني وعمر حينما ذهب عمر لشراء الخبز وفي طريقه وجد أنّ الفوضى قد عمّت المدينة إيذانا ببدء الحرب، ومن هول ذلك كثرت الأحداث و نسي أن يحضر معه الخبز، وقد مرّ على ذلك وقت طويل وعائلته بقيت منتظرة قدومه لإحضاره، فلمّا وصل رأت والدته أنّه لم يحضر

---

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 24.

[2] محمّد ديب، النّول، ص287.

[3] ينظر: علي محمود حجّي الصّراف، في البراجماتيّة، الأفعال الإنجازيّة في العربيّة المعاصرة، دراسة دلاليّة في معجم سياقيّ، ص 131.

[4] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 26.

[5] المصدر نفسه، ص ص 111، 112.

الخبز وزيادة على ذلك لم يدخل إلى البيت باكرا، فقصديّة الاستفهام خرجت إلى معنى التّوبيخ.

لقد جاء استفهام عمر لأخته توبيخا لها على فعلتها قائلا:"- **حمارة. ألا تسمعين حين تنادين؟**"[1] لم يجد عمر ما يقوله بسبب خوفه وهو يعلم أنّ عيوشة لم تتعمّد عدم سماع ندائه، وإنّما يوبّخها على فعلتها، وهذا هو القصد من الاستفهام في هذا الموقف وليس طلب الفهم.

وممّا يحمل معنى التّوبيخ أيضا في المدوّنة قول قره:"- **أأنت يا ابن رباح، تواجهني بهذه الوقاحة؟**"[2] الّذي جاء في سياق النّقاش الحادّ الّذي جمع بين قره وبين بن رباح بعد إلحاحه لأخذ معلومات حول حميد سراج، فردّ بن رباح عليه بأسلوب لم يعجبه، ممّا أثار غضبه ودهشته من ردّة فعل الصّبيّ، فهو استفهام يشوبه التّوبيخ.

ورد هذا القول في حوار عيني مع عمر حين تأخّر في العودة:"- **أين كنت إلى هذه السّاعة؟ أين؟ أين؟ قل لي.. هاي هاي.. أم أمزّق وجهك أم أمزّق وجهي؟ لقد نبت فيك ريش الشّرّ.. أتظنّ أنّك أصبحت رجلا؟ أتظنّ أنّ كلّ شيء قد أصبح مباحا لك؟ هل فهمت؟**"[3] وقد جاء فيه الفعل الكلاميّ غير المباشر ليدلّ على معنى التّوبيخ. والتّوبيخ كما هو معروف أنّه مرتبط بفعل المخاطَب، إذ يكون قد قام بفعل ما قبل زمن تكلّم المخاطِب. ما إن بلغ عمر الرّابعة عشر سنة بدأ يتمرّد على والدته ويكسر نظام المنزل، وكثر غيابه، وهو ما لم ترضاه عيني، فانفجرت صارخة في وجهه توبّخه على فعلته.

وفي قول آخر على لسان رجال المصنع، ورد هذا الفعل الكلاميّ غير المباشر:"- **ما بك يا حمدوش؟**"[4] حدثت مناوشة بين زبيش وعمر بسبب إهانة زبيش لعمر، فتدخّل حمدوش وأشبعه ضربا وجاء ردّ عمر أكثر مقاومة ما زاد من غضب حمدوش فكاد أن يقتله. في هذا الموقف صاح العمّال يوبّخونه على ما فعل بالولد قائلين: ما بك يا حمدوش؟ هو استفهام خرج إلى معنى التّوبيخ.

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 114.

[2] محمّد ديب، الحريق، ص165.

[3] محمّد ديب، النّول، ص277.

[4] المصدر نفسه، ص314.

وأُستعمل الاستفهام أيضا لقصديّة التّوبيخ في هذا القول:"- **ألا ترى أنّك ترشّ النّاس جميعا؟**"[1]. هذا الملفوظ عبارة عن فعل كلاميّ تمثّلت قوّته الإنجازيّة الحرفيّة والمؤشّر لها بـ"أ" في الاستفهام، وقد جاء في سياق خروج عمر من المصنع محمّلا بشلل الصّوف الملوّنة والمبلّلة، وحينما كان عائدا لمح جمعا من النّاس، فاقترب منهم وقد كان الصّوف يتقاطر بألوان مختلفة ما أزعج النّاس، فصرخ أحدهم قائلا: ألا ترى أنّك ترشّ النّاس؟ هنا الاستفهام في هذا السّياق خرج إلى معنى التّوبيخ؛ فلم يكن القصد هو السّؤال، وإنّما توبيخ عمر على الإزعاج الّذي تسبّب به للنّاس أثناء تحرّكه وهو يرشّهم بالصّوف المبلّل.

1-4-الاستفهام للإنكار والنفي:

من خروج الاستفهام عن معناه الأصليّ، استخدامه للإنكار والنّفي، ويمثّل ذلك قول فاطمة:"- **فماذا تريدون؟**"[2] الّذي هو فعل كلاميّ غير مباشر يفيد الإنكار؛ لأنّ فاطمة أخت حميد سراج تعلم سبب اقتحام رجال الشّرطة الدّار الكبيرة، إذن السّبب معلوم ومع ذلك استفهمت، وذلك ليس لطلب العلم عنه، وإنّما تكمن قصديّته في الإنكار ونفي وجود أخيها في البيت.

هذا الفعل الكلاميّ من طرف عيوشة:"- **هل يكفي الخبز؟**"[3] قد أفاد معنى النّفي؛ لأنّ عيّوشة لم تسأل والدتها إن كانت فعلا تلك النّقود تكفي لشراء الخبز طوال مدّة غيابها، وإنّما تنفي ذلك؛ لأنّها تعلم أنّ المال الّذي قُدّم لها لن يكفي حتّى لشراء الخبز ناهيك عن باقي المواد الغذائيّة.

خرج الاستفهام في بعض السّياقات إلى قصد النّفي، ومن ذلك قول عبّاس:"- **فمن منّا يعمل وفقا لهذه القاعدة؟ من منّا يحترم جاره؟**"[4] إذ صدر منه فعل كلاميّ غير مباشر تكمن قوّته الإنجازيّة في الاستفهام والمؤشّر لها بـ"من" والمعنى الضّمنيّ النّاتج عنه هو: النّفي وفقا للسّياق الّذي ورد فيه، حيث كان هناك صبّاغ في المصنع يسمّى (عباس) قد سئم حياته، ولم يعد يتحمّل أحدا حتّى (بقة) كما قال، نافيا أن يكون هناك إنسان يحترم إنسانا آخر، فالجميع لا يطيق حتّى نفسه. والصّوت المتضايق هذا يمكن أن نقول أنه خرج أيضا إلى معنى الضّجر.

---

[1] محمّد ديب، النّول، ص321.

[2] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص30.

[3] محمّد ديب، النّول، ص243.

[4] المصدر نفسه، ص310.

1-5-الاستفهام للغضب والحسرة:

ظاهر هذا الاستفهام هو:"- **أهذا كل شيء؟ ... حساء بلا خبز؟..**"[1] الّذي ورد في حوار بين عيني وعمر. عندما أعدّت عيني حساء بلا خبز، نظر عمر إلى ذلك الطّبق وردّد تلك العبارة، فحمل الاستفهام معنى الغضب والحسرة.

خرج الاستفهام إلى معنى الحسرة في هذا المثال:"- **أرأيتم كيف كان هذا الرّجل؟. ما الّذي جناه بدلا من ذلك؟ وما هو الآن؟**"[2] إذ ورد في سياق حوار فاطمة أخت حميد سراج مع نساء الدّار ، راحت تردّد خصال أخيها، وأنّ غايته لم تكن سوى مساعدة النّاس، حيث كان صاحب فضل على النّاس فلا يستحقّ ما حدث له.

1-6- الاستفهام للتأسف:

قد يتأسّف المخاطِب باستخدام الاستفهام مثل قول جارة عيني:"- **هيه؟ تغذّيتم؟**"[3] هنا الاستفهام لم يرد بإحدى أدواته، لكنّه ورد عن طريق الصّوت وهذا ما توضّحه علامة الاستفهام، والغرض لا يمكن أن يظهر بالعودة فقط إلى هذه العلامات بل بالعودة إلى ملابسات التّلفّظ[4]، وأصل الاستفهام هل تغذّيتم؟ هنا الجارة لم يكن قصدها سؤال عيني هل تغذّيتم؟ فهي قد حضرت ورأت رفع المائدة كدليل على الانتهاء من الأكل، وطبعا الأكل كان شيئا قليلا يخادع الجوع، في هذه الحالة الاستفهام للتّأسّف لحالة العائلة.

يدخل الاستفهام في طريقة الإخبار غير المباشر في قول الجارة:"- **أليس كذلك؟**" الاستفهام لم يقدّم بهدف الطّلب وإنّما خرج إلى معنى آخر يفيد قصدا آخر، هو أنّ هذه الجارة معتادة هي أيضا على ذلك، فالحال معلوم لا يستدعي السّؤال.

1-7-الاستفهام للسّخريّة:

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص36.

[2] محمّد ديب، الحريق، ص ص 247، 249.

[3] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص39.

[4] Voir : Austin, quand dire c'est faire, pp.94,96.

لدينا هذا الفعل الكلاميّ غير المباشر:"- **أين تعلّم القراءة؟ فلماذا؟ لعلّه يريد أن يصبح عالما؟**"[1] الّذي خرج عن معنى الاستخبار إلى معنى السّخريّة. جاء هذا الملفوظ على لسان الجارات في حوارهنّ مع فاطمة أخت حميد سراج حول تعليم هذا الأخير. فالقصد من سؤالهنّ يكمن في إظهار السّخريّة.

الاستفهام في هذا الكلام:"- **هل تنتظرون أن يزهر الملح؟**"[2] لا يقصد به انتظار إجابة أو فهم شيء ما، وبالنّظر إلى السّياق الّذي ورد فيه هو فعل كلاميّ غير مباشر. معلوم أنّ الملح يستحيل أن يزهر، وإنّما جيء به على سبيل الاستعارة للسّخريّة من قره، وهو يفيد معنى التّيئيس وعدم الانتظار إلى حين أن يزهر الملح، فلن يأتي خير من قره، لأنّ فاقد الشّيء لا يعطيه.

ومن نظير السّخريّة أيضا، ما جاء على لسان سليمان لقره حين طلب منه الشمّ قائلا:"- **رائحة كريهة؟ شم رائحة كريهة؟- كيف يا مسيو قره؟**"[3] فالاستفهام الوارد عبّر عن معنى الاستهزاء والسّخرية. بالعودة إلى السّياق الّذي ورد فيه نجد أنّ المقصود هي أعمال قره القذرة الّتي تنبعث منها رائحة كريهة، وقيلت له بطريقة غير مباشرة، ما جعل قره في حيرة فلم يستطع أن يشمّ فعلا تلك الرّائحة. ويقصد بذلك هذا القول: عجبا منك يا قره الرّائحة تنبعث منك ولم تستطع شمّها، هو أكثر النّاس قدرة على شمّها من الآخرين بما أنّها تنبعث منه. وفي هذا ردّ الاعتبار للفلّاح.

وممّا يحمل أيضا معنى السّخريّة نجد قول الشّرطيّ:"- **أتراك تأمل أن تصبح وزيرا؟ لعلّك تريد أحيانا أن تملك فللا، وأن تملك سيارة؟ ولكن هلّا نظرت إلى نفسك؟**"[4] خرج الاستفهام إلى معان مختلفة، و يقصد بالاستفهام الأوّل والثّاني السّخرية من الفلّاح، وقد ورد في سياق الاستجواب الّذي حدث في مركز الشّرطة، حينما سأل الفلاح عن سبب إضرابه، وكان ردّه هو الدّفاع عن لقمة عيشه فجاء ردّ الطّرف الثّانيّ بدافع السّخرية، بينما حمل الاستفهام الثّالث معنى الاحتقار، إذ إنّ نظرة الفلّاح إلى نفسه ما هي إلّا إهانة تعكس نظرة المستجوب إلى الفلّاح والّتي تُظهر الاحتقار.

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة ، ص44.

[2] محمّد ديب، الحريق، ص167.

[3] المصدر نفسه، ص170.

[4] نفسه، ص266.

لدينا هذا الفعل الكلاميّ غير المباشر:"- **هل غرقت سفنك المحمّلة بالزعفران؟**"[1] الّذي يفيد معنى السّخرية، وقد جاء في سياق حوار حمدوش مع عمر، حينما أقبل إليه ووجده غارقا في التّفكير ويقوم بحلّ الخيوط (النّول) المتشابكة، ولم يحتمل صمته فأخذ يستفزّه كعادته، إذ لا يكفّ عن مضايقته في كلّ مرّة يلتقي به. وهاهو يسخر منه محاولا استنطاقه والدّخول معه في شجار ليُفرغ ما تراكم في نفسه.

1-8-الاستفهام للاحتقار:

توجّه الجارة خطابها إلى عيني بقولها:"- **ومن نحن؟**"[2] الّذي ورد في سياق الحديث عن زوج جارة عيني المثقّف الّذي زجّ به في السّجن. إنّ الزّوجة لم تفهم سبب الغياب الطّويل لزوجها وانفراده المستمرّ، فردّدت استفهاما لتوضيح أنّ عدم قدرتها على فهمه راجع إلى جهلها، فلو كانت متعلّمة لاستطاع عقلها استيعاب الأمور وتفهّمت زوجها، لهذا حمل الاستفهام معنى الاستصغار والاحتقار.

1-9- الاستفهام للتّحبّب والتّأنيس:

حمل الاستفهام معنى التّحبّب واستقطاب الآخر في هذا المثال:"- **لن تبكي، أليس كذاك؟ لن تحزن، هه؟**"[3] كانت زهور قد بدأت كلامها بقبلة لعمر محاولة التّغزّل به، ولمّا عارض عمر ذلك أحسّ بحاجة للبكاء، وهي بدورها أحسّت بالنّدم، فراحت تحاول تصحيح خطئها، إذن، هي محاولة لكسب محبّة عمر وتبيان مدى عاطفتها تجاهه.

وتضمّن هذا القول الصّادر عن الجدّة استفهاما:"- **آه.. هذا أنت يا عمر؟**"[4] وهو فعل كلاميّ غير مباشر. وقد ورد دون أداة، كما خرج عن معنى الطّلب إلى معنى التّأنيس وزوال الخوف. جاء في سياق محاورة الجدّة لعمر حين أقبل إليها، وقد مرّت أحداث سابقة في الرّواية تبيّن أنّ الجدّة كانت تعاني الوحدة والعزلة والخوف الّذي يسيطر عليها، ورؤية عمر تخفّف عنها ذلك الشّعور،

[1] محمّد ديب، النّول، ص320.

[2] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص ص45 ،46.

[3] المصدر نفسه، ص52.

[4] نفسه، ص 86.

وخاطبت عمر لتستأنس به فتسرّبت إليها الفرحة.

* **ملاحظة:** وجب علينا أن نشير إلى أنّ الفعل الكلاميّ غير المباشر الواحد مرشّح لحمل أكثر من معنى وقصد واحد في خطاب واحد.

1-10-الاستفهام للتّحذير:

شمل هذا القول استفهامين وردا كالتّالي:"- **ستأتين بقطع؟؟ ولكن هل تعرفين ما الّذي تعرّضين له نفسك؟ إنّ جميع النّساء اللّاتي يمررن بالجمارك يعرين، ويفتّشن، لمعرفة ما يحملن. فهل تريدين أن تقع لك قصة سيّئة وأن يعلم بها جميع النّاس؟.. ما عساك صانعة إذا حكم عليك بغرامة وصودرت الأقمشة الّتي تحملينها؟ أنا لا شأن لي بالموضوع على كل حال.**"[1] فقد حملا معنى التّحذير وذلك عن طريق ذكر العواقب المترتّبة عن فعل ستقدم عليه عيني.

وبالعودة إلى السّياق نجد أنّ زوجة قره قد علمت بأفعاله القذرة، فأخذت تحذّره من النّتيجة الّتي يلقاها من أفعاله، و قبل أن تعلن عن سبب قولها استهلّت كلامها باستفهام ليس الغرض منه طلب الفهم من زوجها، جاء كالتّاليّ:"- **أنت تريد أن تنشأ بيننا مشاكل، أليس هذا ما تريده؟**"[2] في هذا القول كانت متأكّدة من التّهم الّتي ستلقيها على زوجها، والّتي ستكون حتما سببا في وقوع مشاكل بينهما، وبهذا خرج الاستفهام إلى معنى التّحذير؛ أي تحذّره من أفعاله الّتي ستدخله في دوّامة من المشاكل.

1-11-الاستفهام للافتخار:

تفتخر لالا في هذا القول عن طريق الاستفهام:"- **ما العمل؟**"[3] وقد جاء في سياق الحوار عن تحضيراتها للعرس، والّتي تليق بمقام عائلتها، إذ لابدّ من ذلك حسب قولها حفاظا على مكانتها بين النّاس.

ومثال آخر أورده محمّد ديب في بيان نفس القصد هو:"-**أليس هذا رائعا؟ مستقبل عظيم، يا**

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 57.

[2] محمّد ديب، الحريق، ص272.

[3] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص59.

طرح؟ ماذا أنت لولاي؟"[1] أفاد الاستفهام في هذا المثال معنى الافتخار بالنّفس. إذ جاء سياق هذا الكلام في حوار لالا مع عمر، عندما توسّطت له لإيجاد عمل كحلّاق في المدينة؛ أي أنّ مقام لالا وتكبّرها بين النّاس كان سببا في حصول عمر على عمل. كما يمكن أن يخرج إلى قصديّة الإغراء.

1-12- الاستفهام للتّأكيد:

ويواصل المتخاطبون في الخروج عن المعاني الأصليّة للاستفهام، فهذا قول لعيني:"- **هل ترون كم سندفع ثمنا للدّقيق وحده؟**"[2] ورد فيه الاستفهام ليس طلبا للفهم أو الحصول على معلومات، وإنّما هو تأكيد على حقيقة مفادها أنّ المال هو ثمن الدّقيق وحده، لأنّ الكلام صادر من عيني وهي تدرك ذلك فلا حاجة إلى الفهم، بل تحاول إفهام أبنائها ذلك وتؤكّد وتثبّت تلك الحقيقة. فهو استفهام لا ينتظر منه جواب.

قالت عيني هذا الكلام من قبيل الأدب:"- **هل ينتظرك في بيتك عمل من الأعمال؟**"[3] وهو فعل كلاميّ غير مباشر، فلم تستفهم من باب الطّلب وإنّما تكمن قصديّة الكلام في: التّأكيد على أنّ العمّة لا عمل لها ينتظرها ما يجعل احتمال ذهابها دون الغداء أمر مستحيل، فلا عذر لها للذّهاب.

1-13-الاستفهام للتّأنيب والشّكوى والاستعطاف:

وكثيرا ما تجتمع المعاني الخفيّة في فعل كلاميّ واحد، ويّمثل له بهذا القول:"- **أتدعينني وحدي، يا بنيّتي؟ ماذا صنعت من ذنب؟ لماذا يا عيني؟ لماذا؟ لماذا تعامليننني هذه المعاملة؟**"[4] خرج فيه الاستفهام عن معنى الطّلب إلى التّأنيب، وقد جاء في سياق حوار الوالدة مع عيني حين أخذت تنتحب وتشتكي من معاملة ابنتها لها، فما كان من الوالدة إلّا أن استفهمت مستعطفة إيّاها لإظهار ما صاحبها من الخوف جرّاء تركها وحدها طوال اللّيل.

حدث حوار بين حميد سراج والشّرطيّ، قال فيه حميد سراج:"- **طفل جاع؟ طفل ركض في**

---

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص60.

[2] المصدر نفسه، ص 81.

[3] نفسه، ص 105.

[4] نفسه، ص ص 85، 86.

الوحل المتجلّد عاري القدمين؟".[1] أفاد الاستفهام معنى الشّكوى واللّوم في الوقت نفسه. أخذ حميد سراج يشتكي من حالته المزرية، وفي الوقت نفسه يلوم الشّرطيّ بطريقة غير مباشرة، إذ يقصد بذلك: أنتم السّبب في ما وصلت إليه.

خرج الاستفهام من معنى طلب العلم بشيء إلى معنى الشّكوى، وقد ورد في سياق كان فيه النّاس في المقهى فجأة صاح شخص يردّد استفهاما مشحونا بالشّكوى لله قائلا:" – **لماذا تنسى عبدك يا الله؟**[2]" فقد سئم هذا الشّخص من حاله متمنّيا الموت على أن يستمرّ في العيش بتلك الحالة، هو يطلب من الله أن يغيّر من حاله.

1-14-الاستفهام للّوم:

سنورد مثالا عن خروج الاستفهام إلى معنى اللّوم:"– **لماذا تسيئين معاملتها إلى هذه الدّرجة؟**"[3] في هذا المثال لم يسأل الأولاد والدتهم بغرض الحصول على ردّ عن سبب الإساءة، وإنّما يلومونها عن تلك الإساءة في حدّ ذاتها والكفّ عنها. وبالعودة إلى سياق الحوار الّذي دار بينهم نجد أنّ عيني قد تمادت في معاملتها السّيّئة لوالدتها. فالاستفهام هنا فعل إنجازيّ حمل معنى اللّوم وطلب الكفّ عن تلك التّصرّفات.

كما استوقفنا هذا الاستفهام في قول سليمان:"– **فمن أين يخرج هذا كلّه؟ هل هذا كلّه ثمرة أناس خلقوا ليوسّخوا الأرض كما تقول؟ لم تفعلون هذا؟**"[4] حين احتقر قره أبناء وطنه أخذ يقدّس فرنسا، وأثار ذلك غضب سليمان وسخطه من كلامه، فأخذ يلومه ويعرض عليه الخيرات الموجودة أمامه ، وأنّ فائدتها العظيمة هي نتيجة للجهود الّتي قام بها الفلّاحون، وأنّ روح ذلك الفلّاح معلّقة بتلك الأرض وحوّلها إلى جنان. فكانت طريقة قوله دالّة على اللّوم بسبب كراهيّة قره للفلّاحين.

ومن باب اللّوم– أيضا– في الخطاب الاستفهاميّ ما جاء على لسان حميد سراج:"– **فلماذا، وأنت شرطيّ، ولم تتدخّل لحماية ماسح الأحذية الصّغير، مع أنّك شرطيّ؟ وأنت، ألم تأخذ أطفالا**

[1] محمّد ديب، الحريق، ص215.

[2] محمّد ديب، النّول ، ص344.

[3] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص87.

[4] محمّد ديب، الحريق، ص170.

إلى السّجن؟ ألم تأخذ أطفالا إلى السّجن؟"[1] خرج الاستفهام في سياق الحوار الّذي جمع بين حميد سراج والشّرطيّ إلى معنى اللّوم، حيث إنّ حميد سراج يلوم الشّرطيّ على لامبالاته لإنقاذ الطّفل أكثر ممّا يسأله عن السّبب.

كما احتمل هذا القول نفس القصد(اللّوم):"- **أنا هرم يا مخلوقات الله؟ قولوا: أيعدّ رجلا مثلي عجوزا هرما؟**"[2] إضافة إلى معنى آخر هو النّفي، وقد جاء في سياق حوار بادعدوش مع رجال القرية عندما كانوا بصدد التّحضير لعقد اجتماع للنّظر في قضيّة الفلّاحين، فلما جاء بادعدوش ظنّ أنّ الاجتماع قد عقد ولم يستدع لكونه شيخا لا يقوى على شيء، فحمل صخرة كبيرة لينفي أنّه قد هرم، وليبرهن على أنّه مازال قويّا، وفي الوقت نفسه يلومهم على ما فعلوه.

1-15-الاستفهام للأمر:

كثيرا ما ينطلق المخاطِب بالمخاطَب فيوجّه له الأمر بأسلوب الاستفهام، في مثل هذا القول:"- **هل تجيئنا بالذّرة؟**"[3] هو فعل كلاميّ غير مباشر، وأصل الفعل أحضر لنا الذّرة، من باب التّأدّب وليس الطّلب المباشر إذن، هو طلب باللّين والرّفق:« تجسّد مبدأ التّأدّب الّذي يريده المتكلّم مع مخاطبه، فهي ضمان لتحقيق قصد قوله وإنجازيّته.»[4]

جاء في سياق المشاجرة الّتي حدثت بين حمدوش وعمر مايلي:"- **ما الّذي يسمّرك هناك؟**"[5] حيث نجد أنّ الاستفهام قد خرج إلى معنى الأمر، فلمّا ضرب حمدوش عمر أطلق عليه وابلا من الشّتائم ثمّ أمره بطريقة غير مباشرة بالانصراف، فهذا القول يحمل معنى: آمرك بالانصراف، ولا يقصد الاستفهام عن السّبب الّذي جعله واقفا دون أن يغادر.

1-16-الاستفهام للتّمنّي:

---

[1] محمّد ديب، الحريق، ص 216.

[2] المصدر نفسه، ص225.

[3] نفسه، ص 130.

[4] عبد الحليم عيسى، تداوليّة مبدأ التّأدّب في إنجازيّة الفعل الكلاميّ، المجلّة الجزائريّة للدّراسات الإنسانيّة، المجلّد 1، العدد 1، الجزائر2019. ص ص206، 207.

[5] محمّد ديب، النّول، ص314.

لنأتي إلى هذا المثال:"- **هل رأيته، الحصان الّذي اجتاز السّماء؟**"[1] فقد ورد فيه الاستفهام كفعل كلاميّ غير مباشر أفاد معنى التّمنّي. وجاء في سياق الحوار الّذي دار بين كومندار وعمر حول قصّة حصان أبيض بلا سرج يطوف حول المدينة، وكومندار هنا لا يقصد فعلا الحصان؛ وإنّما السّلام الّذي يرمز إليه اللّون الأبيض، كما أنّ هذا الحصان بلا سرج، ولا فارس، ولا عدّة، فلا أعباء على ذلك الحصان ولا حمولة، وفي هذا قصد إلى الحريّة المطلقة، وباستحضار السّياق والظّروف الّتي قيل فيها الاستفهام نجد أنّه خرج إلى التّمنّي، فكومندار يتمنّى العيش في وطن ينعم فيه بالحريّة. وفي المدوّنة مؤشّرات فيزيولوجيّة عن كومندار ترجّح أكثر قصد التمنّي وهي(بتر القدمين بسبب الحرب). كومندار أكثر النّاس شعورا بالمعاناة، وقد يكون ذلك الحصان تشبيه لكومندار يتخيّل نفسه غير عاجز.

1-17- الاستفهام للاستدراج:

خرج الاستفهام عن معناه الّذي وضع له إلى معنى الاستدراج. وجاء سياق هذا الاستفهام في حوار قره مع الرّجال محاولا التقاط معلومات عن حميد سراج قائلا:"- **هل تعرف من هو حميد سراج؟**"[2] إنّ قره في موقف الشّكّ وليس الاستعلام، وقوله ليس لغرض شخصيّ وإنّما ليشي به إلى السّلطات. والاستفهام هنا للاستدراج. كما ينطبق هذا على قوله أيضا:"- **إذن أنتما مع الفلّاحين؟ ولستما ضدّهم؟**[3] حين أخذ يسألهم إن كانوا ضدّ أم مع الفلّاحين بغرض الاستدراج.

1-18-الاستفهام للحيرة والاستغراب:

ظاهر هذا الاستفهام مضاد له من حيث اللّفظ:"- **أأنت لا تزال على قيد الحياة؟**"[4] ويقصد به نقيض ذلك، يريد به المخاطِب القول: "ظننّا أنّك ميّت" هو قول موجّه إلى جاره فلو كان ميّتا في الحقيقة لسمع بذلك، ولكن ذكر ذلك من باب أنّ جاره لم يظهر منذ وقت طويل (طال غيابه)، وفي هذا السّياق خرج الاستفهام ليدلّ على الحيرة.

---

[1] محمّد ديب، الحريق، ص 134.

[2] المصدر نفسه، ص 164.

[3] نفسه، ص 148.

[4] نفسه، ص 151.

تمظهر الاستفهام في شكل استغراب، وبذلك يكون معنى هذا القول:"- **ولكن لماذا لا يأخذون غيرهم؟ لماذا لم يعتقلوا جميع الناس؟**[1]" قد خرج إلى معنى آخر أسنده المخاطِب إلى كلامه ويتمثّل في الاستغراب. وقد جاء في سياق الحوار عن الاعتقالات العشوائيّة الّتي يمارسها المستعمر.

1-19- الاستفهام للتّهديد:

خرج الاستفهام في الاستعمال عن معناه إلى معنى التّهديد. إذ جاء في سياق حوار زهور مع عمر عندما أرادت أن تمازحه وكانت في نفسها أشياء غير محبّبة تريد فعلها، فلمّا همّ عمر بالفرار أخذت تعترض طريقه مهدّدة بالصّراخ والتّعنيف، فإمّا الاستسلام لأمرها أو ستصيح بأعلى صوتها، فجاء قولها كالآتي: "- **ستبقى هادئا، هه؟**".[2]

1-20- الاستفهام للإذعان والتّسليم:

"- **كيف وقع ذلك؟ كيف؟ تسأل كيف وقع؟ إرادة القدر. فيم بقائي هنا أتكلّم؟ أو أصمت؟**"[3] خرج الاستفهام إلى معنى الإذعان والتّسليم. وقد جاء في سياق الحوار عن الحريق الّذي أتى على أكواخ الفلّاحين، وكان بينهم فلّاح قد احترق كوخه وماتت زوجته، فلم يجد ما يقوله سوى أنّ الأمر قضاء وقدر، فما بيده حيلة فالّذي حدث قد حدث.

1-21- الاستفهام للتّعليل و التّيئيس:

أفاد الاستفهام معنى التّعليل والتّيئيس في هذا القول:"- **لعلّكم تظنّونّ أنّ هذا الأجر قليل؟.هل رأيتم بأعينكم؟**"[4] وباستحضار كلّ مقتضيات السّياق الّذي ورد فيه نجد أنّ عيني لم تستعمل الاستفهام من أجل الفهم، بل إفهام أبنائها أنّ الأجر قليل لا يكفي، معلّلة السّبب الّذي جعلها لا تلبّي طلبات أبنائها، فهم في كلّ مرّة يتمنّون شراء اللّحم...إلخ وفي الوقت نفسه تقصد أنّ ذلك يستحيل من باب التّيئيس.

---

[1] محمّد ديب، الحريق، ص236.

[2] المصدر نفسه، ص197.

[3] نفسه، ص233.

[4] نفسه، ص242.

1-22- الاستفهام للتّهكّم:

بالوقوف عند ظاهر اللّفظ في هذا القول:"- **كيف حالك إذن؟ كيف حال أهل عوجا؟**"[1] نجد أنّ كلام النّسوة هو استفهام، ولكن بعد إحاطته بالسّياق وقرائنه تبيّن أنّه خرج إلى معنى التّهكّم. إذ إنّ عيني لم تسافر إلى عوجا ولم تمكث طويلا، لأنّ المدّة الّتي قضتها ليست المدّة المحتملة للوصول، حيث عادت قبل الموعد. وهذا ما أدركته النّسوة فرحن يسألن عن أهل عوجا وهي أصلا لم تصل إلى تلك المنطقة.

1-23- الاستفهام للإهانة:

وعلى سبيل الإهانة جاء قول زبيش لعمر:"- **هل تعرف يا عمر؟**"[2] بقصد إهانته، فلم يلجأ إلى الاستفهام بغرض الحصول على ما لا يعلم، وإنّما قصد إغضاب عمر، وذلك عن طريق إهانته بوصفه فرّوج قد باضه صاحب المصنع. هذا الصبيّ المسكين النّحيل قد خارت قواه نتيجة الفقر، لهذا يصفونه دائما بالعصا لنحافته أو فرّوج لصغر حجمه.

2- تداوليّة الأمر:

يبدو أنّ للأمر صور عديدة تتباين بين التّنظير والاستعمال، فالأمر في كلّ الأحوال واحد، وإنّما من حيث الغاية من استعماله يختلف حسب المخاطِب والمخاطَب ومقام توظيفه:« فكثيرا ما يقتضي المقام استعمال صيغة الأمر في غير معناها الحقيقيّ لعلاقة بين ذلك الغير وبين معنى الأمر.»[3] ويعدّ الآمر نفسه في مرتبة عالية على مخاطَبه، وتكون هذه المرتبة أحيانا حقيقيّة، وفي أحيان أخرى يدّعيها المخاطِب، ومرتبة الآمر هي الرّكيزة الأساسيّة الّتي تجعل من الأمر مسألة لغويّة و تداوليّة؛ فهي تخرجه من الدّائرة اللّغويّة البحتة القائمة على أساس الوضع إلى دائرة أوسع(التّداوليّة) انطلاقا من هذا الجانب اللّغويّ مرورا بالسّياق ومراتب المتخاطبين. وفي هذه الحالة تكون:« منزلة المتكلّم مقارنة بمنزلة المخاطَب هي الّتي تصبغ الطّلب بصبغة خاصّة ويؤدّي بها

[1] محمّد ديب، الحريق، ص245.

[2] محمّد ديب، النّول، ص313.

[3] سعود بن غازي أبو تاكي، صور الأمر في العربيّة بين التّنظير والاستعمال، ط1، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة 2005. ص53.

اللّفظ غرضا خطابيّا خاصّا ووظيفة تواصليّة معيّنة.»[1]

واللّافت في المدوّنة أنّ صيغة الأمر (افعل) كانت حاضرة بقوّة مقارنة بالصّيغ الثّلاث المتبقيّة، فلا حرج من التّركيز عليها في بحثنا.

ويُستعمل الأمر على سبيل الاستعلاء، ويتولّد عن صيغة الأمر وجوه عديدة يفرضها ويكشف عنها السّياق، وهذه الوجوه هي الّتي تكوّن المعنى الأصليّ، وتتولّد هذه الوجوه بحسب قرائن الأحوال بما يناسب المقام. فقد يكون الأمر للدّعاء، أو الالتماس عندما تتساوى الدّرجة بين المتخاطبين، أو التّهديد في مقام السّخط على المخاطَب...إلخ[2] وهذا التّلوّن يخضع – كما سبق ذكره–[3] لمعطيات تداوليّة. ومن تلك المعاني الّتي خرج فيها الأمر عن معنى الطّلب في الثّلاثيّة ما يلي:

2-1- الأمر للتّحذير والغضب:

يأتي لفظ الأمر لإظهار التّحذير في هذا القول:"- **اذهب الرّجال لم يخلقوا للبيت.**"[4] وقد جاء هذا النّمط في حوار عيني مع عمر، فبعدما تبيّن لعمر نوع الغداء ظهر عليه التّذمّر، وهمّ خارجا فصاحت عيني تأمره بالخروج بحجّة أنّ الأولاد لم يخلقوا للبيت، وهي ذريعة فقط تستعملها؛ لأنّها مدركة تمام الإدراك أنّ مالك البيت لا يتحمّل وجود أولاد المستأجرين في فناء البيت، فإذا حدث ذلك شكا أمرهم لأوليائهم، لهذا تعوّد الأولاد أن يلعبوا خارج البيت. كما أنّ عيني قد تفادت هذا الموقف آمرة ابنها بالخروج. وورد التّحذير بذكر فعل الأمر (حذار) وهو وسيلة من وسائل التّوجيه، و أسلوب ثلاثيّ الأقطاب يشتمل على المحذّر والمحذِّر والمحذور، وقد ورد في المدوّنة بذكر المحذّر منه اسما ظاهرا [5] في هذا المثال": **حذار من العربات.**"[6] وهو كلام صادر من العمّة

[1] مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللّسانيّ العربيّ، ط1، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت 2005. ص105.

[2] ينظر: السّكاكيّ، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت 1987. ص ص 318، 319.

[3] ينظر: ص159 من هذه الأطروحة.

[4] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص15.

[5] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشّهريّ، استراتيجيّات الخطاب، ص ص 355، 356 ،357.

[6] محمّد ديب، المصدر نفسه، ص62.

حسنة نحو عمر.

الظّاهر أنّ الأمر قد حمل معنى الغضب في هذا القول لعيني:"- **اسكتوا هذه المجنونة، اسكتوها وإلّا صنعت بها**[1]"وقد جاء في سياق الحوار الّذي جمعها مع أولادها حول دفع صاحب العمل أجر عيني. قامت عيني بتوزيع الأجرة على مستلزمات البيت من دقيق و كراء البيت...إلخ ولمّا رأت البنت الصغرى المال أخذت تشتهي بعض المأكولات وطلبت من والدتها شراءها، فلم تتحمّل عيني كلامها وطلبت منها أن تلزم الصّمت، فهي على ثقة أنّ المال يكفي للدّقيق فقط، ولا تكبّد نفسها، وأنّ على البنت أن تستسلم للأمر الواقع، وكان ذلك عن طريق صياح مشحون بالغضب.

2-2- الأمر للتّهديد:

قالت عيني:"- **عمر، ارجع إذا كنت لا تريد أن أقطعك تقطيعا.**"[2] فعل كلاميّ غير مباشر. جاء سياق هذا القول في حوار عيني مع ابنها. عندما اقتحمت الشّرطة البيت همّ عمر بالهروب بين النّساء، وأخذت عيني تصيح مؤنّبة، إلّا أنّه لم يكترث لكلامها ولتهديداتها. وفي هذه الحالة هذا الفعل ظاهريّا لم ينتج عنه الفعل التّأثيريّ لأنّه لم يغيّر من موقف وسلوك المخاطَب(عمر) وهذا إذا انطلقنا من فعل الأمر، لكن لو تمعّنا فيه جيّدا لوجدنا أنّ الهروب في حدّ ذاته فعل ناتج عن التّهديد، كان بإمكان عمر العودة حين وُجّه إليه الأمر، لكنّه فهم قصد التّهديد فتعمّد مواصلة الهرب.

يظهر فعل الأمر ظهورا استعماليّا مقاميّا في هذا القول: "-**انتظر قليلا. انتظر أن يصل العمّ بادعدوش، ليريك كيف يجعل البقر أمثالك تخور وتجأر**".[3] وقد حمل قوّة إنجازيّة فعليّة دلّ فيها التّلميح على التّهديد، وقد ورد في حوار جمع سليمان مع رجل من رجال القرية. كان سليمان يغنّي بصوت مرتفع للتّرويح عن النّفس ونسيان الضّجر الّذي ينهشه، فجأة صاح رجل مهدّدا سليمان بالعمّ بادعدوش الّذي سيوبّخه على إسرافه في الغناء.

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 82.

[2] المصدر نفسه، ص29.

[3] محمّد ديب، الحريق، ص124.

خرج الأمر عن معنى الطّلب إلى التّهديد في قول عمر:"- **اقترب منّي إن استطعت يا حمدوش**".[1] جاء سياق هذا القول في حوار عمر مع حمدوش، عندما ضرب هذا الأخير عمر دون سبب يدعو إلى ذلك سوى أنّه لم يهيّء له الصّوف الّذي طلبه منه، وعمر في تلك الأثناء كان يريد الانضمام إلى الصّبية ليرفّه عن نفسه قليلا، قبل أن يفاجئه حمدوش بالضّرب حتّى أوقعه على الأرض، فحمل عمر قضيبا حديديّا ورفعه طالبا حمدوش الاقتراب منه إن استطاع. والأمر هنا تكمن قصديّته في تهديد المخاطِب للمخاطَب في عدم الاقتراب منه وليس الاقتراب حقّا، وأنّه سيلقى مصيره إن فعل ذلك، لأنّ من النّاس من لا يأخذ العبرة إلّا بالعنف.

2-3- الأمر للدّعاء:

يأتي الأمر بمعنى الدّعاء حينما تُستعمل الصّيغة في مقام الاستغاثة، وقد ورد بهذا المعنى في قول عائشة:"- **احمنا يا رب**"[2]. هو فعل كلاميّ غير مباشر. جاء سياق هذا الكلام في خطاب عائشة عندما سمعت الفوضى الّتي حدثت بسبب قرع الشّرطة للباب، قامت برفع يديها طالبة من الله أن يحميهم، كما أنّها ركعت خائفة راجية من الله أن يحمي أهل البيت، لأنّ قدوم الشّرطة ينبئ بأمر خير محمود.

تلفّظ رجل متشرّد بهذا القول:"- **اقبض إليك هذه الرّوح الّتي هي ملكك**"[3] تعبيرا عن عجزه في مواجهة مشاكل الحياة، فقد انهارت نفسه، واشتدّت به الخطوب وضعفت إرادته. وأصبح يشعر بالحزن، كما دبّ فيه اليأس بعدما صار يفترش قارعة الطّريق. وأمام هذا كلّه وجد الرّجل الدّعاء على نفسه بالموت مسلكا. إذن، الدّعاء هو القصد من الأمر (اقبض): اللّهمّ اقبض روحي.

2-4- الأمر للتّنبيه:

إنّ أيّ تواصل يكون غير مباشر بشكل أو بآخر، وقد نتج عن قول عيوشة وهي توجّه خطابها إلى أختها(مريم):"- **انظري إلى مريم**.."[4] كانت عيوشة تحاول أن تنبّه مريم إلى أمر ما: وهو أنّك

[1] محمّد ديب، النّول، ص390.

[2] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 27.

[3] محمّد ديب، النّول، ص ص344، 345.

[4] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص37.

قد استحوذت على الطّعام كلّه، وصحن الأكل تتشاركان فيه معا، فالأمر في هذا السّياق خرج عن معنى طلب النّظر إلى شيء إلى التّنبيه. انظري: فعل إنجازي غرضه التّنبيه.

2-5- الأمر للإهانة:

نحتكم إلى المعطيات السّياقيّة في هذا القول:"- **روحي اعمليها في الشّارع إذا كنت لا تحبّين أن تنتظري!**"[1] فحسبما يظهر فإنّ الأمر حمل معنى الإهانة. بالعودة إلى الحوار الّذي ورد فيه نجده بين عمر والجارة وكان بسبب طول انتظار هذه الأخيرة لكي يخرج عمر من المرحاض، فكما تشير المدوّنة فإنّ السّكان يشتركون في مرحاض واحد ما يجعل الازدحام لا ينقطع، وعمر حينما دخل تذّمرت الجارة بسبب بقائه طويلا هناك، فلّما خرج ردّ عليها بإهانة يكمن معناها في عدم إكراهها على الانتظار. وما يؤكّد على قصديّة الإهانة هو أنّ الحيوان هو من يقضي حاجته في الخلاء وليس الإنسان، لهذا رجّحنا معنى الإهانة.

2-6-الأمر للتّأنيب:

بعد أن وجدت العمّة عملا لعمر أوصته بالإتقان والمضيّ فيه، فردّ عمر بأنّه يريد أن يتعلّم وليس أن يعمل، وأنّه قد ترك ذلك العمل راغبا في الدّراسة، وقد تضمّن قول العمّة:"- **دعك من هذه الأفكار**"[2] فعل الأمر (دعك)، إذ إنّ الأمر هنا فعل إنجازيّ تضمّن إظهار التّأنيب، فقد أرادت أن تكون مؤنّبة له على فعلته وتحاول أن تزرع في عقله فكرة التّخلّي عن الدّراسة.

2-7- الأمر للنّصح:

قالت عيني:"- **اعتبر بما يقال لك**"[3] حمل الأمر في هذا القول معنى النّصح. هو أمر ممتزج بحرص عيني على مصلحة ابنها، وتلك المصلحة تكون بعيدا عن دراسته، بعدما خاطبته العمّة بلهجة التّأنيب في المثال السّابق مضمونه أنّ العمل أولى من الدّراسة، وافقتها عيني محاولة إقناع ابنها بذلك، وهنا الأمر فعل إنجازيّ قصدت به النّصح؛ إذ جاء دعوة على القبول والامتثال للعمّة.

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، 51.

[2] المصدر نفسه، ص 57.

[3] نفسه، الصّفحة نفسها.

خرج الأمر للدّلالة على معنى النّصح مرّة ثانية في قول العمّة:"- **أطيعيني. يجب على المرء أن يبقى ساكن البال هادئا، هذا كلّ ما أستطيع أن أقوله لك**"[1] وقد ورد في سياق الحديث عن قرار عيني بالذّهاب للتّهريب وصارحت عمّتها بذلك، فاستولى الخوف على العمّة وأخذت تستنكر ذلك العمل، محذّرة إيّاها من تبعات عملها وردّدت قائلة: "أطعيني"، وهو فعل إنجازيّ تكمن قصديّته في النّصح، فقد أرادت أن تكون مرشدتها؛ لأنّ ما ستفعله عيني يحتاج إلى الهدوء واحتساب الخطوات، وكلّ هذا جاء بعد أن حذّرتها بذكر العواقب المترتّبة عن ذلك.

حمل الأمر معنى النّصح في قول عكاشة:"- **دعك من الاحتكاك كثيرا بعمّال الكهف وإلّا ندمت**"[2] وهو يقوم بتوجيه عمر وحرصه على مصلحته، وقد جاء بمنزلة الفعل الإنجازيّ الّذي قصد به النّصح، حيث ينصحه بالابتعاد عن عمّال المصنع لتفادي الشّجار. وككلّ مرّة يأتي خطابه مع عمر بالقول اللّين بعيدا عن الإكراه أو الاستعلاء، بل اتّخذه صاحبا له. وقد ظهر في الأمر الموالي حرص عكاشة على نصح عمر وتوجيهه نحو الطّريق الصحيح **(انظر إلى حالي، انظر إلى باصقالي)** فعل الأمر هنا لا يقصد به النّظر إلى حاله، وإنّما ينصحه ألّا يكون مصيره كمصيره هو، حيث ضيّع معظم وقته بين الأنوال، وعلى عمر أن يجد لنفسه مخرجا غير ذلك؛ لأنّه سيظلّ فقيرا مثلما دخل فقيرا.

2-8- الأمر للوعظ:

جاء هذا القول:"- **اسمع يا محمّد، انظر...انظر في أيّة حالة مزرية تضع نفسك أمام أعين جميع سكّان الحيّ الّذين يحبّونك ويقدّرونك تقديرا عظيما، أجب..**"[3] في سياق حوار سي صالح مع محمّد، هذا الأخير يسرف في الشّرب ما يجعله في موقف يسخر منه الأولاد، وهذا الموقف كان فرصة لسي صالح أن يقدّم له بعض الوصايا. إنّ هذه الأفعال الأمريّة (اسمع، انظر، أجب)، ليست بهدف طلب الشّيء، فالرّجل يدرك أنّ مخاطَبه لن يجيب ولا يدرك كلامه فقد نال منه السّكر، وإنّما كان القصد من ورائها الوعظ والالتزام بالسّلوك السّويّ. وهي أفعال صادرة حسب

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 58.

[2] محمّد ديب، النّول، ص315.

[3] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص83.

السّياق من مخاطِب تقيّ يشهد له بذلك. وقد أشرنا سابقا[1] إلى أنّ منزلة المخاطِب تمنح الطّلب بعدا خطابيّا.

2-9- الأمر للرّفض والطّرد:

سلك المعنى في هذا المثال منحى آخر:"- **هيا امش، تعالى لأخذ رغيفك غدا**"[2] يبيّنه السّياق في حوار عمر مع صانع الخبز، حين نسي عمر أخذ رغيفه في ذلك اليوم وقد حلّ الظّلام وتأخّر الوقت، فذهب إلى منزل الخبّاز في اللّيل ليأخذ خبزه، ولمّا خرج الرّجل طلب منه أن يمشيّ ويعود غدا، وهنا فعل الأمر (امش) لم يكن يقصد به فعلا المشي والسير، وإنّما هو فعل إنجازيّ غير مباشر تكمن قصديّته في الرّفض وطرد عمر.

2-10- الأمر للنّفي والتّعظيم:

يعتبر النّفي في هذا القول الصّادر عن رجل تجاه امرأة:"- **عودي إلى البيت**"[3] من المعاني المبطّنة؛ لأنّ الرّجل لم يطلب من المرأة العودة إلى البيت وإنّما يقصد: لا داعي للانتظار هنا خارجا، فقد انقطعت أخبار زوجك. وقد وردت في سياق حوار رجل مع امرأة اعتقل زوجها ظلما، وكانت في كلّ مرّة تمرّ من أمام جماعة من الرّجال وتبقى واقفة لوقت، وهذه الحركة تقصد بها السّؤال عن أخبار زوجها، والرّجل بدوره يفهم ما الّذي جاء بها، فطلب منها العودة إلى البيت نافيا وجود أخبار عن زوجها.

وخرج الأمر إلى معنى النّفي أيضا في قول بادعدوش:"- **اذهب حيث شئت..**"[4] في حواره مع فلّاح شاب يدعى هاشمي، عندما قال بادعدوش إنّ هذه البلاد لا نظير لها في الدّنيا، آمرا الشّاب بالذّهاب أينما شاء فلن يجد مثل الجزائر، هو في الحقيقة ليس أمرا بالذّهاب، وإنّما تكمن قصديّته في قوله في النّفي والتّعظيم، فقد جاء قول بادعدوش بأسلوب الأمر مخاطبا هاشمي عن طريق النّفي القطعيّ بوجود بلد أفضل من بلده، وبهذا أفاد الأمر التّعظيم أيضا. وبادعدوش في قوله هذا

[1] ينظر: ص ص159، 160 من هذه الأطروحة.

[2] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 113.

[3] محمّد ديب، الحريق، 142.

[4] المصدر نفسه، ص155.

لم يكن يحاول إقناع الشّاب بذلك، بل كان صادرا عن قناعة شخصيّة.

2-11- الأمر للسّخرية:

يشير ظاهر هذا الكلام:"- **دعه..لابد أنّه ملاق سليمان المسكين**"[1] إلى فعل الأمر بالتّرك، بيد أنّ القصد هو: السّخرية، ولتحقيق هذا المعنى لابدّ من ذكر الأسباب، وهي أنّ النّاس قد أصبحوا يرشقون أيّ شخص تابع للسّلطات(أو عميل) بعبارة صارت شائعة ومطّردة بعد حادثة سليمان مع قره، حينما لقّن سليمان قره درسا عن الوطنيّة، وعن قيمة الفلّاح. وفي هذا القول لم يكن القصد فعل الأمر(دع) وإنّما جيء به للسّخرية من الشّخص. فالقصد هو: لقد كفّى ووفّى سليمان فلن نضيف شيئا، لقد استرد حقّ الجميع، وتلك الحادثة تنطبق على كلّ عميل، حيث صار سليمان المسكين رمزا للرّدع، وعنوانا للانتصار على الخوف.

يأتي هذا القول في إطار السّخريّة مرة أخرى، وهذه المرّة من طرف العميل قره قائلا:"- **حلّي محلّهم إذن، حلّي محلّهم، وبصّري النّاس بما يجب عليهم أن يعملوه**".[2] وقد ورد في سياق حوار قره مع زوجته حول الأوضاع الّتي آلت إليها بني بوبلان، وحينما حاولت الزّوجة تقديم وجهة نظرها ردّ عليها الزّوج ساخرا، وكان المعنى خلف ما قال هو: إنّك لست أفضل منهم، وأنّ ما تقولينه أكبر منك ومن عقلك.

يأتي هذا الأمر في سياق طلب الأحمر من عمر إحضار مكّوك من السّقيفة، فلمّا صعد أمسكه الشّاب الأحمر من ساقه، وطلب منه إصدار صوت القطّة لكي يفلته قائلا:"- **قل مياو، أنا قطة**"[3] وباستحضار هذا السّياق نجد أنّ القصد من ذلك هو السّخرية من عمر، كثيرا ما يشتم ويسبّ ويسخر منه في المعمل، والدّليل على ذلك أنّه أفلته ولم يتحقّق الشّرط الّذي وضعه؛ لأنّ القصد هو إزعاج عمر بالسّخرية ليس إلّا.

2-12- الأمر لطلب الإذن:

[1] محمّد ديب، الحريق، ص175.

[2] المصدر نفسه، ص ص201، 202.

[3] محمّد ديب، النّول، ص305.

أمر بادعدوش مخاطبيه بقوله:"- **اسمحوا لي ...**"[1] الملاحظ في هذا القول أنّ بادعدوش على درجة عالية من التأدّب على الرّغم من معاناته وبساطته(تعمّدنا قول ذلك لأن معظم الشّخصيّات في الرّواية صارت سليطة اللّسان بسبب المعاناة)، إذ وظّف الأمر توظيفا تداوليّا، فقد كان بإمكانه أن يستعمل أسلوبا مباشرا تداوليّا، لكنّه اختار أن يكون مؤدّبا بعد مقاطعة حديث الفلّاحين، وفعل الأمر اسمحوا لي لا يقصد به فعل السّماح، وإنّما يقصد بذلك قول:(**أريد أن أتحدث**) هو طلب الإذن بالحديث.

2-13- الأمر للدّهشة والرّغبة في التّصديق:

جاء في سياق الحوار الّذي جمع الفلّاحين مع حميد سراج هذا القول:" - **تكلّم يا بادعدوش كما يتكلّم سائر بني آدم**"[2] أخذ بادعدوش الكلمة مخاطبا الجماعة بألفاظ قويّة تنمّ عن وعي الإنسان المنفتح على العالم مثيرا بذلك دهشة الحضور، فخاطبه أحدهم مطالبا إيّاه التّكلّم كسائر بني آدم. هنا نتساءل هل فعلا كلام بادعدوش غير كلام البشر؟ فبأيّ لغة حدّثهم إذن، إن كانت لغة ليست كلغة البشر؟ وبهذا يكون القول غير الّذي صرّح به، بل القصد منه: أنت تستخدم ألفاظا نادرة وأعلى من مستوى الفلّاح البسيط الّذي لم يتعامل مع الآخرين، لأنّ الألفاظ القويّة تتكوّن مع المعاملة والانفتاح. هنا المطلوب هو: **تكلّم بلغة بسيطة بساطة الفلّاح.**

إذا نظرنا إلى المعنى الحرفيّ لهذا الملفوظ:"- **أعد ما قلته...**"[3] الصّادر من سيد علي نحو حميد سراج في سياق الكلام الّذي جمع بينهم حول الفرنسيّين، نجد أنّ حميد سراج أخبرهم بأنّ الفرنسيّين يعانون كما يعاني الجزائريّون، وفعل الأمر (أعد) لم يكن يقصد به إعادة القول فقد سمع ما قاله جيّدا كما فهم القصد من وراءه، وما يأتي خلف فعل الأمر هذا هو: **الدّهشة والرّغبة في التّصديق.**

2-14- الأمر للموافقة:

أحيانا يختار المخاطِب الطّريقة غير المباشرة في كلامه ليكون كلامه أكثر فعاليّة، ففي هذا

[1] محمّد ديب، الحريق، ص182.

[2] المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

[3] نفسه، ص193.

القول:"- **أرسليه إلى مصنعي**"[1] الصّادر من ماحي بوعنان(صاحب المصنع) نلاحظ أنّ فعل الأمر (أرسليه) يحمل قصدا خلفه هو: **أنا موافق على طلبك**. وقد جاء في سياق حواره مع عيني، عندما لجأت إليه طالبة أن يجد عملا لعمر في مصنعه. وهنا نجد أنّ الرّجل أنجز فعلين، الأوّل هو فعل الأمر والثّاني هو الموافقة على الطّلب.

2-15- الأمر للوعيد:

أمر زبيش عمر قائلا:"-**انتظر قليلا، وليسلخنّ جلدك سلخا**"[2]. يحمل قول زبيش (مسؤول الصّبية في المصنع) فعل أمر الانتظار من عمر كما يدلّ عليه حرفيّا، لكنّ القصد من ذلك أمر مستقبليّ يدلّ على الإنذار بما سيحدث لعمر لاحقا من شرّ، و هو إخبار عن العقوبة الّتي سينالها في حالة ما لم يطع أوامره.

2-16- الأمر للإخبار:

تشاجر حمدوش مع عمر، فأمسكه من أذنيه، ثمّ ردّ عمر دفاعا عن نفسه واضعا يديه على رقبة حمدوش، فصاح قائلا:"- **ارخ يدك.. ارخ يدك**"[3] وهو فعل كلاميّ غير مباشر يقصد به: إنّك تضغط على عنقي و تخنقني.

2-17- الأمر للاحتقار:

خرج الأمر عن معنى الطّلب على وجه الاستعلاء إلى معنى الاحتقار في هذا القول:"- **انظروا كيف يختالون في المدينة، وينامون أينما اتّفق، ويزحمون الشّوارع**"[4] جاء هذا الأمر على لسان شول في حواره مع رجال المصنع حول المتشرّدين الّذين نزحوا إلى المدينة. إنّ قول شول عن هؤلاء يشبه كلام الشّخص عن عدّوه، ما ولّد شعورا بالغضب والتّذمّر لدى الرّجال، حيث وصف المتشرّدين بالبهائم وأنّهم لا يشبهون النّاس، والقصديّة من الأمر تكمن في إظهار الاحتقار وانزعاجه من وجودهم.

---

[1] محمّد ديب، النّول، ص285.

[2] المصدر نفسه، ص287.

[3] نفسه، ص314.

[4] نفسه، ص330.

2-18- الأمر للشّتم و إظهار اليقظة:

نلحظ في هذا المثال:"- **قف.. أنت الآن مستعجل، هه. لا، ارجع**"[1] أنّ الأمر قد خرج إلى معنى اليقظة، والقصد من إنجاز فعل الأمر هو القول لعمر: باقي الأيّام كنت متثاقلا والآن لمّا رأيتني صرت مسرعا ومستعجلا للعمل. كما يخرج الأمر أيضا إلى دلالة الشّتم ممتزجا باليقظة في المثال الموالي:

"- **اذهب.. واعلم أنّه ليس على هذه الأرض إلّا أوغاد**"[2]: فعل كلاميّ غير مباشر. خرج الأمر عن دلالة الأصل إلى معنى الشّتم، إذ جاء في نفس سياق الحوار بين صاحب المعمل وعمر، عندما وصل عمر إلى المصنع وجد صاحب المصنع واقفا أمام الباب، فأراد أن يستأذن منه ليدخل ويبدأ عمله، فخاطبه بتذمّر مستعملا عبارات تدلّ على أنّ عمر لم يكن شغوفا فعلا بالعمل مثلما يبدو عليه عندما وجد صاحب المصنع وهو يراقب الباب(التّلاعب). يبدو أنّ صاحب المصنع لا يثق بأحد، فحينما قال إنّ كلّ من على الأرض أوغاد لم يستثني أحدا حتّى عمر، فالقصديّة من الأمر تكمن في إظهار الشّتم و إدراكه لحقيقة العمّال(أوغاد في نظره حتّى وإن كانوا صبية) وأنّه على علم بكلّ ما يدور حوله من تملّص العمّال من العمل في غيابه والتّظاهر بحبّ العمل أمامه. فتلك الحيلة لم تعد تنطلي على أحد.

2-19- الأمر للإنذار:

ينذر المخاطِب(عثمان) مخاطَبه(عمر) قائلا:"- **استعد فسوف تنال جزاءك**"[3] والمقصود بالجزاء هو ذلك العمل المضني بلا فائدة، إضافة إلى احتقار العمّال كلّما سنحت الفرصة. فالعامل لا يحظى بالاهتمام والاحترام والتّقدير كما يظنّ الجميع، إذ يكفي أنّه يشتغل في قبو. وفعلا تحقّق الفعل لاحقا وظهر جانبه التّأثيريّ عندما تمّ طرد عمر بسبب أوّل خطأ ارتكبه. اتّخذت الأفعال في الرّواية منحى تسلسليّا:« فما يكون فعلا قوليّا في حقه بقوّته الإنجازيّة يظهر أثره (الفعل التّأثيريّ) في فعل قوليّ آخر لمحاوره، هو بدوره قد يعود بأثره للمحاور الأوّل، أو دخول طرف ثالث ورابع في

[1] محمّد ديب، النّول، ص358.

[2] المصدر نفسه، ص359.

[3] نفسه، ص367.

الحوار. فالتّسلسل موجود في حقّ الأفعال لكنّه متداخل بحسب المتحاورين.»[1] وما أكثر ذلك في مدوّنتنا.

2-20- الأمر للتّذمّر:

استعمل حمدوش الأمر بهدف التّذمّر قائلا:"- **كفى سفالة، كفى رذالة**"[2] وقد ورد في سياق حواره مع عمر. ذهب عمر إلى بيت حمدوش ليتفقّده وكان ذلك بسبب غيابه عن العمل، راح ليستفسر ويسأل عن أخباره، فلمّا دخل وجد أنّ غرفته لا تختلف كثيرا عن غرف دار السبيطار، هي غرف تعكس الفقر والمعاناة، وأثناء ذلك خرج حمدوش ليجلب الخبز لشرب الشّاي، ولمّا عاد صدرت منه مجموعة من الشّتائم، فصاح آمرا في نبرة مشحونة بالرّغبة في التّمرّد ورفضه لمصيره. إنّ حمدوش شخص واع وناقم على ما يدور حوله لهذا يرتفع صوته من حين لآخر، ضف إلى ذلك فالظّلم السّياسيّ واقع وحقيقة يحملها في ضميره الّذي يؤنّبه باستمرار، وهذا ما جعل من شخصيّته كثيرة السّخط. حينما تلفّظ بالأمر لم يكن يقصد الكفّ فعلا، وإنّما التّذمّر من الحالة الّتي آل إليها.

2-21- الأمر للاستسلام والخوف:

في السّياق نفسه الّذي ورد فيه المثال السّابق عن شجار حمدوش وعمر خرج الأمر إلى معنى آخر ليدلّ على الاستسلام في هذا القول:"- **والآن، اقلاني، اقتلاني**".[3] فحينما ضرب شول وحمدوش عمر لم تكن مقاومة هذا الأخير تجدي نفعا، فقد أحسّ بأنّ الخطر كبير، وأنّه لن ينتصر في هذه المواجهة، حينها استسلم للأمر. هذا الأمر الّذي استخدمه هو تعبير عن خوفه من وصول الشّجار إلى حد الرّغبة في قتله.

2-22- الأمر للطّرد:

يشتدّ الشجار بين عمر وحمدوش، استدعى ذلك حضور ماحي بوعنان(صاحب المصنع)،

---

[1] محمّد بن عبد الله المشهوري، الحوار في شعر محمّد حسن فقّي، دراسة تداوليّة، دط، سلسلة الدّراسات الجامعيّة، جامعة الملك سعود، الرّياض2012. ص373.

[2] محمّد ديب، النّول، ص380.

[3] المصدر نفسه، ص391.

وقام بسؤال شول عن مسبّب الشّجار فقال له إنّه عمر، فأمسكه وأمره بالذّهاب قائلا:"- **اذهب... ولا ترني وجهك في هذا المكان بعد اليوم**"[1] في هذا السّياق خرج الأمر إلى معنى آخر تكمن قصديّته في الطّرد(**المقصود أنت مطرود من العمل**).

2-23- الأمر للشّكوى:

وصل عمر إلى البيت في حالة يرثى لها، أخبر والدته عن ذلك الشّجار، فخرجت إلى الرّواق صاحية:"- **انظروا أيّها النّاس ماذا فعل أعداء الله بابني**"[2] في الوقت نفسه تعرض حالة ابنها على الجيران، فقد أحسّت بالظّلم. والأمر هنا يفيد معنى الشّكوى؛ فهي لم تقصد أن ينظروا إلى حالة ابنها، بل تشكو إلى جيرانها حالته.

3- تداوليّة النّهي:

للنّهي صيغة واحدة هي: (لا تفعل)، (لا) الجازمة مع فعل مضارع. وهو كالأمر في الاستعلاء ويختلف عنه في درجة الشّدّة؛ فالنّهي أمر بالتّرك، والأمر يستلزم الوجوب، بينما النّهي يستلزم للإكراه:« والنهّي محذو به حذو الأمر في أنّ أصل الاستعمال: لا تفعل، أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشّرط المذكور، فإن صادف ذلك أفاد الوجوب، وإلّا أفاد طلب التّرك فحسب.»[3] إذ يجب على المخاطِب أن يكون مستعليا على مخاطَبه ليتحقّق شرط الاستعلاء وينتج عنه وجوب ترك الفعل، وفي حالة ما لم يتوفّر شرط الاستعلاء يصبح النّهي مجرّد طلب التّرك.

وفي المعنى نفسه يقول المبرّد في باب الأمر والنّهي:« واعلم أنّ الطّلب من النّهي بمنزلته من الأمر يجري على لفظه كما جرى على لفظ الأمر، ألا ترى أنّك لا تقول: نهيت من فوقي ولكن طلبت إليه، وذلك قولك: لا يقطع الله يد فلان، ولا يصنع الله لعمرو، فالمخرج واحد والمعنى مختلف.»[4]

---

[1] محمّد ديب، النّول، ص391.

[2] المصدر نفسه، ص 393.

[3] السّكاكيّ، مفتاح العلوم، ص 320.

[4] المبرّد، المقتضب، ج2، تحقيق: محمّد عبد الخالق عضيمة، دط، مطابع الأهرام التّجاريّة، القاهرة 1415ه 1994م. ص 133.

وقد يستعمل النّهي في غير طلب الكفّ أو التّرك، كالتّهديد، كقولك لعبد لا يمتثل أمرك: لا تمتثل أمري، في هذا المثال الفعل واقع وتوجّه المخاطِب إلى ما لم يحصل كعدم الاكتراث واللّامبالاة لأمره.[1]

ورد النّهي في الثّلاثية بشكل ضئيل مقارنة بالاستفهام والأمر، وقد جاء بشكل متقارب من حيث الإسناد إلى الضّمائر (**الدّار الكبيرة:** أنتَ= سبع مرّات، أنتِ=أربع مرّات، أنتم=أربع مرّات، **الحريق:** أنتِ= سبع مرّات، أنتَ=مرّة واحدة، **النّول:** أنت= أربع مرات، أنتم= مرتين).

وقد خرج عن دلالة أصل الوضع إلى معان أخرى، ومن هذه المعاني ما يلي:

3-1- النّهي للإخبار والتّأكيد:

بالنّظر إلى السّياق الّذي جاء فيه هذا النّهي:"- **لا تكذب**"[2] نلحظ أنّ التّلميذ لجأ إلى حيلة للتّخلّص من عمر الّذي ينتزع منه رغيفه في كلّ مرّة، فصار يلتهم خبزه أثناء الدّرس قبل الخروج إلى الفناء، وعندما يحين وقت الاستراحة لن يجد عمر عنده شيئا، ويدّعي أنّه لم يحضر معه الخبز، فجاء ردّ عمر بأنّه يكذب وأنّه أخفى رغيفه. هذا الموقف يجعلنا نوقن أنّ النّهي(**لا تكذب)** لم يكن ينهاه عن الكذب بالمعنى الحرفيّ، بل المعنى التّداوليّ المقصود منه هو التّأكيد على أنّ مخاطَبه كان يكذب، والنّهي الموالي له(**لا تطلب)** قد بيّن أنّ عمر فعلا متأكّد من أنّ التّلميذ مذنب، لهذا أعدّ له عقابا وهو عدم حمايته لاحقا في حالة ما احتاج إليه للدّفاع عنه.

يأتي هذا النّهي:"- **ولا تنس بعد ذلك**"[3] في سياق حوار حمدوش مع عمر، وكان مكان الحوار هو غرفة حمدوش. أخذ حمدوش يسترسل في الحديث عن معاناة النّاس، وعن محاولات عمر ملامسة قلوب النّاس، وحديثه عن رأي عكاشة في عمر، حيث أخبره عكاشة قبل رحيله بأنّ عمر يحاول مواساة النّاس وهو في الأصل أكثرهم معاناة. كلّ ما جاء في السّياق المحيط بالنّهي (لا تنس) يقودنا إلى قصديّة مفادها الإخبار والتّأكيد؛ لأنّ حمدوش لا ينهى عمر عن النّسيان، وإنّما

[1] ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت2002. ص117. ينظر أيضا: العيّاشي أدراويّ، الاستلزام الحواريّ في التّداول اللّسانيّ، ص 37.

[2] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 14.

[3] محمّد ديب، النّول، ص382.

يخبره ويؤكّد له أنّ المواساة لا تفيد في تغيير أحوال النّاس، لقد تعوّدوا على معايشة مآسيهم، وأنّ قلوبهم قد فقدت الإحساس بالمعاناة، وإنّما الأهم من كلّ ذلك هو الحصول على الحريّة، أمّا الحياة فستكون حتما في ظل الحريّة.

3-2- النّهي للتّحذير:

جاء النّهي في نفس السّياق الّذي سبق ذكره في حوار عمر والتّلميذ:"- **لا تطلب منّي**"[1] و نلمس فيه قصديّة التّحذير، ومضمونها هو الاحتراز من الوقوع في موقف يستدعي طلب المساعدة من عمر، فذلك يتسبّب في نتيجة مفادها عدم الدّفاع عنه، لأنّ تقديم الرّغيف هو ضمان الحماية له. ثمّ إنّ إصدار صوت**(هه)** من عمر له وقع كبير في تحقيق إنجازيّة فعل الكلام، وكذلك التّأكيد على جدّيّة الأمر. ولتقريب قصديّة هذا النّهي أكثر يمكن القول إنّها تكمن في بيان العاقبة لمن يخالف رغبة عمر.

نجد في حوار عيني مع ابنها عمر قصديّة التّحذير أيضا في قولها:"- **لا تبق هنالك مدة طويلة**"[2] فهي تحذّر ابنها من البقاء مدّة طويلة مع الجدّة، بعد أن ألحّت هذه الأخيرة بالنّداء، فمضمون النّهي هو: عد بسرعة إيّاك والبقاء مدّة طويلة هناك. في نظر عيني الجدّة مجرّد شيء انتهت مدّة صلاحيته لا يستحق الاهتمام. كما أنّ توسّلاتها وشكواها المتكرّرة اعتقدت عيني أنّها مجرّد حيلة للفت الانتباه، وإسماع صوتها للجيران. وبالعودة إلى كلّ المعطيات السّياقيّة، واسترجاع حيثيات الرّواية نجد أنّ عيني تمنع أبناءها من الاهتمام بجدّتهم، وكانت تعامل بقسوة كلّ من يعارض تصرّفاتها تجاه والدتها. لهذا بدا لنا أنّ النّهي في هذا الحوار خرج عن دلالة أصل الوضع ليفيد التّحذير.

3-3- النّهي للتّطمين:

أحاط الخوف سكّان دار السبيطار بسبب طرق غير اعتيادي للباب، والّذي كان بالأرجل والمطرقة، ما جعل السّكّان يصدرون صيحات ويندفعون من غرفهم استشعارا بالخطر، فكلّ هذا حدث وقت الفجر حيث الجميع تقريبا نيام، ثم تبيّن لهم لاحقا أنّ من كان خلف الباب هم رجال

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص14.

[2] المصدر نفسه، ص88.

الشّرطة. ولمّا دخلوا أصدروا تركيبا ينهون فيه السّكّان بعدم الخوف، قائلين:"- **لا تخافوا.. لا تخافوا على أنفسكم.**"[1] في الحقيقة هذا النّهي من النّاحية التّداوليّة هو تطمين للمخاطَب، وما يؤكّد على هذه القصديّة هو تكراره، مع أنّ المخاطَب واحد، فقد أدّى وظيفة تداوليّة وهي التّأكيد على منح الثّقة في نفوسهم لخلق جوّ من الارتياح، فالجميع تبدو عليه علامات الفزع، وما يحفّزهم على عدم الخوف هو قول رجال الشّرطة(لا تخافوا على أنفسكم) وكأنّما الخوف على غيرهم وليسوا هم المعنيّين بهذه المداهمة في ذلك الوقت المبكر جدّا، وباستحضار كلّ المعطيات السّياقيّة نجد فعلا أنّ سبب مجيئهم هو حميد سراج وليس من أجل باقي السّكّان.

كذلك خرج هذا النّهي:"- **لا تبك**"[2] عن معنى الكفّ والتّرك إلى معنى التّطمين وإزالة الخوف. وجاء في حوار زهور مع عمر، حين نادته ليذهب إليها، وكانت ممدّة في غرفتها، ولمّا ذهب أخذت تقوم بحركات لإغوائه. إنّ عمر مجرّد طفل صغير بينما هي قد وصلت إلى مرحلة الزّواج، ضربته بركبتها وكمّمت فمه فانزعج من تصرّفاتها، فراح يبكي تعبيرا عن خوفه وقلقه، ولمّا لاحظت ذلك نهته عن البكاء بحجّة عدم تعمّدها فعل ذلك، واستنادا إلى ذلك تكمن قصديّة هذا النّهي في التّطمين وإزالة الخوف والتّخفيف عن المخاطَب.

3-4- النّهي للنّفي:

نجد نهيا آخر:"- **لا تتعبوا أنفسكم**"[3] وقد صدر من زينة أخت حميد سراج تجاه رجال الشّرطة. من غير المعقول أن يكون القصد الحرفيّ لزينة هو: (لا تتعبوا أنفسكم)، فمن واجب الشّرطة التّفتيش وما يترّتب من تعب أثناء أداء مهامهم، وبهذا فهي تقصد نفي وجود أخيها، فالتّفتيش حاصل وواقع لا يمكن رفضه أو دفعه، ثم أتبعته بتركيب يؤكّد قصدها في قولها(**أخي ليس هنا**) إذ تتّجه بنا إلى الجزم بقصديّة النّفي، كما أنّها جملة تتّكيء على مكوّن لفظيّ (ليس) يدعم القصد.

3-5- النّهي للإلزام:

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 31.

[2] المصدر نفسه، ص52.

[3] نفسه، الصّفحة نفسها.

بالنّظر إلى السّياق الذي جاء فيه هذا النهّي:"- **لا تظل راقدا**"[1] نلمس قصديّة زهور في إلزام عمر بالنّهوض، ومضمون هذا الإلزام هو انقضاء نصف النّهار، فلا سبب يدعو إلى ترك الفراش على الأرض طوال هذه المدّة، فجملة لا تظل راقدا تقصد بها: انهض. وليس المقصود هو ألّا يظلّ راقدا، إذ يستطيع الإنسان أن يكون ممدّدا على الفراش دون أن يكون راقدا، لهذا انحرف المعنى إلى معنى الأمر بالنّهوض.

3-6- النّهي للنّصح:

خرج النّهي عن حقيقته الأصليّة ليفيد معنى النّصح في حوار لالا مع عيني، فقد استوقفنا كلام لالا وهي تنهي عيني حين حكت لها هذه الأخيرة خطّتها في تهريب القماش من عوجا، فردّت عليها لالا بأنّ تقضي أمرها بالكتمان:"- **لا تنبسي بحرف هنا. لا تطلعي على هذا الأمر أحدا**"[2] فجاءت صيغة النّهي تحمل دلالة واضحة على أنّها تفيد النّصح، كما استوعبت معاني أخرى كالتّنبيه والتّحذير والخوف، فالأمر في النّهاية مخالف للقانون ولا يجوز الإعلان عنه للنّاس. أمّا عن تحقّق فعل الكلام، فقد ورد في المدوّنة وعد عيني بالالتزام بنصيحة لالا.

يتّضح لنا النّهي حسب السّياق أنّ عمر قد ذهب إلى لالا رغبة في الحصول على قطعة من الخبز، ووقف عند باب بيتها مناديا إيّاها، متردّدا في إظهار سبب مجيئه، وحينما حصل على قطعة الخبز ذهب مسرعا وسط غمرة السّعادة، فتبعته لالا بجملة من النّواهي:"- **لا تبق هنا، ولا تتسكّع في الشّوارع**"[3] الخالية من التّكليف والإلزام لتكشف عن نصحها لعمر، فحسب السّياق لالا تسكن في الطّرف الآخر من مدينة تلمسان، وهذا ما جعلها تقدّم نصيحة لعمر بعدم البقاء والتسكّع في الشّوارع وضرورة العودة إلى بيته، فبالنّظر إلى سنّ عمر الصّغير هو مكان بعيد لهذا نصحته بالمغادرة، وطالما انشغلت لالا بشؤون عائلة عيني وساعدتهم حينما يشتدّ بهم العوز ما جعلها تشعر بمسؤوليّة تجاه عمر والعمل على حفظ سلامته.

---

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص53.

[2] المصدر نفسه، ص 58.

[3] نفسه، ص62.

في السّياق نفسه الّذي ورد فيه الفعل الكلاميّ السّابق في حوار حمدوش وعمر[1]، نجد هذا النّهي:"- **لا تدع لقلبك أن يرق لأنّاتهم**"[2] قد خرج في الاستعمال عن معناه- الكفّ والتّرك- إلى معنى النّصح، طلب حمدوش من عمر عدم السّير وفق ما تمليه عليه عواطفه، ثمّ أكّد ذلك الأمر بنهيه عن ذلك؛ لأنّ هذا يضعفه أمام النّاس، فإذا قابلهم باللّطف والصّداقة لن يخشوه، فهم في وقت كثرت فيه الصّعاب والمعاناة، والضّعيف لا مكان له أمام كلّ هذا، لأنّه سيتعرّض للسّوء ولا أحد سيرحمه، والدّليل على ذلك أنّ حمدوش نفسه كان أوّل من نصحه، وفي النّهاية كان أوّل من عامله بقسوة، فقد ضربه وتسبّب بطرده من المصنع. هنا النّهي في قوله هو فعل إنجازيّ تكمن قصديّته في النّصح.

3-7- النّهي للتّوسل:

جاء هذا النّهي من عيّوشة ابنة عيني:"- **لا تدعينا في هذه الحيرة**".[3] عندما عادت عيني دون أن تتمكّن من السّفر، كانت علامات الفزع بادية على وجهها، وكان السّبب وراء عودتها قد ألقى الضّوء على قول عيّوشة، وفي ظلّ هذا السّياق نلمح النّهي كفعل إنجازيّ غير مباشر يدلّ على التّوسّل والإلحاح لمعرفة السّبب، وما يدعم ذلك هو: طلب عيني من ابنتها أن تدعها تتنفّس قليلا قبل الحديث.

خرج النّهي عن معنى الكفّ والتّرك إلى معنى التّوسّل، في حوار زهور مع أختها، طلبت منها البقاء معها دون العودة إلى والدتها قائلة:"- **لا تتركيني وحيدة**"[4] وكان سبب قول ذلك هو خوف زهور من زوجها قره المتسلّط من جهة، والوحدة الّتي أحاطت بها وخلقت لديها شعورا قويّا بالخوف من جهة أخرى. في البداية رفضت زهور، ولكن استطاعت أختها إقناعها لاحقا بتوسّلاتها. إذا أمعنّا جيّدا في هذا النّهي نجد أنّه طلب بالبقاء أكثر ممّا هو نهي عن تركها وحيدة.

3-8- النّهي للتّسوية:

[1] ينظر: ص 172 من هذه الأطروحة.

[2] محمّد ديب، النّول، ص382.

[3] محمّد ديب، الحريق، ص245.

[4] المصدر نفسه، ص270.

يلاحظ أنّ النّهي عن الغضب في قول المرأة:"- **لا تستشيظي عليها غضبا**"[1] قد جاء عند وصول امرأتان إلى بيت عيني للحصول على أثوابهما بعد طول انتظار، خاطبتها واحدة منهما بغضب إعلانا للمشاجرة والمطالبة تحت التّهديد، بينما الثّانية تحاول إقناع رفيقتها بالمحافظة على رباطة جأشها والتكفّل هي بالكلام مع عيني، فحسبها الغضب لن يفيد لحلّ المسألة. وقصديّة المخاطِب في استعمال النّهي هي: التّسوية، كما أنّ الاتّفاق على إنهاء الخلاف مطلوب، وأنّ كثرة الكلام لن يعطي فرصة لعيني لتوضيح موقفها.

3-9- النّهي للّوم:

استعملت ماما النّهي في حوارها مع أختها لتجسّد أهمّ مقصد متمثّل في لوم زوجها على تصرّفه السّلبيّ أمام أختها، وذلك بقولها:"- **لا تبقي هنا**"[2]، فالنّهي موجّه لأختها عن البقاء، وفي الوقت نفسه هو تعبير عن لوم زوجها الّذي أفصح أمام زهور عن وجود رجل طلبها للزّواج، فما يوضّحه السّياق هو أنّ ماما زوجة تقليديّة دائمة الحفاظ على سمعتها وسمعة عائلتها(وهو حال أغلب الجزائريّين)، كما أنّ انزعاجها من زوجها هو في الحقيقة راجع إلى ما سبق؛ وهو أنّ قره دائم التّحرّش بزهور، هذا ما جعله يتكلّم بحرية أمامها دون خجل أو احترام. فاحترام الأخت في الحقيقة هو احترامٌ للزّوجة في الوقت نفسه.

3-10- النّهي للإنكار والاحتقار والشّكوى:

حمل النّهي معنى الإنكار والاحتقار والشّكوى في حوار عبّاس(أحد عمّال مصنع النّسيج) مع زملائه، يقول فيه:"- **لا تحاولوا، ولا تحاولوا**".[3] لقد اعترف عبّاس لزملائه عن عدم رضاه من حالته الّتي لم تتغيّر رغم عمله المستمرّ وذلك على سبيل الشّكوى، ثمّ توجّه إليهم بالنّهي عن محاولتهم إقناعه بأنّه إنسان كأيّ إنسان آخر، وعندما أراد أنّ يوضّح لهم ذلك لجأ إلى أسلوب النّهي، وهو أسلوب يضع المخاطَب أمام حقيقة هي: أنّه مجرّد إنسان لكنّه في الوقت نفسه لا يتمتّع بما يتمتّع به الأغنياء(مع أنّ الغنيّ إنسان مثله)، وأنّ هناك فروقا بين البشر(وضوح الصّراع الطّبقيّ الإيديولوجيّ)، وفي هذا إنكار لحقيقة أنّه إنسان يتمتّع بكامل حقوقه وواجباته نحو أخيه

[1] محمّد ديب، الحريق، ص250.

[2] المصدر نفسه، ص262.

[3] محمّد ديب، النّول، ص311.

الإنسان، وهو حال جميع من معه، وهذا جعله يتساءل ويبحث عن كينونته، كما أنّ هذا النّهي يحمل معنى الاحتقار لحياته، ووفقا لهذا السّياق هو فعل إنجازيّ قصد منه الإنكار والاحتقار والشّكوى.

4- تداوليّة النّداء:

انطلاقا من وظيفة النّداء، فإنّه طلب الإقبال بواسطة أحرف النّداء، وهذا الإقبال قد يكون حقيقيّا أو مجازيّا، ويقصد بالإقبال الاستجابة للنّداء، أمّا من ناحية حقيقته أو مجازه، فيقصد بذلك الإقبال الحقيقيّ تلبية للدّعوة، في حين أنّ المجازيّ لا يكون فيه الرّدّ كما في حالة الدّعاء.[1] وفي هذا إشارة إلى دور قصد المخاطِب لبيان حقيقة الإقبال.

والنّداء تركيب خطابيّ يشتمل على كلّ عناصر الخطاب:« النّداء دليل قويّ على اجتماعيّة اللّغة (...) ولا يكاد يخلو كلام إنسان كلّ يوم من النّداء.»[2]

الحديث عن النّداء كفعل لغويّ يقودنا إلى مكوّن ملازم له وهو المنادى، ويعدّ عند أحمد المتوكّل من الوظائف التّداوليّة الخارجيّة المسندة إلى مكوّن دال على الشّخص المنادى في مقام معيّن. ويشترط فيه أن يكون المنادى محيل إلى كائن حيّ، الثّاني أن يكون المنادى محيلا على المخاطِب.[3]

إنّ تداول النّداء في الثّلاثية إشارة إلى التّواصل بين مستعمليه، لإنتاج معان وبلوغ مقاصد متعدّدة. وقد صاحبه في كثير من المواضع الأمر، أو النّهي، أو الاستفهام، وذلك إعدادا للمخاطَب لتلقّي الخطاب، وتعزيزا للمقاصد. ومن الإشارات الّتي تلحظ على النّداء أنّ محمّد ديب أثبت(يا) في أغلب نداءاته، ونرجّح سبب ذلك أنّه وجد الأداة بمدّها معينا لصبّ الشّحنات النّفسيّة العالقة داخله بسبب الأوضاع السّائدة، وهذا لا ينفي وجود نداءات لا تتكّئ على الأداة. وتلك النّداءات قد خرجت عن دلالة أصل الوضع إلى معان أخرى هي:

---

[1] ينظر: إميل بديع يعقوب، ميشال عاصي، المعجم المفصّل في اللّغة والأدب (نحو، صرف، بلاغة، عروض، إملاء، فقه اللّغة، أدب، نقد، فكر أدبيّ)، المجلّد الأوّل، ط1، دار العلم للملايين، بيروت 1987. ص 1239.

[2] عبده الرّاجحيّ، التّطبيق النّحويّ، ط2، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة 1997. ص275.

[3] ينظر: أحمد المتوكّل، الوظائف التّداوليّة في اللّغة العربيّة، ط1، نشر وتوزيع دار الثّقافة، المغرب1985. ص ص161، 163، 165.

4-1- النّداء للشّتم والسّخرية:

شكّل هذا النّداء:"- **يا طِرح**"[1] فعلا كلاميّا غير مباشر، وكان قصد الشّتم الّذي هو من أكثر المقاصد الّتي أدّاها خارج عن أصل معناه، إذ ورد في حوار لالا مع عمر في حديثها عن وساطتها للحصول له عن عمل عند الحلّاق، فأخذت تتحدّث عن محاسن هذا العمل وأن يكون على قدر الثّقة والمسؤوليّة، ثمّ استتبعت كلّ هذا بشتيمة وصفت بها عمر بجنين ألقته أمّه قبل التّمام وذلك بالنّظر إلى سنّه وبنيته الجسديّة، كأنّما هذا العمل أكبر منه. فكثيرا ما نوديَ عمر بشتائم متعدّدة في الرّواية، لكنّها لا تؤثّر فيه؛ لأنّه يدرك ما يختفي وراءها من حبّ وحنان. كما أنّ مناداة عمر بأبشع الصّفات(تعيره بوالده، **ابن السّكّير دودة، أنت غبار، قذارة تلتصق بنعال النّاس)**[2] فيه سخريّة من طموحه في التّعلّم وجني المال الوفير.

تتوجّه لالا في هذه الرّواية بنداء آخر:"- **أيّها الغبيّ**"[3] يحمل معنى الشّتم أيضا، ذهب عمر إلى عيني طلبا لرغيف خبز، فلمّا أعطته الخبز أمرته بالانصراف والعودة إلى المنزل، والحذر من العربات، وعلى الطّرف النّقيض نجد أنّها تناديه بالغبيّ. فمن جهة إظهار الاهتمام والشّفقة والشّتم من جهة أخرى، ومن النّاحية المنطقيّة يبدو من الغريب أن يجتمع هذان الضّدّان، ولكن بالعودة دائما إلى السّياق نجد أنّ الشّتم جرى على ألسنة المتحاورين كثيرا في المدوّنة، ففي قاموسهم الكثير منها، ربّما ذلك ما فرضته ظروف الحياة القاسية والمهينة للإنسان الجزائريّ، كلّ ذلك يقتضي المعاملة بهذه الطّريقة، كما أنّ الجميع يميل إلى هذا النّوع من الخطاب ليضمن بقاءه، لأنّ المعاملة باللّين والرّفق لن تجعله مستعدّا لردّ القسوة. وربّما هذه الحجّة تلغي التّصادم الّذي وقع بينهما(اللّين والقسوة في خطاب واحد)؛ وذلك بالمواءمة بين الشّتم وإظهار الحبّ في الوقت نفسه.

4-2-النّداء للتّطمين والتّحبّب:

اتّسمت خطابات زهور مع عمر باللّين، فهي تتوجّه إلى مخاطَبها تدليلا، ومن الأمثلة الدّالة

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 60.

[2] المصدر نفسه، ص67.

[3] نفسه، ص 62.

على ذلك قولها:"**يا أخي الصّغير**"[1]خرج النّداء في هذا القول عن معنى التّنبيه والإقبال إلى التّطمين. وقد جاء في نفس السّياق والحوار الّذي جمع بينهما في فعل النّهي(لا تبك)[2] إذ جاء تعزيزا لدلالة التحبّب، وما جرى على النّهي يجري كذلك على النّداء، وهو أنّ نداء زهور لعمر هو فعل إنجازيّ تكمن قصديّته في التّطمين.

وفي مقام التّحبّب دائما، تقول ماما لعمر:"- **أيّها الصّغير**":[3] استعمل النّداء بهدف التّقرب، وقد ورد حينما كان عمر يشرب قهوته، ثمّ طلبت منه ماما إحضار الذّرة من الحقل، فهمّ عمر بالخروج تاركا قهوته فنادته ماما (**أيّها الّصغير**) مطالبة إكمال شرب القهوة. هذا التّصرّف من عمر بعدم التّردّد في تنفيذ الأوامر حرّك في نفس ماما الشّعور بالإعجاب والتّقرّب، والتّلطّف به، والمحبّة تجاهه، فالنّداء هو فعل إنجازيّ تكمن قصديّته في إظهار التّحبّب وكسب محبّة عمر، بإمكانها قول مثلا: **(لا داعي إلى السّرعة، اشرب قهوتك أوّلا)** لكن استعمالها النّداء لغرض التّرقيق وإبداء مشاعر التّقرّب.

كان التّحبّب من أكثر المعاني الّتي أدّاها النّداء خارجا عن معناه الأصليّ، وهي في العموم سمة تكرّرت عند الكثير من المخاطبين في المدوّنة، إذ نادى المخاطبون صغارهم بنداء التّحبّب، وقد ورد في الحوار بين بادعدوش وهاشمي:"- **يا بنيّ، يا بنيّ**"[4] ففي البداية نادى بادعدوش هاشمي باسمه(**هاشمي، يا هاشمي**) ثم بعد أن تعاظمت مآسيه وجراحه الّتي راح يذكرها لهاشمي ناداه بـ(**يا بنيّ**) إذ تبدو هذه الجملة أشدّ وقعا على النّفس، ورغبة منه استقطاب الشّاب ليحسّ بما يحسّه.

4-3- النّداء للتّحذير:

تتوجّه عيني في هذه الرّواية بخطاب التّحذير لأبنائها والّذي يدلّ عليه قولها:"- **هذه أنا يا عمر**"[5] فهو فعل كلاميّ غير مباشر يفيد معنى التّحذير(احذر منّي)، أمرتهم بصبّ الماء لتبريد الغرفة، كي تتمكّن من مواصلتها العمل على ماكينة الخياطة، لكنّهم استرسلوا في اللّعب بعد

---

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص53.

[2] ينظر: ص174 من هذه الأطروحة.

[3] محمّد ديب، الحريق، ص130.

[4] محمّد ديب، المصدر نفسه، ص158.

[5] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص65.

معرفتهم أنّ صبّ الماء لن يجدي نفعا، فالحرّ شديد، والتّعب قد تمكّن منهم لذا توقّفوا، وهذا ما أزعج والدتهم، ولم يكتفوا بذلك، بل راحوا يستفزّونها ويركضون هربا منها، لذلك لجأت إلى نداء عمر لتذكّره بنفسها، وماذا يعني قول عيني بالنّسبة لهم(إذا وقع أحدهم بين يديها فلن ترحمه، وهم يدركون ذلك تمام الإدراك). فنداء عيني فعل إنجازيّ تكمن قصديّته في التّحذير وإظهار غضبها.

4-4- النّداء للتّذمّر والشّكوى:

تجلّت المعاني غير المباشرة في هذا النّداء الصّادر عن عيني:"- **يا ربّ السّماء، يا ربّ**"[1] تستعجل عيني ابنتها مريم للحضور ومشاركتها لهم الطّعام، ولكن مريم لم ترد على نداءاتها. فنداء عيني فعل إنجازيّ تكمن قصديّته في إظهار الغضب والتّذمّر والشّكوى، حيث التفت حولها مجموعة من المشاكل ولا ينقصها الاهتمام لأمر مريم إن كانت حاضرة أم خارجة في تلك السّاعة. لهذا لجأت إلى نداء الله لتشكو أمرها.

4-5- النّداء للتّعجّب وإظهار الشّفقة:

في هذا النّداء الموجّه إلى محمّد شراك نداءين:"- **يا محمّد، أيّها التّعس**"[2] الأوّل خاطبه باسمه(محمّد)، فاستخدام هذه التّسمية تدعو إلى محاسبة النّفس وما يثيره هذا الاسم(محمّد)، ثمّ أردفه بنداء آخر(أيّها التّعس) بعد جملة من الأوامر تكمن قصديّتها في تقديم الوعظ(كما أشرنا سابقا في تداوليّة فعل الأمر)[3] فالنّداء فعل إنجازيّ تكمن قصديته في التّعجّب من حال المنادى من جهة، وإظهار الشّفقة من جهة أخرى، فالتّعاسة ليست سببا فيما وصل إليه المنادى، وإنّما بتصرّفه سيجلب التّعاسة لنفسه، فهو في ذلك المنظر مثير للشّفقة، سيصبح محلّ سخريّة الكبير والصّغير.

4-6- النّداء للشّكوى و التّوسّل:

وقد يكون تركيب أسلوب النّداء دالّا على الشّكوى والتوسّل، ومن ذلك قول الجدّة:"- **عيني، عيني، عيني، يا بنيّتي، يا عيني**"[4] في النّداء الأوّل (عيني) حذفت حرف النّداء لإظهار ما

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص70.

[2] المصدر نفسه، ص83.

[3] ينظر: ص 164 من هذه الأطروحة.

[4] محمّد ديب، المصدر نفسه، ص 85.

صاحبه من خوف شديد وعدم امتلاك القوّة الكافية، حيث خارت قواها، كما حمل معنى الشّكوى والتّوسّل، فقد نادت والدة عيني ابنتها بنداءات متكرّرة(نداء ملحّ)، نداؤها نداء الشّكوى مرفوق ببكاء شديد وصل إلى مرحلة النّحيب، فلم يكن مجرّد مخاطبة ابنتها باسمها، وإنّما فيه توسّلات بحثا عن الأنس، فقد تُركت مهمّشة وحدها في المطبخ تعاني مرارة العجز من جهة والوحدة من جهة أخرى، والنّداءات في هذا السّياق هي أفعال إنجازيّة تتمثّل قصديّتها في الشّكوى والتّوسّل. ورغبة منها في التّأثير على المخاطَب وتحقيق نجاح الفعل، فقد أرادت إثارة عاطفة الأمومة بالنّداء يا بنيّتي، وهو نداء واجب العطف على الوالدين.

4-7- النّداء للتّعجّب والتّشفّي(الشّماتة):

للنّداء في هذه المدوّنة سمة خاصّة تجعله حاضرا في مقامات مختلفة، ويتشكّل حسب الحاجة، ومن ذلك قول النّساء:"- **يا له من شقاء يحلّ بفرنسا المسكينة**".[1] حيث جاء على لسان نساء دار السبيطار حول اندلاع الحرب، فأخذن يتبادلن أطراف الحديث، وقد أجمعن على أنّ فرنسا هي السّبب فيما سيحلّ بها لانغماسها في ملذّات الدّنيا من زينة وسهرات، جعلتها في غفلة عن الاستعداد لذلك، وفي الوقت نفسه كانت ألمانيا منهمكة في صنع الأسلحة. وقد جاء هذا الكلام مبرّرا بما لحقه" **هذه هي النّتيجة الآن**" إذ حمل النّداء معنى التّعجّب من جهة(**فرنسا التي لا تقهر**) والتّشفّي منهم وكأنّ إعلان تلك الحرب هو في الوقت نفسه ثأر للجزائريين ونكاية، فما سينالونه متزتب عن غفلتهم. وقد تعالت وتعدّدت أصوات أطراف الحوار وهناك من تأسّف على فرنسا(**ما كانت تستحق هذا**).

4-8- النّداء للتّذمّر:

المرجّح في هذا النّداء:"- **سلـيـ...مان. سليـ...مان**".[2] أنّ الهدف منه هو التّذمّر وليس الإقبال، إذ ورد في حوار بادعدوش مع سليمان، بعدما صار هذا الأخير يسرف في الغناء، فكان ردّ بادعدوش تهديدا ووعيدا (**انتظر قليلا**)، فنادى بادعدوش سليمان نداء فيه تذمّر؛ أي أنّ النّداء ليس مقصودا، بل ينصرف قصده إلى ما ورد في سياق تداول الكلام(ما ورد قبل النّداء). وقد

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص112.

[2] محمّد ديب، الحريق، ص 125.

حذف حرف النّداء استنادا إلى الموقف الكلاميّ وموقع المخاطَب، إذ نجد أنّ سليمان حاضر يراه ويسمعه، وفي هذه الحال حضوره يغني عن التّلفّظ بحرف النّداء، وبهذا يتحقّق شرط نجاح الخطاب. ولا يخلو كتاب في البلاغة أو النّحو من الحديث عن جواز ووجوب حذف حرف النّداء، والمقاصد المختلفة المرتّبة عن ذلك.[1]

4-9- النّداء للتّعجّب و الشّتم والإهانة:

خرج النّداء عن معنى الإقبال إلى معنى التّعجّب والشّتم معا في قول زهور لعمر:"- **يا لك من غبيّ**".[2] جرى هذا الحوار في ريف بني بوبلان عندما جاءت زهور عند عمر وجدته شبه مستيقظ وسط الأشجار، أمرته بالمغادرة بطريقة أقرب إلى الطّرد، ولكن حسب السّياق بدا عمر غير مستعدّ للمغادرة(الدّليل على ذلك تكرار الأمر بالذّهاب)، كان حبّ النّظر إلى زهور يمنعه من ذلك، فكرّرت الأمر بالمغادرة، ولمّا أحست زهور بذلك أمرته بالمغادرة تعبيرا عن غضبها، ثم نادته بنداء محمّل بوصفه(بالغبيّ)، وهو نداء يقصد منه التّعجّب من حالة عمر الّذي بقي ساكنا من جهة، والعمل على التّأثير فيه بهذا الوصف الّذي يقصد به الشّتم لتقوية الأمر بالذّهاب.

ويتّضح أيضا المعنى غير المباشر للنّداء في هذا القول:"- **أنتم يا أولاد أمّكم**"[3] والّذي يحمل معنى الشّتم في حوار المزارعين. وقد صدر من أحد كان مارّا بعربته فوجد رجالا أمامه فصاح قائلا:**(أنتم يا أولاد أمّكم)** إذ إنّ اللّفظ لفظ النّداء لكنّ المعنى معنى الشّتم. والمنادى الحقيقيّ هم الرّجال، لكنّه ناداهم بنسبتهم إلى والدتهم، فأضافها إليهم ليؤدّي قصديّة الشّتم والإهانة. فابن أمّه هو الابن المدلّل الّذي لا يقوى على العمل الشّاق، والّذي تعوّد على من يخدمه، والحوار الّذي جاء بعد ذلك على شكل استفهام يؤكّد ويدعم هذه القصديّة **(وهل تنتظرون أن يزهر الملح؟)**.

يعزّز هذا النّداء دلالة الشّتم:"- **اسمع يا عصا**"[4] لو تأمّلنا المعنى الحرفيّ لهذا القول لوجدنا أنّ زبيش ينادي العصا، ولكن إذا نظرنا إلى المعنى في سياقه الّذي قيل فيه لوجدنا أنّه لا يخاطب

---

[1] ينظر: ابن السرّاج، الأصول في النّحو، ج1، تحقيق: عبد الحسين الفتليّ، ط2، مؤسسة الرّسالة، بيروت1996. ص329. وينظر أيضا: إميل بديع يعقول، ميشال عاصي، المعجم المفصّل في اللّغة والأدب، ص1240.

[2] محمّد ديب، الحريق، ص197.

[3] المصدر نفسه، ص 166.

[4] محمّد ديب، النّول، ص 287.

جمادا(عصا) وإنّما نادى عمر بالعصا؛ أي شبّهه بالعصا لشدّة نحافته، والنّداء هنا تكمن قصديّته في الشّتم، ومحاولة استفزاز عمر، وفي الوقت نفسه يحاول أن يجامله. والفعل الإنجازيّ عُرض بقوّة ثانية هي قوّة فعل الأمر(اسمع يا عصا) لتحقيق الأثر في نفس المخاطَب، فعند نداء الشّخص القريب على مسافة تسمح له بأن يسمع ويشاهد فلا حاجة إلى أمره بالاستماع، بل الهدف من استعماله هو منح النّداء قوّة التّأثير، والتّأثير يكمن في قبول الشّروط الّتي فرضها زبيش على عمر، وفعلا تحقّق، إذ إنّ عمر قد وقف وقوف الخضوع والإذعان.

4-10- النّداء للتّفجّع:

جاء على لسان بن أيّوب في حواره مع رجال بني بوبلان نداؤه الآتي ليعبّر عن مدى حزنه:"- **يا ربّ، يا قادر**".[1] والّذي خرج إلى معنى التّفجّع، وباستحضار كلّ العناصر السّياقيّة الّتي قيل فيها هذا النّداء نجد أنّ بن أيّوب تناول قبضة من التّراب ثم راح يلوم نفسه ويحمّل كلّ من ينتمي إلى ذلك التّراب(الجزائر) مسؤوليّة ضياع الوطن، ففي لحظة تراءى له مشهد حزين يحاسب فيه الأحفاد والأبناء الّذين لم يدافعوا عن هذا الوطن، فلم يستطع تحمّل ذلك، فصدر منه نداء للتّفجّع، تكمن قصديّتة في خشيته من حدوث ذلك وما سيلحقهم ويصيبهم، مع أنّه تراءى له ذلك فقط، فماذا لو حدث حقيقة؟ فالنّداء إنّما استعمل لإظهار التّفجّع واللّجوء إلى الله بالدّعاء(ألا يقعوا في ذنب كانوا السّبب فيه وهنا مكمن المصيبة).

4-11 النّداء لبيان العاقبة:

يبدو للوهلة الأولى أنّ هذا النّداء:"- **يا لهم من تعساء**"[2] يفيد التّعجّب من حالة الّذين كانوا عملاء للعدوّ، ووجدوا فرصة لاستغلال أبناء وطنهم، لكن بالعودة إلى السّياق الّذي قيل فيه نجد أنّ بادعدوش في حواره مع هاشمي كان يقصد به بيان العاقبة للّذين خانوا الوطن، فحين ينتهي المستعمر لن يبقى لهؤلاء وطن، فسيأتي يوم ينتهي رخاؤهم ومالهم الّذي كانوا ينعمون به في ظلّ قيادة فرنسا، حينها سيكونون تعساء. نجد أنّ هذه القصديّة المذكورة تتناسب مع هذا القول المرتبط بالواجبات نحو الوطن.

---

[1] محمّد ديب، الحريق، ص151.

[2] المصدر نفسه، ص161.

4-13- النّداء للاستعطاف:

استند المخاطِب إلى النّداء كأسلوب غير مباشر لإظهار ضعفه، ومن ذلك هذا القول:" **صدقة يا أهل الخير، حسنة يا إخوان، أيّها المحسن، يا إخوان، يا مؤمنين**"[1] حيث اكتسب معنى الاستعطاف في قول المتسوّل، وجاء خطابه عندما طلب الصّدقة، إذ إنّ المتسوّل(المتسوّلون) عندما جاء إلى مدينة تلمسان شعر بالرّابط الأخويّ الّذي يجمعه بالآخرين، فهم أبناء بلد واحد لهذا ناداهم في بعض المواضع (يا إخوان...) كطريقة يستعطفهم بها للحصول على المساعدة، واستخدامه لهذه العبارة أضاف قيمة معنويّة، فهو لم يقل مباشرة (قدّم لي صدقة، أعطيني صدقة، تصدّق) بل قدّم طلبه بالاستعطاف إلى درجة التّذلّل. كما توسّعت دائرة الخطاب لتشمل نداء كلّ مؤمن، وكلّ فاعل خير، وكلّ من يكون سندا وعونا له.

4-14- النّداء للتّعجّب والخوف والاستغاثة:

نستقي من السّياق الّذي ورد فيه هذا النّداء- **يا روح أجدادي**[2] مجموعة من المعان المختلفة، إذ جاء في قول عيني حينما عبّرت عن موقف لم تتوقّعه، فلمّا تمكّن منها النّوم بعد عناء الحصول على الفحم في منتصف اللّيل، استيقظت منفعلة عند رؤية عمر جالسا عند عتبة الغرفة، وقد كانت قد رأت أشباحا في منامها، ورؤيتها لعمر فور استيقاظها شوّشت عقلها، فقد كانت بين النّوم واليقظة، ولم تستوعب إن كان شبحا أم حقيقة، وهذا أثار الرّعب في نفسها وتعجّبت من تلك الحالة، فنادت بقوّة صوتها (يا روح أجدادي) وهو فعل إنجازيّ تكمن قصديّته في الاستغاثة والتّبرّك بروح الأجداد للحماية، وتجنّب الشّرّ، والإحساس بالسّكينة. وهنا يظهر البعد الاجتماعيّ لمثل هذه الملفوظات الّتي تخضع لمعتقدات (croyance) مفترضة كالأرواح، الأجداد...إلخ[3]

4-15- النّداء للوعيد:

نرصد مظاهر خروج فعل الكلام المتمثّل في النّداء إلى معان غير مباشرة في هذا المثال:"- **يا**

---

[1] محمّد ديب، النّول، ص ص 284، 333، 345، 346.

[2] المصدر نفسه، ص295.

[3] ينظر: بيار بونت وميال ايزار وآخرون، معجم الاثنولوجيا والأنتروبولوجيا، ترجمة وإشراف: مصباح الصّمد، ط2، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع" مجد"، بيروت2011. ص861.

أيّها النّاس، يا ويلكم من الله"[1] حيث صدر هذا النّداء عن الأمين(عامل في المصنع) حيال مخاطبيه(شول، دلو، باصقالي، بوعنان) ليعبّر للجماعة عن شعور يتملّك الجميع(يا أيّها النّاس)؛ وهو عدم الهروب من عقاب الله. فإذا تمّت مراعاة سياق قوله نجد أنّ النّداء حمل قصديّة الوعيد، إذ أُبتدئ الحديث عن صبيّ مات كان يعمل معهم، ثم جاء الحديث عن الرّاحة الأبديّة الّتي سيلقاها الميّت، وأنّ الموت أفضل من العيش في تلك الظّروف، ثم جاء بعد ذلك النّداء بقصديّة الوعيد(نداء الويل) ليكون أشدّ وقعا على الجميع، إذ إنّ تلك الرّاحة المنشودة لا تتأتّى إلّا بالعمل الصّالح في الدّنيا. فالحديث عن الموت ليس حديثا عاديّا كما اعتبره البعض(مات طيّب ماذا نفعل؟ ما لنا وتكرار هذا الحديث، عاش كأيّ إنسان ومات كأيّ إنسان) بهذا الفعل أراد الأمين أن يوصل تلك القصديّة.

4-16- النداء للتّأسّف والحيرة:

مكمن التّأسّف والحسرة في هذا النّداء:"- **يا لها من تعاسة**"[2] هو شعور حمدوش بعدم استطاعته الحصول على ما في نفسه، رغم مساعيه الكثيرة واتّباعه الطّريق الصّحيح (**لا الأخلاق تجدي ولا الحض على الخير**)، وتجنبه المعاصي والآثام(**لست أتورع عن بيع العالم ، حتى ديني لا أتورع عن بيعه...**) فتلك المساعي أثارت الشّعور بالتّعجّب من حاله من جهة، والتّأسّف والحيرة في اختيار الاتّجاه الصّحيح من جهة أخرى؛ إذ يحاول في كلّ الاتجاهات لكن في النّهاية يجد نفسه يكرّر الدّوران في تلك الاتّجاهات ويعود إلى نقطة البدء دون جدوى، وهو حال الشّخص المهموم الّذي يتخبّط.

ثالثا- التّفاعل الكلاميّ في حوارات الثّلاثية.

إنّ طبيعة الأفعال الكلاميّة الحاضرة في المدوّنة فرضت الحديث عن التّفاعل الكلاميّ، حيث إن جلّ التّفاعلات الكلاميّة الّتي أنجزت تميّزت بصبغة تفاعليّة قائمة على تناوب الأدوار بشكل صريح، مثلما وجدنا في حوار حميد سرّاج مع الفلّاحين؛ حيث أسند لهم الدّور في الكلام بطريقة

[1] محمّد ديب، النّول، ص342.

[2] المصدر نفسه، ص354.

مباشرة، أو بطريقة ضمنيّة في بقيّة حوارات الثّلاثيّة. فتلك الأفعال وحدات أساسيّة بني عليها التّفاعل الكلاميّ.

إنّ تحليل الفعل الكلاميّ وبيان إنجازيّته مرتبط بالتّفاعل، حيث:« تعمل التّداوليّة، بوصفها نظريّة للّغة والفعل، على فهم الطّبيعة المركّبة جدّا والدّائريّة للدّيناميّة التّواصليّة والتّعارضات التّفاعليّة الّتي تنتجها، وتتمظهر هذه الطّبيعة من خلال التّغيّرات الّتي تحدث في وعي المتخاطبين مثلما يحدث في السّياق التّفاعليّ. يضطلع السّياق التّفاعليّ– ويعني الوضعيّة الملموسة حيث ترسل الكلمات منطوقة(المكان، الزّمان، هويّة المتكلّمين)– بدور أساس في الفهم والتّقييم والحكم على نجاح أفعال الكلام أو عدم نجاحها.»[1]

نقل هذا المصطلح (التّفاعل الكلاميّ) من علم الاجتماع إلى ميدان تحليل المحادثة[2] وتمّ الكشف عن طبيعته المعقّدة الّتي تشمل مجموعة من العناصر المتداخلة والّتي تطرح أثناء الكلام كمعطيات تداوليّة، وعن طريقها يتمّ فهم الخطاب. هذه العناصر الّتي تؤطّر التّفاعل الكلاميّ قد حدّدها غوفمان وازدادت وضوحا عند أوركيوني.

لقد وضع غوفمان مسوّدة خاصة بالتّفاعل الكلاميّ سمّاها إطار المشاركة(le cadre participatif)[3] حدّد فيها العناصر الأساسيّة للتّفاعل الكلاميّ أو العناصر التّأطيريّة لهذا التّفاعل، والّتي يمكن التّمثيل لها وفق المخطّط التّاليّ:[4]

[1] إلفي بولان، المقاربة التّداوليّة للأدب، ترجمة: محمد تنفو، ليلى أحمياني، ط1، رؤية للنّشر والتّوزيع، القاهرة 2018. ص 56.

[2] ينظر: ص 35 من هذه الأطروحة.

[3] Voir : Orecchioni, Les interactions verbales, Approche interactionnelles et structure des conversations, Tome1, 3ème édition, ARMAND COLIN, Masson, Paris1990 ,1998, p.82.

[4] ibid, p.77

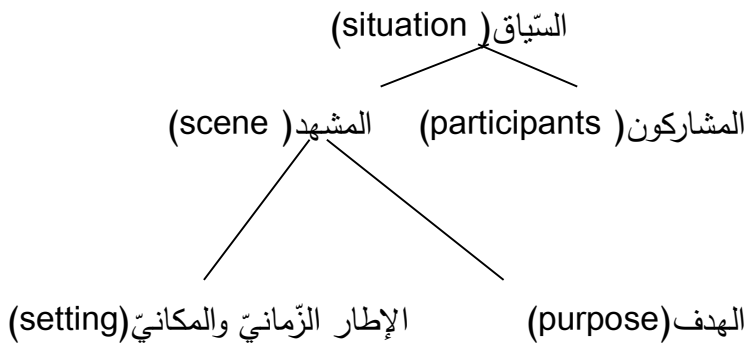

1- المشاركون: يجب تحديد هويّة المشاركين ومعرفة خلفيّاتهم الموسوعيّة والاجتماعيّة، وقد تمّ التّمييز بين المشاركين:« ذوي الاستحقاق التّام أو المصادق عليهم، باعتبارهم معنيّين بما يُقال، فيستطيعون تقديره حقّ قدره، وردّ الفعل عند الاقتضاء(...) وبمقابل هذا فلا يعتبر المشاركون غير المصادق عليهم مرسلا إليهم، أي مختلف أصناف المشاهدين(حسب ما إذا كان حضورهم معلوما أم لا من قبل المتكلّم.»[1]وهو اقتراح لتوسيع مفهوم المشاركين ليشمل أشخاصا لم يشاركوا جسديّا، ولكنّهم يشاركون بأفكارهم وشخصيّاتهم كما هو الحال في المشارك الغائب الّذي يتمّ استحضاره أثناء الحديث فيؤدّي إلى تغيير موقف المشاركين في الحديث. كذلك المشارك المجهول الّذي لا يشارك وإنّما يستمع فقط «bystanders».[2]

2- الإطار الزّمانيّ والمكانيّ: ويتمثّل هذا الإطار في توقيت التّفاعل الكلاميّ ومكانه اللّذين يؤثّران على مضمون الخطاب، كما يساعد بشكل أساسيّ في فكّ شفراته وفهم أبعاده الإنشائيّة (وددنا استعمال مصطلح الإنشائيّة لأنّه في العرف التّداوليّ هو تلك المضامين الّتي تؤدّي إلى تغيير موقف المخاطَب، وتسمّى بالقوّة الإنشائيّة لوجود سلطة يتمتّع بها المضمون).

ويقع هذا الإطار-الزّمانيّ والمكانيّ- أيضا تحت مسمّى الذّاتيّة (subjectivité) ولا يُقصد بها نقيض الموضوعيّة الّتي كانت تستعمل في العلم والأدب، وإنّما انتقل مدلوله إلى التّحليل التّداوليّ للخطاب إلى معنى مختلف اكتشفه بينفينيست، حيث خصّص له فصلا في كتابه قضايا اللّسانيات

[1] باتريك شارودو ودومينيك مانقونو، معجم تحليل الخطاب، ص 166.

[2] دومينيك مانقونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص 13. وينظر أيضا: Catherine Kerbrat-Orecchioni, ibid, p.83

العامّة بعنوان الذّاتية في الكلام، إذ شرح ما يسمّيه بالآثار(الأشكال) اللّسانية للمخاطِب.[1] ثم قامت أوركيوني في كتابها التّلفّظ والذّاتيّة في الكلام بشرح هذه الآثار اللّسانيّة بتوسّع، واستنبطت مجموعة من الأفكار وصنّفتها، من بينها الإشاريّات أو القرائن الإشاريّة (Les déictiques) الّتي تشير إلى وجود المخاطِب بالرّجوع إلى سياق الكلام.[2] وقد نظّر لهذا المصطلح ياكبسون حينما ربط اللّسانيات بمفهوم المعينات(Embrayeurs[3])، إذ إنّ فكّ شفرات الإشاريّات يقتضي وجود المخاطِب في زمان ومكان الحديث. وهذه الإشاريّات أنواع زمانيّة ومكانيّة تدلّ على موقع المخاطِب زمانيّا ومكانيّا.

3- الهدف: يقصد به موضوع الخطاب وأهداف المشاركين، وقد يكون هدفهم واحد كما يمكن أن يكون لكلّ مشارك هدف مستقلّ، وتحديد الهدف يساعدنا على فكّ شفرات الخطاب، فإذا كان هدف مجموعة من المتخاطبين تبنّي مشروع يحافظ على الثّروات الطّبيعيّة، فإنّنا في الجزائر مثلا يمكن تحديد هويّة المشاركين وعلاقة انتمائهم الاجتماعيّ لهذا الهدف، كما يمكن ربط مواقف كلّ مشارك بأهدافه.[4]

4- الدّور: مفهوم أساسيّ لتحليل التّفاعل الكلاميّ، والمقصود به ليس الوظيفة الحقيقيّة للمشارك في الخطاب، وإنّما يضطلع في التّفاعل الكلاميّ الّذي يكون له علاقة بوضعه الاجتماعيّ ومهنته ومعرفته الموسوعيّة، فشخص ما قد يشارك في حوار مع مواطنين في موضوع لا علاقة له بمهنته، ولكن هذا الحوار يقوم بدور محدّد نكتشفه من خلال مواقفه وأفكاره. والدّور محرّك أساسيّ لعمليّة التّفاعل بالنّسبة لأعلام المحادثة، إذ يتجاوز في مفهومه الإطار الكلاسيكيّ المتمثّل في الدّفاع عن إيديولوجيّة المخاطِب إلى إطار مهمّ وأساسيّ في حياة الإنسان وهو التّعايش، وبالتّالي فإنّ المشارك

---

[1] Emile ,BENVENISTE, problèmes de linguistique générale, Gallimard , 1966 ,p.263.

[2] ينظر: كاترين كربرات أوركيوني، فعل القول من الذّاتيّة في اللّغة، ترجمة: محمد نظيف، أفريقيا الشّرق، دط، المغرب 2007. ص ص 51، 68، 73.

[3] ينظر: رومان جاكبسون، قضايا الشّعريّة، ترجمة: محمد الوليّ ومبارك حنون، ط1، دار توبقال للنّشر، الدار البيضاء، المغرب 1988. ص07.

[4] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)، ص ص 150، 159.

في الكلام يحاول أن يثبت احترامه لأغراض وتقاليد المجتمع، وبالتّالي اندماجه الطّبيعيّ فيه. بالنّسبة لأعلام المحادثة فإنّ الحفاظ على العلاقات الاجتماعيّة والتّناغم أهمّ من فرض وجهة النّظر إذن:« الأطراف المشاركين في التّفاعل يمكن تشبيههم بمؤدّي توزيع موسيقى لكن لا يوجد في هذه الجوقة الثّقافيّة الواسعة لا رئيس ولا توزيع، فكلّ واحد يؤدّي دوره بالتّطابق مع الآخر، والملاحظ الخارجيّ(...)هو الّذي يضع بصفة تدريجيّة التّوزيع(...)هذه هي ومهمّة الباحثين في التّفاعل: إعادة بناء التّوزيعات الّتي يقوم عليها إنجاز التّفاعلات الخاصّة، ومن ورائها استخراج القواعد العامّة«التّناغم»التّحادثيّ.»[1]

ويأتي البعد الحجاجيّ بمعنى إقناع الآخرين بالآراء الشّخصيّة كدور مكمّل للدّور الأوّل، فظهرت عناصر فرعيّة لهذه المكوّنات الأساسيّة تدخل في إطار الزّمان والمكان وإطار المشاركين نتيجة خصوصيّة بعض مراحل الخطاب، حيث يمكن تغيير مجراه أو أبعاده الحجاجيّة ينجرّ عنه بروز مشهد جديد، وفي لحظة معيّنة قد يتغيّر مجرى الخطاب، أو تغيير المواقع لأسباب عديدة مثل ظهور طرف جديد في الخطاب(أدوار غير مستقرّة). وفي هذا الصّدد طرح غوفمان الفكرة القائلة بأنّ:«المشاركين منخرطون في نوع من المسرحيّة Dramaturgie وبأنّ الحياة اليوميّة عبارة عن إخراج مسرحيّ دائم تبنيّها علاقات قوى غير مستقرّة.»[2]

انطلاقا من هذه العناصر تبيّن لنا أنّ التّفاعل الكلاميّ ينحصر في مجالات الاتّصال والعلاقات المتداخلة بين المتفاعلين؛ فالهدف لا يمكن في تحديد هويّة المشاركين وإنّما ربط تلك العلاقات الّتي تنشأ بينهم بموضوع الخطاب وبالإطار الزّمانيّ والمكانيّ. وكلّ ذلك يستند إلى متغيّرات نفسيّة، واجتماعيّة وثقافيّة، وهذا ما جعل التّحليل فيه صعبا يستوجب الاستعانة بعدّة مناهج من مختلف العلوم الإنسانيّة الّتي تعنى بالسّلوك الإنسانيّ.

لقد جاءت حوارات الثّلاثيّة على شكل تفاعليّ كلاميّ، فإنّ إطار المشاركة سيضمّ مجموعة من المشاركين في موضوع الحوار، وهذه المشاركة تكون إمّا بالموافقة والمعارضة، إلى جانب المشارك الغائب. ويأتي الهدف من ذلك في معرفة كيفيّة اشتغال هذه التّفاعلات الّتي وجدناها في المدوّنة،

[1] باتريك شارودو ودومينيك مانقونو، معجم تحليل الخطاب، ص 312.

[2] دومينيك مانغونو،المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص 57.

انطلاقا من تحديد المشاركين حسب السّنّ، والجنس، والانتماء الاجتماعيّ، والجغرافيّ- كمعطيات أساسيّة- فهذه التّنوّعات تساعد على الكشف عنها. كما تجدر الإشارة إلى أنّنا اعتمدنا على ما تخزّنه المدوّنة من معلومات متعلّقة بالمشاركين.(كينونتهم متعلّقة بما ورد في الخطاب، فلا وجود لهم في الواقع).

تمّ تحديد المشاركين في الفصل السّابق عند تحليل الحوارات تداوليّا، والتّطرّق إليهم في هذا الفصل سيكون من خلال التّفاعل، وخاصيّة تناوب الأدوار، والعلاقة بينهم. وما يميّز هذه الثّلاثيّة أنّها بدأت بتفاعل بشكل صريح ومباشر، تمثّل في هذا الموقف الّذي جمع بين عمر ورشيد برّي وجمع من التّلاميذ:

"- **هات ممّا تأكل. وأنا.. وأنا..**"[1]

جاء هذا التّفاعل على شكل ردّ فعل إزاء رؤية الخبز، فكان موضوع الجوع فاتحة للرّواية وبناء تفاعلات بين المشاركين، منحت لهم فيها فرصة للحديث عن أسباب هذا الجوع ومآله، كذلك تهيّء القارئ؛ لأنّ فكرة الجوع مصغّرة تغدو طاغية على امتداد المدوّنة، ليتحوّل هذا المشهد إلى تفاعلات عن مواضيع مختلفة تصبّ حول الصّراع الدّائم من أجل الخبز.

نشير إلى عدم تحديد هويّة كلّ المشاركين(في كلّ رواية يتم انتقاء أطراف معيّنة)، وإنّما نكتفي بذكر البعض منهم فقط، وكذلك نماذج مختارة، فكلّ مشارك هو أنموذج عن مشاركين آخرين يتشابهون في الأدوار. وقد تمّ اختيارهم وفق أدوارهم النّامية وتأثيرهم على المشاركين الآخرين ومساهمتهم في تحريك الكلام. إضافة إلى دورهم في الكلام للكشف عن هويّة المشارك معها. فهدفنا ليس تشريح هذه الأطراف بتقديم هويّاتهم فقط، فلو كان كذلك لصار العمل أقرب إلى الرّوبورتاج، وإنّما هدفنا هو الكشف عن حركة هذه الأطراف لبيان موقفها تجاه الآخر والمجتمع بغية توصيل مقاصد مخصوصة.

سنشرع في تحديد المشارك الأوّل وهو عمر، ولقد سبق وأن ذكرت هويّة عمر، غير أنّ بعض التّفاصيل الدّقيقة المتعلّقة به، وبدورها في الحوار، فعند تسليط الضّوء عليها يضفي الوضوح في كلامه وفي علاقته بغيره من المشاركين.

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 13.

هو عمر بن أحمد دزيري، كان والده يشتغل بالتّجارة، كما كان يسرف في الشّراب، وتوفّي منذ مدّة طويلة، حتّى أنّ عمر لا يعرفه فقد تركه صغيرا، و جدّه الحاج بن علي من أمهر الحائكين في المنطقة[1]. عاش طفولة صعبة في منطقة فقيرة مهمّشة غرب الجزائر(تلمسان)، تعكس صورة كلّ مدن الجزائر آنذاك. إذ يظهر عليها الفقر بإلحاح وصراعها على فتات الخبز، يكتنز عمر عدّة توصيفات متداخلة، إذ إنّ حياته غنيّة بالطّموح، والتّساؤل، والحيويّة، والذّكاء. وكان من القلائل الّذين أتيحت لهم فرصة التّعليم في المدرسة الفرنسيّة العربيّة، ويظهر ذلك في حواره مع لالا:«- **...وأبوك هل ذهب إلى المدرسة يوما؟ وجدّك، وأجداد جدّك؟ وأسرتك كلّها؟ وجميع من نعرفهم من النّاس**»[2]. عمر طفل ذكيّ كثير التّساؤل يتجلّى ذلك في تفطّنه في درس الوطن، حينما أدرك أنّ برامج التّعليم هي في الحقيقة فرض للأنموذج الفرنسيّ ولا علاقة له بمقوّمات الشّخصية الجزائريّة (وطبعا كان ذلك حسب مستوى تفكيره بمقارنة بين ما قيل و ما هو كائن)، إذ شرح المعلّم معنى الوطن، و ردّد أنّ الوطن هو أرض الآباء والأجداد، هو البلد الّذي نسكنه منذ أجيال:« **من منكم يعلم معنى كلمة: الوطن(...) فرنسا هي أمّنا الوطن**»[3] كما نلمح أنّ جلّ أسئلته تنطلق من الواقع ووعيه بكلّ ما يدور حوله، إذ يتساءل عن أمور عميقة صارت هاجسا عنده، حتّى وإن بدت سطحيّة داخلة في الطّابوهات(كالحبّ، والجنس، والسّياسة، والفقر...إلخ).

عمر ذلك الطّفل الطّموح للعيش حياة كريمة:« **أنا أذهب إلى المدرسة وأتعلّم أشياء كثيرة، أنّي أريد أن أتعلّم حتّى إذا كبرت ربحت مالا وفيرا**»[4] بدأ العمل في سنّ مبكرة، بعدما تخلّى عن الدّراسة وقد دفعه إلى ذلك عدم تحمّل والدته مصاريف الدّراسة(الملابس، الكتب):«...**إنّ مطلبا من هذا النّوع هو دائما تمهيد لمشاجرة بينه وبين عيني... دعنا أخيرا من هذه المدرسة! لقد ضقت بها ذرعا! أتراك تأمل أن تصبح وزيرا؟**»[5]

أمّا عن شكله الفيزيولوجيّ، فقد قدّم محمّد ديب وصفا دقيقا ملازما للجوع والفقر:« **إنّ الجوع أشدّ رهبة من الحرّ، إنّه ماثل لهم دائما، وكأنّ الجوع في جسم عمر أشبع بشعلة خفيّة لا تدرك،**

---

[1] ينظر: محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص84. النّول، ص306.

[2] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص67.

[3] المصدر نفسه، ص 19.

[4] نفسه، ص56.

[5] محمّد ديب، الحريق، ص241.

تولد له نوعا من نشوة، لقد خفّ لحمه فجأة وأسرف في الخفّة، وضعف وأسرف في الضّعف(...) وفي هذه اللّحظة دخل سرب من الأطفال على رأسهم عمر الّذي سرعان ما أحسّ بيديّ رجل تقبضان على كتفيه النّحيلتين.»[1]

ولكي تكتمل لوحة الصّبيّ الّتي تعبّر عن الفقر في أبشع صوره، راح محمّد ديب يصفه بأنّه: « **صبيّ صغير هزيل، له عينان قائمتان كأنّهما من فحم، وله وجه شاحب قلق(...) وساقاه الهزيلتان تخرجان من فتحتي سروال طويل مسرف في الطّول**»[2]

أمّا المشارك الثّانيّ فقد كان عيني. هي أرملة تسعى دائما لسدّ رمق أبنائها، وأمّها المريضة: « **لقد بدأت عيني تستغلّ ماكينتها لإعالة أسرتها منذ خمسة عشر عاما أي قبل وفاة زوجها بمدّة طويلة. ظلّت تدرز الأحذية للحذّائين زمنا طويلا.**»[3] عيني كثيرة العمل، حيث اشتغلت كلّ ما تستطيع في سبيل الخبز، بدأت بالخياطة ثمّ التّطريز، ثمّ مصنع السّجاد: « **والحقّ أنّ عيني كانت تجهد نفسها في العمل. إنّها لا تكاد تتوقّف عنه لحظة واحدة. كان الأولاد ينعسون في المساء فينامون، وتظلّ هي ساهرة تعمل. حتّى إذا استيقظوا في صباح غد، وجدوها تعمل كذلك(...)ألم أقتل نفسي قتلا بالعمل؟ (...)اسمعوا.. لقد عملت حتّى الآن غاية استطاعتي. إنّكم ترون ذلك في وجهي وترونه في جسمي، وأنتم ترون كذلك أنّ النّتيجة أخيرا صفر. لا شيء إلّا مزيد من التّعب**».[4]

وضمن معطيات تقديم المشارك فيزيولوجيّا، جاء شكل عيني في أبشع صورة، فقد شوّه التّعب والفقر جسدها، حيث:« **اشتدّ نحولها حتّى صارت عظاما طويلة لا يكاد يكسوها لحم. إنّ كلّ ما يصنع فتنة المرأة قد زال عنها منذ مدّة طويلة. لقد ذبلت ذبولا تامّا. وقسا صوتها وتصلّبت نظرتها**».[5] وفي موضع آخر نجد وصفا دقيقا لبنيتها خاصّة عند عقد مقارنة بين شعرها ونبات

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص ص 74، 77.

[2] المصدر نفسه، ص 15.

[3] نفسه، ص 79.

[4] نفسه، ص ص 81، 82، 87.

[5] نفسه، ص80.

العوسج[1] ذي الطّبيعة الشّوكيّة، والكثيفة، وذلك كطريقة لتدعيم فكرة كثرة انشغالها وانصرافها عن الاهتمام بنفسها.

أمّا عن الشّكل السّيكولوجيّ فهي قلقة، منفعلة ، قاسية، ساخطة، وتمثّل هذا الجانب في الطّابع الانفعاليّ الّذي ميّز عيني، إذ يرى جورج طرابيشي أنّها الأمّ الشّرّيرة،[2] يحيلنا هذا الجانب الباطنيّ للمشارك إلى الجانب الخارجيّ ألا وهو الجانب الاجتماعيّ، فالعالم الخارجيّ يعدّ مكانا لتجسيد باطن المشارك في شكل تفاعلات. فبالنّسبة لعيني فقد اجتمع البؤس وقلّة الحيلة عندها، لجعلها امرأة تخزّن طاقة سلبيّة باطنيّة تجد نفسها مكرهة على إظهارها في معاملتها مع الآخر، إذن قلّة حيلتها جعلها كثيرة التّساؤل عن أشياء لم تجد لها جوابا، والّتي تتلخّص حول طريقة العمل للحصول على الخبز، فكان حظّها من الحياة سوى الشّقاء الّذي لا فكاك منه:« **لقد شقيت عيني في حياتها كثيرا، وعانت من البؤس منذ عدد كبير من السّنين ما جعل أعصابها تتهدّم تهدّما في هذا الكفاح المرير الّذي تخوضه كلّ يوم**».[3] وفي نظرنا، ومن خلال قراءتنا للرّواية فإنّ عيني ليست أمّا شريرة وإنّما هي أنموذج المرأة الّتي أفقدتها الحياة أنوثتها، وطيبتها، فهي مضطرّة أن تصبح قاسية لتضمن عبورها في عالم شرس، بينما هي في عمقها طيّبة. ولكن نجد أنفسنا أمام أنموذج آخر يعاني في الحياة لكنّ واقعه لم يشوّه أمومتها، وهنا يجري الحديث عن منون، تلك المرأة رغم شدّة مرضها، ورمي الزّوج بها عند أهلها مع أولادها الصّغار، لكنّها مع ذلك تطرب آذان صغارها بأغانيها وصوتها العذب، وتسعى لاحتوائهم دائما.[4]

في حين تمثّل المشارك الثّالث في حميد سرّاج. لقد أولى محمّد ديب اهتماما بالغا لهذه الشّخصيّة، حيث جعلها محرّكا أساسيّا في حوارات رواية الحريق. وقد قدّم له وصفا خارجيّا على غرار ذكائه وشجاعته وسعة تجربته وفصاحته وإيمانه بالدّيموقراطية، والصّمود تحت التّعذيب:« **إن أغرب ما فيه هو تعبير عينيه الخضراوين الصافيتين أشد الصفاء، اللتين يبدو أنهما تنفذان في الناس والأشياء نفاذا عميقا، وكان صوته، حين يتكلم، يثبت الكلمات التي يلوح أن نظرته الغريبة**

[1] ينظر: محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 29.

[2] ينظر: جورج طرابيشي، الأعمال النّقديّة الكاملة، الرّجولة وإيديولوجيا الرّجولة، أنثى ضدّ الأنوثة، الرّوائيّ وبطله، ج3، ط1، دار مدارك للنّشر، دبي2013. ص19.

[3] محمّد ديب، المصدر نفسه، ص70

[4] ينظر: نفسه، ص ص 32، 33.

تقرؤها في الأفق البعيد... إن غضونا تخدد وجهه منذ الآن، وإن شعر رأسه يتساقط، فيتسع من ذلك جبينه، ويبدو عاليا علوا كبيرا».[1] هذا الوصف يبرز غموض حميد سراج كغموض نظرته العميقة الّتي تخفي وراءها أمورا كثيرة. إنّ هذه التّفاصيل جاءت لتكشف عن هويّة المشارك وتفسير الأحداث عن طريق تفاعلاته.

أمّا عن ثقافته، فقد:« **كان يندر أن لا يرى المرء في جيوب سترته العريضة القيمة الرمادية كتبا كانت أغلفتها وصفحاتها تنفصل ولكنها لا تضيع، لأن حميدا لا يدعها تضيع أبدا. وهو الذي أعار عمر ذلك الكتاب الذي عنوانه" الجبال والرجال" فراح الصبي يفك رموزه في صبر وأناة، صفحة بعد صفحة، دون أن تخور عزيمته، واحتاج إلى أربعة أشهر لإتمام قراءته(...) تعلم القراءة بنفسه، وحده(...) إنما كان يقرأ حميد على ضوء مصباح صغير».**[2] هذا المشارك كان في كلّ مرّة يفاجئ القارئ ويراوغ عقله إلى غاية نهاية الرّواية. كما تجدر الإشارة إلى أنّه تمّ استبداله بمشارك آخر يملك وعيا سياسيّا مثله وهو عكاشة في رواية النّول، فبعد اعتقال حميد سراج كان لابدّ من مشارك بديل يقود الحركة الثّوريّة؛ لهذا قلنا سابقا أنّ عملية انتقاء المشاركين تخضع لمعيار دورهم في المدوّنة، إذ يستحيل عرضهم جميعا.

- المشارك الغائب:

إنّ المشارك الغائب له حضور بارز في المدوّنة، تمثّل في استحضار شخصيّة حميد سراج في تفاعلات النّسوة داخل الدّار، كذلك أحمد دزيري(والد عمر) في حديث عيني مع العمّة وحديث عمر مع باصقالي في المصنع، واستحضار إخوة عيني في حديثها مع والدتها، كذلك الحديث عن زوج الجارة مع عيني، وتفكير عيني في مالك البيت الّذي كان سببا في طردها لعمر من البيت. فلحضور هؤلاء المشاركين الدّور الأساسيّ في تغيير موقف المشاركين، سواء بأفكارهم أو سلوكاتهم، ويتّضح ذلك في التّغيير الّذي حدث في مضمون الحديث أو التّأثيرات الّتي طبعت موقف المتخاطبين(تغيّر ملامح عمر عند سؤاله عن والده من طرف باصقالي).[3]

---

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 44.

[2] المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

[3] ينظر: نفسه، ص ص15، 23، 24، 25، 30، 39، 44، 46، 47، 54. ينظر أيضا: النّول، ص 306.

كما جرى التّفاعل الكلاميّ في أماكن(الإطار المكانيّ) تخضع للتّراتب؛ أي من مكان خاصّ ضيّق (الدّار الكبيرة) إلى مكان عامّ (ريف بني بوبلان) ثمّ العودة إلى مكان خاصّ (المعمل)، فلكلّ موضوع بيئة خاصّة، كما أنّ استغلال المكان كان مناسبا لموضوع التّفاعل، إذ تمّ تحديده بدقّة متناهية لفهم الخطاب. فدار السبيطار:« **بيت كبير عتيق، موقوف على سكان همهم الأكبر اختصار النفقات. واجهة ليس فيها شيء من تناسق، تطل على الشارع الضيق الصغير، وبعد الواجهة رواق المدخل وهو رواق عريض مظلم، أخفض من الشارع، وهو ينعطف حتى يحجب النساء عن أبصار المارة. ويتصل الرواق بفناء على الطراز القديم وسط بركة ماء(...) إن دار سبيطار ملأى كخلية النحل**».[1] بينما قرية بني بوبلان فتقع عند نهاية مدينة تلمسان، وقد مهّد محمّد ديب لرواية الحريق بوصف لهذه القرية.[2] والمكان الأخير الّذي هو مصنع النّسيج يشبه الكهف تنعدم فيه أدنى شروط العمل:« **أحس الصبي باختناق. إنه لا يرى شيئا. تحسر على الشارع(...) استبدت به رغبة جامحة في صعود السلم والفرار من هذا المكان**».[3] وما يهمّنا هو تحديد علاقة التّفاعل بهذه الأماكن، حيث أخذ كلّ تفاعل وجوده في مكان محدّد؛ ليحمل رسالة مشفّرة تحمل أبعادا اجتماعيّة وسياسيّة تعبّر عن تشابه البؤس بين جميع النّاس على اختلاف طبقاتهم وأماكنهم، وكان عمر حلقة الوصل في بناء التّفاعلات في هذه الأماكن المتمايزة لنقل صورة عن هذا المجتمع. كما نشير إلى أنّ المكان المشار إليه في الثّلاثيّة هو حقيقيّ موجود فعلا في الجزائر. ونفس الفكرة تنطبق على الإطار الزّمانيّ، ومنه فإنّ زمن التّفاعل له وقع في الثّلاثيّة يخضع إلى العوامل الاجتماعيّة والسّياسيّة. فالفترات الزّمنيّة المعروضة بشكل مختلف(ليل، نهار، صباح مساء، فصول السّنة...إلخ) لها خصوصيّة تتحدّد بمضمون الثّلاثية الكلّيّ، فحياة البؤس والشّقاء لازمت المتفاعلين على مدار فصول السّنة وكذا تعاقب مآسيه بتعاقب اللّيل والنّهار.

أمّا دور المشاركين يساعد في:« تحديد ماهية النّشاط التّواصليّ لكلّ مشارك، كيف يحقّق كلّ واحد الأدوار التّواصليّة الّتي تكسبه مشروعيّته بالنّسبة إلى عقد التّبادل، والاستراتيجيّات

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص48.

[2] ينظر: محمّد ديب، الحريق، ص 117.

[3] محمّد ديب، النّول ص 286.

الخطابيّة الّتي يتوخّاها أثناء التحّادث بالنّسبة إلى المتدخّلين الآخرين ونشاطهم التّواصليّ الخاصّ بهم.»[1]

و في إطار العلاقة التّخاطبيّة بين شخصين متساويين في الدّرجة تأسّس هذا الحوار بين حمدوش وعباس الصّبّاغ:

«- **يجب تبسيط الأمور، ينبغي لجميع الفروق بين البشر أن تزول، والذين يعارضون هذا يجب سحقهم. نعم، لا فروق.**

- طيب.. هذا رأيي أنا أيضا.»[2]

يكشف هذا التّفاعل عن أفكار ومواقف المتفاعلين، إذ ساهم في التّضامن بينهما، حتّى وإن كان شكليّا، إذ يحدث وأن يعمد المخاطِب إلى تقديم حقّ مخاطَبه على حقّه هو حفاظا على علاقتهما، وتسمّى بالإستراتيجيّة التّضامنيّة، فمن مسوّغات استعمالها:« تحسين صورة المرسل أمام الآخرين، إذا كان معروفا بالتّشدّد في آرائه، أو التّسلّط في تعامله.»[3] فالهدف من الدّور الّذي يضطلع إليه عبّاس هو اندماجه مع حمدوش، وليس معارضة وجهات نظره وذلك تفاديا لمشادات كلاميّة معه أو خصام عنيف؛ لأنّ معرفته المسبقة بحمدوش استدعت ذلك، كونه ذا طبيعة مزاجيّة يصعب النّقاش والتّعايش معه.

لقد شكّل التّفاعل بؤرة يفيض منها الهدف الرّئيس، وهو تقديم مذكّرة الشّعب الجزائريّ، فمن خلال المدوّنة لدينا مجموعة من المشاركين يستقلّون بأهدافهم في مواقف مختلفة، فبالرّغم من أنّ الأهداف أحيانا تبدو متعارضة لكنّها تصبّ في هدف كليّ، وقد ساهم جنس الخطاب(الرّواية) في تحقيق ذلك عن طريق إستراتيجيّة غير مباشرة(كما بيّنته الأفعال التّوجيهيّة غير المباشرة في العنصر السّابق):« قد تكون الأهداف متواليّة أو متراكمة، وأنّها قد لا تتحقّق من خلال خطاب

[1] باتريك شارودو، دومينيك مانغونو، معجم تحليل الخطاب، ص 499.

[2] محمّد ديب، النّول، ص 374.

[3] ظافر الشّهريّ، استراتيجيّات الخطاب(مقاربة لغويّة تداوليّة)، ص 261.

يشير إلى الهدف الكلّيّ مباشرة، ولكن عبر تحقيق أهداف كثيرة.»[1] وتجسّد تفاعلات الفلّاحين وعمّال المصنع هذه الفكرة. ويمكن أن نمثّل لذلك بهذا الشّكل:

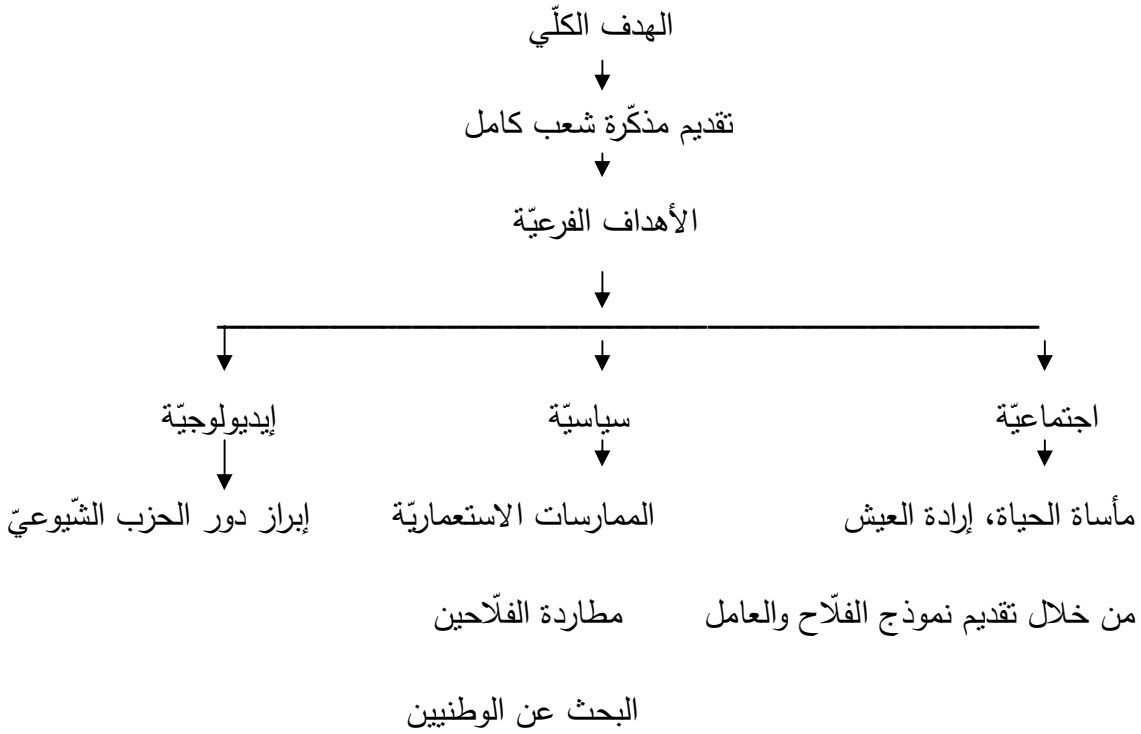

إلى جانب الأفعال الكلاميّة والتّفاعل اللّذين ذكرناهما، نجد أنّ أوركيوني قد حدّدت مراتب أخرى لتحليل التّفاعل هي: المتوالية(séquence)، التّبادل(échange)، التّدخّل(intervention).[2]

ويتحقّق مفهوم المتواليّة بالموضوع أو الهدف من الحديث، حيث يشترط أثناء التّبادل الكلاميّ حدوث انسجام تامّ في الموضوع الواحد كمعيار دلاليّ، أو في الهدف الواحد كمعيار تداوليّ[3]؛ ويقصد بذلك عند وجود وحدة في الموضوع المعالج يعني ذلك أنّنا أمام متتاليّة، كذلك حينما تكون تلك الكتلة المتراصّة من المبادلات الكلاميّة هدفها واحد ومهمّتها نفسها فذلك يعني متواليّة أيضا. فنوع المتواليّة مرتبط إمّا بالموضوع أو الهدف. في هذه الحالة هل يمكن اعتبار المتوالية الواحدة تفاعلا؟ يمكننا أن نجيب عن هذا التساؤل عن طريق عرض نموذج من النّماذج في المدوّنة من ممثّلا في حوار جمع بين الفلّاحين وحميد سراج في رواية الحريق؛ فيه مجموعة من الحوارات

[1] ظافر الشّهريّ، استراتيجيّات الخطاب، مقاربة لغويّة تداوليّة، ص167.

[2] Voir : Orecchioni, la conversation, édition du Seuil , JUIN 1996. pp.36 ,37,38.

[3] Voir : ibid,p.37

الفرعيّة يصحّ أن نصطلح عليها متتواليات مختلفة تصبّ في هدف واحد تحقّق تفاعلا كلاميّا.[1] فالتّفاعل الكلاميّ الواحد يسير على وفق مسار منظّم تؤطّره متواليّات افتتاحيّة وأخرى ختاميّة، وما تبقّى من الحوار يعدّ هيكلا للتّفاعل، وينطبق هذا على كثير من الحوارات، وهذه مجموعة من النّماذج عن تلك المتواليّات:

أ- **المتواليّة الافتتاحيّة:** تتمثّل في التّحايا، التّعبير عن الودّ، المتعة الّتي يشعر بها الإنسان عند اللّقاء.[2] ومن أمثلة ذلك نجد:

"- **كيف حالك يا قدّور؟**"[3]

"- **كيف الحال؟ أهلا وسهلا. تعال اقترب.**"[4]

"- **كيف الأحوال يا حمدوش؟**"[5]

والهدف من هذه المتواليات هو كسر الحاجز بين المتخاطبين للخوض في موضوع الحديث، ففي المثال الثّانيّ نجد أن المخاطِب أراد جذب المخاطَب بعدما كان في حالة نفور متعمّدة ورفض في الاندماج مع البقّية لأسباب معلومة. وفي المثال الأخير الهدف منها هو إظهار الرّغبة في معرفة أسباب غياب حمدوش عن العمل والدّخول في الموضوع.

ب- **المتواليّة الاختتاميّة:** تتمثّل في إعلان نهاية اللّقاء بطريقة منسجمة، باستعمال الاعتذار وتبرير الانصراف، كذلك عبارات تدلّ على تمنّيات اللّقاء مرّة أخرى و تحيّات الافتراق.[6] وأمثلة ذلك في المدوّنة لدينا:

"- **عودي لزيارتنا.(تحيّة افتراق و رغبة في اللّقاء مرة أخرى).**"[7]

---

[1] ينظر: محمّد ديب، الحريق، ص 182-195.

[2] Voir :Orecchioni, la conversation, p. 37.

[3] محمّد ديب، المصدر نفسه، ص 137.

[4] نفسه، ص 162.

[5] محمّد ديب، النّول، ص380.

[6] Voir :Orecchioni, ibid p.37.

[7] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 106.

"- **وداعا. صحبتك السّلامة.**"[1]

"- **إلى اللّقاء يا سليمان.**"[2]

"- **سامحوني أيّها الإخوان.(تبرير الذّهاب).**"[3]

تدخل هذه المتواليات الافتتاحيّة والاختتاميّة في التّبادل أيضا ضمن ما اصطلح بـ: «التّبادلات التّأكيديّة confirmatifs.»[4] وسميت كذلك لأنّها تؤكّد على الرّوابط الاجتماعيّة، كما تعتمد على نفس الكلام بمعنى التّحيّة وردّ التّحيّة...إلخ، والمقصود بنفس الكلام لا يعني الرّدّ الحرفيّ وإنّما التّأكيد على التّناغم الإيجابيّ بين المشاركين، أي إنجاز:« أعمال من نفس القبيل.»[5]

بينما يقصد بالتّبادل تلك الوحدة الصّغرى الّتي يتشكّل منها التّفاعل والّذي يقوم على الأقلّ بين مشاركين اثنين، لهذا فهي وحدة مميّزة في تحليل المحادثة.[6]

لقد أشرنا في مدخل البحث إلى مبدأ التّواجه، وحدّدنا مفهوم الوجه أيضا[7]، ويظهر ذلك في خطاب المشاركين أثناء التّفاعل(سواء عن طريق الأفعال الكلاميّة أو غير الكلاميّة) والّتي تهدّد صورة الأطراف الحاضرة، فيحدث أن يقوم المخاطِب بكلّ ما:« لا يتسبّب أعماله في فقدان أيّ شخص ما وجهه(بما في ذلك وجهه هو).»[8] نلاحظ في حوار بين عمر وزهور، كيف أنّ زهور تحاول عن طريق هذا الملفوظ:"- **أرجوك لا تبك**"[9] تقديم اعتذار لعمر تحاول من خلاله إعادة التّوازن التّفاعليّ بعد صدور تصرّف خاطئ منها، ويسمّى هذا عند غوفمان بـ: «التّبادلات الإصلاحيّةréparateurs »[10] وهي بمثابة توفير تبريرات أو ضمانات. وانطلاقا من فعل الاعتذار

---

[1] محمّد ديب، الحريق، ص ص 161، 162.

[2] المصدر نفسه، ص169.

[3] نفسه، ص 233.

[4] دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص 45.

[5] المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[6] Voir : Orecchioni, la conversation,p.37.

[7] ينظر: ص22 من هذه الأطروحة.

[8] باتريك شارودو، دومينيك مانقونو، معجم تحليل الخطاب، ص 429.

[9] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص52.

[10] دومينيك مانقونو، معجم تحليل الخطاب، ص 45.

تظهر علاقة الشّخص المعتذر بالشّخص الّذي وقع عليه الضّرر، وهذه العلاقة بين المشاركين تتحكّم فيها مجموعة من الشّروط.

أمّا العنصر الأخير في تحليل التّفاعل هو التّدخّل. قد يثير هذا المصطلح لبسا إذا ما نظرنا إليه سطحيّا، فالتّدخّل يعني المشاركة في شيء ويرتبط بطرف آخر سيدخل إلى دائرة التّحاور؛ وهذا ما دفع بأوركيوني إلى تمييزه عن دور الكلام وتقصد به: المخاطِب الواحد(المونولوج)، أي هو تبادل خاصّ للكلام.[1] هنا يحقّ لنا أن نتساءل، لأنّ مقابلة مصطلح المونولوج بالمخاطِب الواحد، أحدث لبسا، فالمخاطِب الواحد قد لا يلقى استجابة من الطّرف الثّاني في حالة الحديث علنا، وبالتّاليّ يبقى عند حدود الطّرف الأوّل، هل يعتبر ذلك تدخّلا؟ والمونولوج هو حديث النّفس، وهو خطاب من طرف واحد أيضا؟ في هذه الحالة حاولنا ربط ذلك بشروط التّفاعل الكلاميّ الّذي يشترط التّقابل الفعليّ للمتخاطبين، لهذا نرجّح أن يكون قصد أوركيوني هو: في حالة الكلام الفعليّ.

وللتّمثيل عن ذلك نورد هذا القول لقره:" **ليتني أعرف حقيقة الأمر..إني مستعد لأن أدفع ثمن ذلك غاليا جدا..و..و.. ليتني أملك عربة كهذه العربة.. مع كل ما عليها. يا لهؤلاء الفلاحين ما أدناهم! لقد أصبحوا لا يحترمون من هم أعلى منهم مقاما، وأرفع شأنا. أصبحوا يسمحون لأنفسهم بكل شيء. ولماذا؟ لأنهم وجدوا مستوطنين فرنسيين يستطيعون أن يكسبوا من العمل في مزارعهم مالا.. مالا لا يعرفون ماذا يصنعون. أصبحنا لا نستطيع السيطرة عليهم. أصبحنا لا نستطيع أن نكلفهم، إنهم يكسبون من المال ما يشاءون، وهذا ما يجعلهم وقحين.**"[2] لدينا في هذا هذا المثال تدخّلات مركّبة من عدّة أفعال كلاميّة تكشف عن هويّة قره كأداة لقمع الحركة النّضاليّة، وعن حلمه بأن يتمتّع بكلّ الامتيازات الّتي يمتلكها المعمّرون.

كما بيّنت أوركيوني طريقة اشتغال كلّ هذه الوحدات وتعالقها ببعض وبشكل تراتبيّ، بدءا بالأفعال الكلاميّة وصولا إلى التّفاعل؛ فالمخاطِب نفسه ينتج أفعالا كلاميّة تشكّل تدخّلات، وإن حدث أن تدخّل طرف آخر ليصبح متكلّمان صار الحديث عن تبادلات، ثمّ تتضامّ هذه التّبادلات

[1] Orecchioni, la conversation,p. 37.

[2] محمّد ديب، الحريق، ص 167.

لتتنج متواليّات، ثمّ عن طريق تركيب هذه المتواليّات تحدث تفاعلات.[1]

لقد حدّدت أوركيوني في كتابها" les interactions verbales" نوعين من العلاقات بين المشاركين، هما: علاقة البعد أو القرب وهي علاقة أفقيّة، وعلاقة السّلطة؛ هي علاقة عموديّة.[2] وقد جاءت بعض الحوارات تأكيدا على نوع العلاقة بين المتفاعلين، ويتجلّى ذلك في هذا الحوار بين عمر و زبيش:

"– **ما اسمك؟ عمر. وأنت؟**

– **أنا الذي أسألك، وليس لك أن تلقي أسئلة، اسمي حامي أما زبيش فهو اللّقب الذي ألقب به، واعلم أنني هنا رئيس الصبية فعليك أن تفعل كل ما آمرك به..**

– **هل فهمت يا مغفل؟** قبض عمر كفه مدمدما بصوت **خافت:**

– **إياك، حذار.**

– إنك لم تر شيئا بعد. انتظر قليلا، وليسلخن جلدك سلخا.. موافق؟

– **ليس يجديك أنك كبير. لسوف ترى هذا بأم عينك. أنت جديد، وعلى الجديد أن يطيع القدامى. عليك أن تطيع، هذه نصيحتي إليك.. الطاعة خير لك."**[3]

يظهر جليّا تدخّل عنصر السّلطة في عمليّة التّفاعل بين زبيش وعمر، فالحديث قبل زبيش دون إذن منه يعدّ تعدّيا عليه من طرف عمر، إذ لا يجوز لعمر تجاوز ذلك، فهو أولى بالحديث. وهنا تظهر طريقة التّفاعل الكلاميّ عن طريق إبراز هذه السّلطة وعلاقة الهيمنة، وكيف صدرت مجموعة من الأفعال الكلاميّة من خلال تراتب الشّخصين.

وعلى هذا الأساس نجد أيضا المضمون الّذي يحمله الملفوظ الصّادر عن عيني:" **هذه أنا يا عمر، هذه أنا نفسي، هذه أنا**".[4] يبيّن وعي المشارك بسلطة عيني ومعرفته التّامّة لها، ما يستوجب

[1] Voir : Orecchioni, la conversation,p.36.

[2] Voir : Orecchioni, les interactions verbales, pp.39,71.

[3] محمّد ديب، النّول، ص ص 287، 288.

[4] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 65.

خضوعهم المباشر لها، وقد ساهم سوء تقدير عمر لحجم ما فعل ومكابرته عن كشف تلك العلاقة، وإدراك طبيعة العلاقة الّتي تربط بين المتفاعلين وهي علاقة مهيمنة من طرف واحد.

من خلال حوارات عمر وزهور وطريقة التّعامل بينهما، تظهر علاقة القرب، والمرافقة الدّائمة، فهما على علاقة وطيدة وانسجام تامّ. أراد من خلالها محمّد ديب الكشف عن معنى المرأة والأنوثة، عن طريق ملاحظة عمر لزهور بشكل مستمرّ، فمن خلال عبارات من قبيل: "- **أرجوك، لا تبك، أخي الصّغير، هذه قبلة، إن شئت تأتي معي كالمرّة الماضية، هات، هات، أنت نائم، انظر كيف يجب أن تفعل**".[1] تكشف جانبا مختلفا من العواطف، و قد تعمّد محمّد ديب تقديم وصف لزهور و إظهار جرأتها في تعاملها مع عمر في كثير من الأحيان لتقديم هذه العلاقة.

[1] ينظر: محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص ص 52 ،53. ينظر أيضا: الحريق، ص ص 130، 131.

الفصل الثّالث:

تداوليّة حوارات الثّلاثيّة بين الأصل والتّرجمة.

1- تداوليّة الخطاب الأدبيّ.

2- تداوليّة الخطاب الأدبيّ المترجم.

3- ترجمة الحوار الرّوائيّ.

3-1- تقنيّات التّرجمة.

3-2-التّرجمة الأدبيّة.

3-3- التّداوليّة وفعل التّرجمة.

4- التّكافؤات التّداوليّة والخصوصيّة الثّقافيّة في حوارات الثّلاثيّة بين الأصل والتّرجمة.

1- تداوليّة الخطاب الأدبيّ:

فرضت طبيعة البحث الحديث عن جدوى تطبيق التّداوليّة على الخطابات الأدبيّة، فهذا التّساؤل مشروع إذا انطلقنا من مفهوم التّداوليّة الّتي تعني دراسة اللّغة في استعمالاتها الحقيقيّة، في حين أنّ لغة الخطاب الأدبيّ لغة متعالية عن اللّغة العاديّة، وفي نفس الوقت غير خارجة عن قوانين اللّغة، فمحاولة مقاربة الخطابات الأدبيّة أصبحت غايات ضروريّة تضع في أولويّتها كلّ الأدوات التّحليليّة للتّعامل مع هذا النّوع من الخطابات. حيث إنّ:« السّعي نحو تأصيل منهج تداوليّ لدراسة الخطاب الأدبيّ ليس مجرّد استجابة لنزعة نحو كلّ ما هو جديد وعصريّ أو مغاير، وإنّما هو أمر تقتضيه ضرورة توضيح العلاقة بين البشر وأقوالهم، على اختلافها، والعوالم الّتي ينشئونها بتلك الأقوال.»[1] وفي خضمّ هذا الحديث أقرّ مانغونو بإمكانية استثمار مقولات التّداوليّة في التّحليل الأدبيّ، وضرورة تجاوز ثنائيّة ضدّ/ مع الفكرة، والعمل على تحديد نوع التّداوليّة المستخدمة ومسلكها الصّحيح.[2]

هذه القناعة بدأت تترسّخ شيئا فشيئا، وأفرزت مقاربات اختلفت في منطلقاتها لكنّها تتّفق في النّظر إلى الخطاب الأدبيّ على أنّه تواصليّ في ظروف وملابسات، ومجموعة مقاصد. ولتقديم مبرّرات تطبيق التّداوليّة على الخطابات الأدبيّة، سنقوم بعرض مقاربتين تداوليّتين للخطاب الأدبيّ؛ تتعلّق الأولى بعلاقة الأديب مع المتلقّي، بينما الثّانية تنطلق من شخصيّات العمل الأدبيّ في حدّ ذاتها.

وتتعامل التّداوليّة مع العمل الأدبيّ على أساس أنّه ملفوظ لغويّ يحمل كلّية عضويّة، وبهذا يكون العمل الأدبيّ خطابا[3]، وانطلاقا من خصائصه، أخذ بعض المنظّرين ينظرون إليه ضمن التّداوليّات مثل مانغونو. ومن تلك الخصائص نجد أنّ[4]:

- ✓ **الخطاب تركيب أشمل من الجملة:** لا ينظر إلى الخطاب من خلال عدد أو طول الجملة، لأنّ اللّفظة الواحدة تكون خطابا إذا وضعت في سياق.

---

[1] محمد لطفي الزّليطني، نحو منهج تداوليّ في تحليل الخطاب الأدبيّ، دط، دب دس، ص56.

[2] Voir : Dominique Maingueneau, pragmatique pour le discours littéraire, Bordas, Paris1990.p.183

[3] ينظر: جميل حمداوي، التّداوليّات وتحليل الخطاب، ص 9.

[4] ينظر: محمود طلحة، تداوليّة الخطاب السّرديّ دراسة تحليليّة في وحي القلم للرّافعيّ، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن2012. ص ص 15، 16، 17.

- ✓ **الخطاب موجّه:** أي أنّ الخطاب يقوم به شخص ما ليوجّهه لشخص آخر. وهنا يظهر لنا الدّور الفعّال الّذي يحدثه الخطاب وهو التّواصل.
- ✓ **الخطاب شكل من أشكال الفعل:** وهذا ما يفسّر من خلال نظريّة أفعال الكلام والّتي تعتبر الفعل الكلاميّ نشاطا ماديّا نحويّا يتضمّن أفعالا قوليّة لتحقيق أغراض مختلفة.
- ✓ **الخطاب تفاعليّ:** يستند مفهوم الخطاب/ تفاعل إلى المحادثات اليوميّة الّتي تشترط وجود متخاطبين في وضعية تواصليّة، وتكون المشاركة في الحديث إمّا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة*، ويقصد بالمشاركة غير المباشرة؛ مشاركة المخاطَب الغائب.
- ✓ **الخطاب يقع في سياق معيّن:** يؤكّد مانغونو على أنّ الخطاب مسوق أو مسيّق لذلك فالملفوظ لا يحمل معنى خارج السّياق، وإنّما يحمل معنيين في سياقين مختلفين.
- ✓ **الخطاب مستعمل من قبل ذات:** فلا يمكن فصل أيّ خطاب عن قائله، ويجري الحديث هنا عن قدرة المخاطِب على فرض ذاتيته في الخطاب، فالمخاطِب يسجّل حضوره دائما في الخطاب عن طريق ترك أثره، وقد يظهر هذا الأثر عن طريق الضّمائر مثلا.
- ✓ **الخطاب محكوم بمعايير:** الخطاب محكوم بمعايير تبرّر الشّكل الّذي قدّم به.
- ✓ **الخطاب مأخوذ في إطار تداخل الخطابات:** لا يصحّ قول خطاب بمعزل عن باقي الخطابات، فهو موجود ضمن مجموعة من الخطابات المتداخلة.

وقبل الحديث عن الخطاب الروائيّ المترجم لابدّ لنا أن نشير أيضا إلى أنّ الخطاب الأدبيّ تتوافر فيه مبادئ التّداولية، ولا يختلف في آليات عمله عن الخطابات الأخرى، انطلاقا من استثمار مفاهيمها في دراسة الخطاب الأدبيّ كمفهوم الفعل الكلاميّ، التّواصل، السّياق، التّعاون...إلخ. يرى جميل حمداوي أنّ النّصّ الأدبيّ: خطاب، لغويّ وظيفيّ، إبلاغ تواصليّ، تخاطب وتبادل، تلفّظ في سياق، أفعال كلاميّة، قصديّة، تفاعل، حجاج، استلزام حواريّ،...إلخ[1]، وبهذا تكون:« التّداولية اليوم هي مقاربة من مقاربات النّصّ الأدبيّ.»[2] و تتحوّل- التّداوليّة- من اللّغة إلى الأدب انطلاقا من مفهوم التّواصل:« الخطاب الأدبيّ يقوم على منشئ ومتلقّ، بينهما رسالة (هي النّصّ الأدبيّ) تحكمها قواعد نظام علامي محدّد(هو نظام اللّغة الطّبيعيّة تضاف إليه تقاليد ومواضعات أدبيّة معيّنة) يدركها

[1] ينظر: جميل حمداوي، التّداوليّات وتحليل الخطاب، ص 9- 33.

[2] فيليب بلانشيه (نقلا عن دومينيك مانغنو التّداوليّة للخطاب الأدبيّ)، التّداوليّة من أوستن إلى غوفمان، ص197.

* ينظر في ذلك في الفصل الثّانيّ.

كلّ من المنشئ والمتلقّي، وهما يتعاملان مع ذلك الخطاب، كلّ من جهته، في ذلك الموقف التّواصليّ الخاصّ الّذي يمكن أن نسمّيه بالموقف الأدبيّ، وإلّا لما كان بالإمكان الحديث عن تواصل أدبيّ.»[1]

الأدب فعل لغويّ، وهذا الفعل الأدبيّ هو إنجاز غير منته، يمتلك قوّة في سياقات متعدّدة عن طريق أشخاص يختلفون زمانا ومكانا خلال كلّ قراءة، وينتج عن هذا الفعل الإنجازيّ الفعل التّأثيريّ عن طريق تقدير المخاطَب لذلك العمل الأدبيّ فيستحسنه أو يرفضه أو يفسّره. ولسيرل رأي آخر هو أنّ الأفعال الكلاميّة في الخطاب التّخييليّ أو الاستعاريّ هي أفعال تأثيريّة غير إنجازيّة:« الخطاب الكاذب يتّصف بكونه غير خاضع لشروط التّعبيريّة أو لشروط المواضعة أو شروط القصد. لأجل ذلك لا يمكن اعتبار الكذب فعلا إنجازيّا، بقدر ما يعتبره فعلا تأثيريّا.»[2]

يتمتّع مقام التّلفظ بخصوصيّة تفرده عن المقامات الأخرى، يضمّ عناصر زمانيّة ومكانيّة...إلخ، وإن كان هذا معلوما في الاتّصال المباشر بين مخاطِب ومخاطَب، فإنّه مبهم في الأدب؛ الّذي وجد ليقرأ، أو ليسمع، أو لنفعل به أشياء، كما يترتّب عنه الكثير في حياتنا، فهذه القراءة هي المسافة الفاصلة بين الأديب والمتلقّي، والّتي أوجدت حدودا زمانيّة ومكانيّة فاصلة بينهما لهذا:« ذهب منظّروا اللّسانيّات التّلفّظيّة وتحليل الخطاب إلى الاستعاضة عن المفهوم السّكونيّ للمقام بمفاهيم أكثر حركيّة في التّعبير عن مثل هذه المقامات يصبح من خلالها مقام التّلفّظ الخاصّ بصاحب الخطاب هو مقام التّأليف، أمّا مقام التّلفّظ الخاصّ بالمتلقي هو مقام القراءة، ولكل مقام إستراتجيّته الخاصّة الّتي تدخل في تكوينها عدّة أجزاء ومكوّنات.»[3]

في الحقيقة كنّا نمارس التّداوليّة قبل أن نعرفها، فكثيرا من الإيحاءات ومختلف الألوان البلاغيّة جرت على الألسنة في اللّغة العاديّة. والكثير من الدّراسات ترصد تلك الخصائص للحكم على أدبيّة الأدب، ثم أصبحت التّداوليّة الأدبيّة معيارا للحكم على أدبيّة الأدب، إنّ:« كثيرا من الخصائص الّتي ينظر إليها على أنّها تصنع" أدبيّة" النّصوص الأدبيّة، أو" شعريّتها" على حدّ قول ياكبسون، ليست في الحقيقة خصائص تنفرد بها اللّغة الأدبيّة دون غيرها من أنماط الاستعمال اللّغويّ. فالأبنية السّرديّة مثلا، ليست سمة خاصة بالرّواية، ولكنّها موجودة أيضا فيما نتبادله أو نسمعه من الحكايات والقصص

[1] محمد لطفي الزّليطني، نحو منهجي تداوليّ في تحليل الخطاب، ص58.

[2] جواد ختام، التّداوليّة أصولها واتّجاهاتها، ط1، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، عمّان2016. ص96.

[3] محمود طلحة، تداوليّة الخطاب السّرديّ، ص42.

اليوميّة، وكذلك الأبنية العروضيّة أو الإيقاعيّة، نصادفها في القصائد الشّعريّة وغيرها من المنظومات التّعليميّة. وعلى النّحو ذاته، فإنّ الألوان البلاغيّة، من صور ومجازات ومحسّنات لفظيّة أو معنويّة، سمة مشتركة بين النّصوص الأدبيّة وغيرها من أنماط الاستعمال اللّغويّ غير الأدبيّ.»[1]

إنّ هذه المقاربة لتحليل النّصوص وتفسيرها تتمّ على مستوى الفهم والتّأويل عند القارئ، فهو الّذي يضفي حركيّة عليها، وبهذا يتحقّق التّواصل بينه وبين النّصّ، وللوصول إلى درجة الفهم والتّأويل لابدّ من وجود قرائن تداوليّة تتمثّل في السّياق والمقاصد: « نتوقّف عند جوانب الغرابة والعدول الّتي في هذا الخطاب، حتّى وإن كنّا لا نقبلها في أنماط الخطاب المحكيّ العاديّ، فنحاول تفسيرها وتأويلها، ونرى فيها ظواهر نفترض أنّ المنشئ قصدها لأغراض معيّنة، فنسعى إلى كشفها والوقوف عندها نظرا وتمحيصا.»[2] وهذا ينظر إليه من باب مبدأ التّعاون*، واستعداد المخاطَب لتقبّل المخالفات، فالأدباء يتعمّدون ذلك، أو يتمتّعون بالحريّة في طريقة استثمار كلّ أشكال التّجاوزات، وفي المقابل المخاطَب مطالب بالتّعاون إلى أقصى الحدود؛ لأنّه مدرك أنّ تلك التّجاوزات مقصودة. كما تستند القدرة على التّأويل عند القارئ إلى كفاءته ومعارفه(الكفاءة التّداوليّة)؛ لأنّ تأويل المقاصد يحتاج إلى معرفة حيثيّات ورود الخطاب، وواقع المخاطِب.

أمّا فيما يخصّ الأفعال الكلاميّة وإنجازيّتها، فلو أخذنا الثّلاثيّة فقد يكون المقصود بشخصية عمر الأديب الحقيقيّ الّذي يتصوّر ذاته في ذلك الموقف فيقول:" أتخيّل نفسي فقيرا أنهكني الجوع مع زملائي في إحدى مدارس تلمسان نحاول انتزاع رغيف خبز، أدعوك أيّها المتلقّي أن تشاركني هذا الموقف، فتتأمّل التّفاصيل. فهذه المشاركة تغيّر نظرتنا للعالم وتقييمنا للأشياء هذا مكمن الفعل الإنجازيّ التّأثيريّ. والأمر ذاته ينطبق على شاعر في قصيدته: « أنا الشّاعر أتخيّل نفسي في هذا العالم المتخيّل، وأدعوك، أيّها المتلقّي إلى أن تتصوّر معي هذا العالم الّذي أقول عنه، أو هذه التّجربة الّتي أقول فيها: كذا وكذا.»[3]

---

[1] محمد لطفي الزّليطني، نحو منهج تداوليّ في تحليل الخطاب الأدبيّ، ص57.

[2] المرجع نفسه، ص60. وينظر أيضا: فرناند هالين، التّداوليّة، ترجمة: زياد عز الدّين العوف، مجلّة الآداب العالميّة، العدد125، 2006. ص75.

* تمّ التفصيل في هذا المبدأ في الفصل الأوّل.

[3] محمد لطفي الزّليطني، المرجع نفسه، ص 72.

إضافة إلى أنّ التّواصل غير المباشر في العمل الرّوائيّ، ينطلق من مفهوم القارئ، حيث يضع الكاتب في ذهنه قارئا يشاركه – كما ذكرنا سابقا– وهذا القارئ كأنّما يجعل ما يحدث في النّصّ حقيقة لها تمثيل في الواقع؛ فالشّخصيّة مثلا في العمل الأدبيّ تتمتّع بخصائص الإنسان الواقعيّ يماثله في الصّفات والتّجارب، تقوم بحكي حكاية وأثناء القيام بذلك تنجز الأفعال(طبعا في الحكي).

يؤوّل النّصّ الأدبيّ إلى فعل كلاميّ كليّ إذا كان فعلا يملك السّياق التّداوليّ الحقيقيّ: « إنّ متواليات أفعال الكلام الإنجازيّة، مثلها مثل الأفعال المجرّدة تستدعي وضع تخطيط وتأويلا، أعني أنّ بعض المتواليات الخاصّة بأفعال الكلام الإنجازيّة المتنوّعة تنوي قصدا وتخطيطا وتفهم– ومن ثمّ لها وظيفة مجتمعيّة– كما لو كانت فعلا إنجازيّا واحدا. ومثل فعل الكلام هذا ينجز بواسطة متوالية من الأفعال الكلاميّة، يجوز أن نطلق عليه الفعل الكلاميّ الشّامل أو الفعل الكلاميّ الكلّيّ.»[1] ومن هنا فإنّه:« يمكن لرواية تصف أوضاعا اجتماعيّة أو مشكلات اجتماعيّة تعاني منها طبقات معيّنة من المجتمع أن تقوم على فعل كلاميّ أكبر هو النّقد الاجتماعيّ.»[2]

اقترح إلفي بولان(Elfie Poulain) مقاربة أخرى تختلف عن تلك الّتي ذكرناها، تسعى إلى فهم ديناميّة الفعل الرّوائيّ، والسّلوك الاجتماعيّ، ووضع الشّخصيّات في سياق تواصلها الاجتماعيّ:« يتعلّق الأمر بوصف الآثار التّداوليّة الموجودة داخل النّصّ كما تتمظهر بين المتخاطبين، أي بين الشّخصيّات. كما يتّصل الأمر بالتّساؤل عن المعنى الّذي تمنحه الشّخصيّات للعلامات(...) إبراز الاستخدام الّذي قامت به الشّخصيّات لتلك العلامات في سياق ظرفيّ ممنوح: سياق تلك الشّخصيّات نفسه، يعني داخل السّياق الّذي تتحرّك فيه الشّخصيّات، وتنتج فيه المعنى وآثار المعنى.»[3]

يتعيّن على هذه المقاربة أن تحيط بمرجعيّات الخطاب وسياقه، والخطاب السرديّ على وجه الخصوص، لتحديد ماهيته انطلاقا من منتجه إلى متلقّيه، وفحص مجموعة من الشّروط المتعلّقة بعناصر تشكيله:« لعلّ أفضل وأبرز ضرب من النّصوص الأدبيّة الّتي يحبّذ التّحليل التّداوليّ الاشتغال عليها بآليات مفتوحة، هو النّصّ السّرديّ الّذي يعتبر هو الآخر نسيجا لغويّا محكما من

[1] فان دايك، النّصّ والسّياق، استقصاء البحث في الخطاب الدّلاليّ والتّداوليّ، ترجمة: عبد القادر قنيني، دط، دار أفريقيا الشّرق، المغرب2000. ص 316.

[2] محمد لطفي الزّليطني، نحو منهج تداوليّ في تحليل الخطاب الأدبيّ، ص79.

[3] إلفي بولان، المقاربة التّداوليّة للأدب، ص30.

العناصر، تشكّله وتميّزه كالشّخصيّات والمكان والزّمن والأحداث والوصف والحوار وتعدّد المستويات الأسلوبيّة.»[1] وهذه العناصر تتداخل لتكوّن شبكة من العلاقات.

2- تداوليّة الخطاب الأدبيّ المترجم:

2-1- مفهوم التّرجمة:

2-1-1- التّرجمة بين الفنّ والعلم:

قبل التّطرّق إلى مفهوم التّرجمة ألقينا نظرة على مجموعة من المؤلّفات حول التّرجمة، فكانت عناوينها تتراوح بين فنّ التّرجمة، وعلم التّرجمة. وهذه الازدواجيّة دفعت بنا إلى البحث عن مكمن الاختلاف، وعن أسبابه[2].

لقد تعدّدت الآراء واختلفت حول ماهية التّرجمة، فهناك من يعتبرها فنّا، والبعض الآخر يعتبرها علما، إذ راح الفريق الأوّل يستدلّ على أنّها تستند إلى الموهبة الأدبيّة وليس إلى القدرات اللّغويّة، ودليلهم على ذلك وجود ترجمات سيّئة رغم صحّتها لغويّا. في حين إنّ الفريق الثّانيّ يؤكّد على وجود علم التّرجمة في إطار نظريّة قياسيّة مطلقة تقوم بتقييدها وفق مجموعة من القواعد، بمعنى التّرجمة وفق نظريّة واحدة، وشاملة. وهذا الطّرح الازدواجيّ دفع نيومارك(Newmark) إلى الاعتراف بوجود التّرجمة كعلم وفنّ:« التّرجمة – من النّاحية الواقعيّة والعمليّة – تكون علما حينما لا يكون هناك غير تأويل واحد صحيح وموضوعيّ للكلمة أو العبارة أو الجملة...إلخ، وتكون فنّا حينما يكون هناك أكثر

[1] عبد القادر عواد، آليات التّداوليّة في الخطاب، الخطاب الأدبيّ أنموذجا، مجلّة علامات، ج74، مج19، 2011. ص60.

[2] ومن تلك المراجع نجد:

- محمّد عناني، فنّ التّرجمة.
- محمّد عبد الغنيّ حسن، فنّ التّرجمة في الأدب العربيّ.
- محمّد الدّيداويّ، علم التّرجمة بين النّظريّة والتّطبيق.
- فهمي شما، التّرجمة علم وفنّ واختصاص.
- فيلين ناعوموفيتش، علم التّرجمة المعاصر، ترجمة: عماد صحينة.

من بديل متساو لها.»[1] ووجود أكثر من بديل واحد يطرح على مستوى التّرجمة الأدبيّة يحتاج إلى مهارات وقدرات فنّيّة.

كما تعرّف التّرجمة بالقول على أنّها:« فنّ تطبيقيّ، وأنا أستخدم كلمة فنّ بالمعنى العامّ، أي الحرفة الّتي لا يمكن أن تتأتّى إلّا بالدّربة والمران والممارسة استنادا إلى موهبة. وربّما كانت لها جوانب جماليّة؛ بل ربّما كانت لها جوانب إبداعيّة. ومعنى ذلك لا يمكن لأستاذ في اللّغة أو في الأدب، أو في كليهما، أيّا كان حظّه من العلم بالإنجليزيّة أو بالعربيّة (بل أيّا كان حظّه من العلم بنظريّات اللّغة) أن يخرج لنا نصّا مقبولا مترجما عن إحدى اللّغتين دون ممارسة طويلة للتّرجمة.»[2] وفي هذه الحالة إذا كانت التّرجمة تستند إلى موهبة، فهذا يعني أن يكون التّعويل الكليّ منصبّا على مهارات قويّة للمترجم إن لم نقل عصاميّة المترجم، وهذه الفكرة تقودنا إلى إشكاليّة أخرى مفادها: ما الفائدة من الدّربة والمراس مادامت التّرجمة تستند إلى الموهبة؟ إذ لا يحتاج الإنسان الّذي يمتلك موهبة في مجال ما إلى التّدريب على ممارستها فهي موجودة بوجوده. ثمّ ما الفائدة من القول بعلم التّرجمة؟

وفي هذا الصّدد يضرب حسن عطيّة طمّان مثالا عن الشّاعر، و يقول:« ننظر إلى التّرجمة لا على أنّها فنّ صرف أو علم صرف؛ بل على أنّها فنّ يهذّبه العلم أو علم يقوم على توظيف الفنّ، إذ إنّنا لو سلّمنا بأنّ التّرجمة فنّ صرف– كفنّ الشّعر مثلا– انتفت أهمّيّة التّدريب فأصبح لا قيمة له إن هو لم يصادف شخصا يمتلك موهبة، فمن غير المعقول أن يتدرّب أحد على كتابة الشّعر(...) التّرجمة علم صرف، فإنّ ذلك يقتضي– بطبيعة الحال– وجود أسس دقيقة(..) بحيث لا يكون هناك اختلاف بين ترجمة شخص وآخر(...) ولكن الواقع الحالي يناقض هذا.»[3]

كما تعني التّرجمة في مفهومها البسيط والشّائع بأنّها:« مصطلح يستعمل لوصف عمليّة تغيير اللّغة لنصّ ما(...) نشاط بشريّ مارسه الإنسان منذ عهود قديمة لخلق أنواع متنوّعة من العلاقات التّجاريّة والسّياسيّة...إلخ بين الشّعوب الّتي تتحدّث لغات مختلفة.»[4] فهي سبيل من سبل التّواصل

[1] محمّد حسن يوسف، كيف تترجم؟!، ط1، شركة معاهد التّدريب والتّعليم الأهليّ، الكويت 1997. ص66.

[2] محمّد عناني، فنّ التّرجمة، ط5، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر، لونجمان، القاهرة 2000. ص2. ينظر أيضا: إيناس يوسف، هبة مسعد، مبادئ التّرجمة وأساسيّاتها، دط، دب، دت، 2005. ص15.

[3] حسن عطية طمان، المرجم مؤهّلاته وإعداده، مجلّة الفيصل، العدد239، السّعوديّة 1996. ص 23.

[4] الحسين سليم محسن، مقدّمة في التّرجمة، ترجمة: مجدي عبد الله الشّلفوح، مجلّة كليّة الآداب، العدد6، ص346.

اللّغويّ لتنظيم العلاقات، وتأمين الأغراض...إلخ

إنّ جلّ التّعريفات المقدّمة حول مفهوم التّرجمة تقتصر على مهمّة المترجمين، فحينما نقول: ترجمة، تتبادر إلى أذهاننا تلك الممارسة المتعلّقة بالنّاطقين بأكثر من لغة، ولكن كيف نفسّر قولنا في كثير من الأحيان: ترجمة الأفكار، ترجمة المشاعر، ترجمة الأحاسيس، تحويل الأفكار وإظهارها بلغة الجسد أو كتابة...إلخ؟ حيث إنّ كلّ ذلك مرتبط بالتّعبير، والّذي يعني في الاصطلاح :« ترجمة الأفكار والمشاعر والأحاسيس والمشاهدات والخبرات الحياتيّة شفاهة وكتابة بلغة سليمة، وفق نسق فكريّ معيّن.»[1] ويدعم صالح علماني هذه الفكرة ويقرّ بشموليّة التّرجمة، حيث يرى أنّ مفهوم التّرجمة هي ممارسة من طرف جميع النّاس لكن ليست بالمستوى الأرقى من ترجمة الفنون والآداب.[2]

ترى كريستين دوريو(Christine Durieux) أنّ معظم التّعريفات المقدّمة حول التّرجمة سطحيّة ومجرّدة، تركز على اللّغات، وفكّ رموزها، في حين ترى أنّ التّرجمة هي إبداع مستمرّ لهذا ركّزت على التّرجمة كعمل وليس كنتيجة، أي أنّها عمل يستلزم النّطق باللّغة.[3]

2-2- التّرجمة الآليّة:

شهد العالم تطوّرات علميّة، ومع احتكاك اللّغات ازدادت الحاجة إلى التّرجمة لزيادة الاتّصال ووفرة المعلومات، وتزامن هذا التّطور العلميّ مع حدوث ثورة تكنولوجيّة، ومعلوماتيّة تمّ استغلالها في مختلف وسائل الاتّصال بين النّاس. وفي ظلّ هذه الحركة العلميّة ظهرت التّرجمة الآليّة كحاجة ملحّة يتزايد الطّلب عليها في إطار العولمة. ويقصد بها: «عمليّة تحويل نصّ مكتوب أو منطوق من لغة إلى أخرى باستخدام تقنيّات متطوّرة عن طريق أجهزة إلكترونيّة وحواسيب.»[4] وبرامج حاسوبيّة معدّة لهذا الغرض. فالتّرجمة الآليّة فرع من مجال الذّكاء الاصطناعيّ الّذي يبحث في جعل الحاسوب قادرا على

[1] سعاد عبد الكريم الوائليّ، طرائق تدريس الأدب والبلاغة والتّعبير بين التّنظير والتّطبيق، ط1، دار الشّروق للنّشر والتّوزيع، الأردن2004. ص77.

[2] ينظر: صالح علماني، التّرجمة الأدبيّة مهمّة شاقّة لكنّها ممتعة، مؤتمر التّرجمة وإشكالات المثاقفة، ط1، الدّوحة2014. ص135.

[3] ينظر: محمود عبد الغنيّ، معجم المصطلحات الأساسيّة في التّرجمة الأدبيّة، إنكليزيّ، فرنسيّ، عربيّ، ط1، منشورات المتوسّط، بغداد2017. ص58.

[4] علي يحي السّرحانيّ، التّرجمة الآليّة، النّدوة الدّوليّة(اللّغة العربيّة وآدابها: نظرة عامّة)، قسم اللّغة العربيّة جامعة كيرالا، الهند 2015. ص164.

التّرجمة من لغة إلى أخرى[1]. غير أنّه يجب التّفريق بين صنفين من التّرجمة هما: التّرجمة الآليّة(MT) والتّرجمة المستعانة (MAT)، الأولى هي اختصار لــ (machine translation)، وتعني البرامج القائمة بذاتها دون أن يتدخّل المترجم، بينما الثّانية هي اختصار لــ(machine aided humain translation) ويقصد بها التّرجمة الّتي ينتجها الإنسان بمساعدة الحاسوب؛ هي امتداد لقدرت المترجم.[2] بعد تحديد الحدود بين التّرجمتين ينبغي أن نشير إلى المراحل الّتي تمرّ بها التّرجمة الآليّة:[3]

الأولى: يتمّ إدخال النّصّ في الحاسوب بطرق مختلفة، غالبا مع إجراء تحرير محدود مثل وضع علامات على الكلمات الّتي لا تترجم، كأسماء العلم.

الثّانية: تبدأ مرحلة تحليل النّصّ صرفيّا ونحويّا ومعجميّا– دلاليّا–، وهو ما يشبه محاولة المترجم البشريّ فهم النص(التّحليل اللّغويّ).

الثّالثة: بعد ذلك تتمّ عمليّة النّقل المعجميّ والنّحويّ من اللّغة الأصل إلى اللّغة المترجم إليها، حيث توضع المقابلات المعجميّة والنّحويّة، مثل الكلمات المقابلة والمعلومات الصّرفيّة والنّحويّة، مثلا:" معلّمة– مفرد– فاعل"" قرأ – ماض– لفاعل مفرد مؤنّث" " كتاب– جمع– مفعول به".

الرّابعة: يقوم الحاسوب بعد ذلك بعمليّة التّوليف أو التّوليد، أي إنتاج الجمل في اللّغة المترجم إليها وفق قواعدها النّحويّة والصّرفيّة، بحيث ترتّب الكلمات وفق قواعد النّحو وتصاغ وفق القواعد النّحويّة والصّرفيّة، فتصبح مجموعة الكلمات السّابقة في أعلاه:" قرأت المعلّمة/ معلّمة كتبا".

الخامسة: يخرج الحاسوب لنا النّصّ المترجم، والّذي يحتاج عادة إلى مراجعة بشريّة وتنقيح قبل أن تكون التّرجمة صالحة للنّشر. قد يُكتفى بالتّرجمة" الخشنة" أو الخامّ RAW.

---

[1] عمرو محمد فرج مذكور، التّرجمة الآليّة مفهومها، مناهجها، نماذج تطبيقيّة في اللّغة العربيّة، مجلّة كليّة دار العلوم، العدد 26، 2011. ص 894.

[2] ينظر: عبد النّبيّ ذاكر، ترجمة الآلة ومراجعة الإنسان، مجلّة علامات، العدد22، المغرب 2004. ص60.

[3] محمود إسماعيل صيني، التّرجمة الآليّة، مجلّة الفيصل، العدد239، السّعوديّة 1996. ص31.

2-2- 1- مشكلات(صعوبات) التّرجمة الآليّة:

تطرح التّرجمة العديد من التّساؤلات حول دقّتها وأمانتها، وأتت التّرجمة الآليّة لتعميق تلك المشكلة وطرح الكثير من الصّعوبات، إذ تكمن في استحالة تقليد العمليّات العقليّة الّتي يستعملها الإنسان عند استخدامه اللّغة. وقد يكون من السّهل على الآلة أن تقوم بترجمة جمل بسيطة، أو تطبيقها على نصوص مكتوبة، لكن يصعب أو يكاد يستحيل أن نترجم نصوصا أدبيّة أو دينيّة تتميّز لغتها بالصّعوبة، فهذه الصّعوبة تطرح على المستوى المعجميّ حينما يتعلّق الأمر بالمشتركات اللّفظيّة(استعمالات متعدّدة لكلمة واحدة)، أمّا بالنّسبة للمستوى النّحويّ فتكمن الإشكاليّة في تحديد نوع الكلمة إن كانت صفة أم ظرفا...إلخ، وكلّ ذلك لا يتجاوز حدود اللّغة، لكن على الطّرف الآخر نجد صعوبات من نوع آخر خارجة عن تلك اللّغة حينما يتعلّق الأمر بمعلومات خارج اللّغة، وفي هذه الحالة تكتفي بمقابلة الكلمة بكلمة في اللّغة الهدف، كما تطرح الصّعوبة أيضا على مستوى المنطوق لأنّ أغلب الجهود انصبّت حول التّرجمة الآليّة للنّصوص المكتوبة. ويمكن إجمال تلك الصّعوبات في هذا القول:« تعدّد المعاني والمشتركات اللّفظيّة، التّعبيرات الاصطلاحيّة – وتشمل الأمثال السّائرة–، الجمل الطّويلة والتّراكيب المعقّدة، العلاقات اللّغويّة الّتي تتعدّى حدود الجملة، مثل الضّمائر العائدة وأسماء الإشارة أحيانا، تعرف حدود الكلمات والجمل والكلمات المنطوقة بطرق وأصوات مختلفة، ووظائف كالنّبر والتّنغيم، إيحاء الكلمات والعبارات، لأنّ التّرجمة الآليّة تستخدم أساسا لترجمة النّصوص الواقعيّة، فمن بين هذه المشاكل ما يعتمد على المعلومات والخبرات الشّخصيّة فما يتعلّق بالسّياق العام وسياق الموقف وغيرهما ممّا لا يمكن تحديده أو برمجته حاسوبيّا.»[1] رغم المشاكل الّتي ذكرناها لكنّها لا تقلّل من شأن التّرجمة الآليّة، وعلى المختصّين العمل على تذليلها.

2-3- شروط المترجم:

إنّ مهمّة المترجم لا تخلو من الصّعاب وتحمّل المسؤوليّة، فهو دائما عرضة للنّقد أكثر من المدح. ويأتي المترجم في منزلة الكاتب، وتزداد الصّعوبة والحذر عند ترجمة نصّ أدبيّ، حيث يجب عليه أن يكون في مستوى قيمة ذلك الأدب: « المترجم هو كاتب عمله يتمثّل في صياغة الأفكار في كلمات موجّهة إلى القارئ. وقد يميّز البعض الفرق بينه وبين الكاتب الأصليّ لأيّ نصّ بأنّ الأفكار الّتي

[1] محمود إسماعيل صيني، التّرجمة الآليّة، ص 31.

يصوغها ليست أفكاره بل أفكار أناس آخرين، ولعلّ البعض يرى أنّ نقل أفكار الآخرين أمرا سهلا لا يتعدّى مجرّد السّرد لهذه الأفكار، وإن كان هناك اتّفاق مع رأي البعض الّذي يذهب بأنّ نقل أفكار الغير أصعب من التّعبير عن آراء المرء الأصليّة. فالكاتب الّذي يصوغ أفكاره الخاصّة يتمتّع بالحريّة في تطويع اللّغة لتلاءم هذه الأفكار.»[1]

هناك عُدة- إن صحّ التّعبير- يجب أن تكتمل عند المترجم، متمثّلة في المؤهّلات العلميّة، واللّغويّة، والفنّيّة لتكتمل عمليّة التّرجمة: « يجب على المترجم امتلاك العديد من الصّفات الّتي تمكّنه من أن يصبح مترجما بارعا منها: معرفته باللّغة المصدر، معرفته باللّغة الهدف، معرفته بالنّصّ المترجم، استعمال معرفته الخاصّة.»[2] ويقصد بمعرفة اللّغة المصدر واللّغة الهدف مراعاة مستويات اللّغة وبنيتها وغيرها، و أن يكون مطّلعا على مفردات تلك اللّغة ومصطلحاتها، وملمّا بثقافة تلك اللّغة حتّى يختار ما يتناسب وثقافة اللّغة الّتي ينقل إليها. بينما يقصد بمعرفته بالنّصّ المترجم هو الاختصاص في الموضوع المترجم، أي أنّ الموضوع يناسب اختصاصه، وتلك الخلفيّة اللّغويّة غير كافية بل لابدّ من اطّلاع شامل بمادّة الموضوع الّذي يترجمه:« وذلك أنّ كلّ علم من العلوم الأساسيّة والتّطبيقيّة قد اتّسعت دروبه، وتشعّبت مسالكه، وتنامت طلحاته، فلا يعرف مدلولاتها إلّا من كان مختصّا بذلك متابعا لمستجدّاته»[3] في حين يقصد باستعمال المعرفة الخاصّة القدرة على تقمّص كلام المؤلّف الأصليّ في أقصى حدوده؛ أي أداء دور المؤلّف، ووضع نفسه في موضع المؤلّف.

في الحقيقة حتّى وإن توافرت الشّروط السّابقة فلن تكفي لإخراج ترجمة كاملة وتامّة، فإتقان اللّغة، وتوفّر شرط التّخصّص، والإلمام بثقافة اللّغة المنقول إليها لا تمنح شهادة الكفاءة للمترجم، ولا يتأتّى ذلك إلّا بوجود رغبة نفسيّة تنتج عن وجود ألفة بين المترجم وما يترجمه، ضف إلى ذلك الحسّ الأدبيّ. و نقل محمّد حسن يوسف قولا لنابوكوف (nabocov) يؤكّد فيه على مسألة الحسّ الأدبيّ:«

[1] إيناس يوسف، هبة مسعد، مبادئ التّرجمة وأساسيّاتها، ص 15. ينظر أيضا: محمّد عناني، فنّ التّرجمة، ص 6.

[2] الحسين سليم محسن، مقدّمة في التّرجمة، ص ص352، 353.

[3] أبو جمال قطب الإسلام نعماني، التّرجمة: ضرورة حضاريّة، دراسات الجامعة الإسلاميّة شيتاغونغ، المجلّد الثّالث، ديسمبر 2006، ص190.

لكي يكون للمترجم التّأثير الكامل فيجب أن يتمتّع في النّهاية بقدر من الموهبة تتساوى مع قدر الموهبة الّتي يتمتّع بها المؤلّف الّذي يختاره»[1]

ويشترط على المترجم أيضا أن يكون صاحب بيان في اللّفظ والتّركيب؛ أي إظهار المقصود بلفظ سهل، و حسن، وجيّد السّبك، لا غرابة فيه ولا تنافر في حروفه. كما يتوخّى وضع الكلمات مواضعها غير مخالفة للقياس اللّغويّ، كما يستطيع مراعاة تحويلات التّرجمة؛ أي ليس هناك تقابل تامّ بين الوحدات المترجمة، ومن تلك التّحويلات إدراج عنصر جديد غير موجود في النّصّ الأصليّ (الإضافة)، أو حذف بعض العناصر بهدف التّوضيح وسدّ الثّغرات، وليست خيانة للنّصّ الأصليّ؛ لأنّ اللّغة الهدف في بعض الأحيان تفرض قيودا يتطلّبها السّياق، وفي هذه الحالة القارئ لا يشعر بغرابتها لأنّها صيغت داخل قوالب أو تراكيب ملائمة يستسيغها، ولا يشعر بالثّغرات نتيجة الانتقال من لغة إلى أخرى، وتبقى المطابقة في الأفكار. ومن هنا تظهر قدرة المترجم إذ يعرف متى وكيف يلتزم، ومتى وكيف يخرج[2] وفي هذه الحالة يتسرّب مفهوم التّرجمة الفنّيّ إلى مفهوم المترجم(المترجم فنّان)، فهذا الالتزام والخروج يُظهر الجانب الفنّيّ للمترجم، ويؤكّد على عدم قابلية التّرجمة وفق قواعد مطلقة.

يجد المترجم نفسه أمام نارين، من جهة رغبة الوفاء وشكوك الخيانة من جهة ثانية، وهنا يجري الحديث عن شرط الموضوعيّة لأنّ المترجم يعكس قراءته في النّصّ الّذي يترجمه، وهذا يجعله أكثر احتراسا، لذا: « يتحتّم على المترجم ألّا يضمّ انطباعاته الخاصّة إلى الرّسالة، أو يحرّفها لتناسب تطلعّاته الفكريّة والانفعاليّة. ولابدّ له أن يبذل كلّ جهد ممكن لتقليل أيّ تدخّل من جانبه لا يتناغم مع قصد وفحوى المؤلّف والرّسالة الأصليّة وذلك إلى أدنى حدّ ممكن».[3]

ويزيد مترجم الرّوايات عن الشّروط السّابقة شرطا آخر هو مراعاة موضوع اللّهجات(الكلمات العاميّة) الّتي تعتبر من خصائص الرّوايات المعاصرة الّتي تتميّز بطابعها المحليّ.

---

[1] محمّد حسن يوسف، كيف تترجم؟!، ص29.

[2] ينظر: محمّد أحمد منصور، التّرجمة بين النّظريّة والتّطبيق، مبادئ ونصوص وقاموس للمصطلحات الإسلاميّة، ط2، دار الكمال للطّباعة والنّشر، القاهرة 2006. ص 44.

[3] محمّد حسن يوسف، المرجع نفسه، ص30.

بعد هذا العرض لمجموعة من الشّروط المتعلّقة بالمترجم، تبيّن لنا في الأخير أنّه لا يقوم بعمل واحد بل بأعمال متنوّعة تحت ما يسمّى بالتّرجمة؛ إذ نجده يغوص في بحر اللّغة، والثّقافة، و يكون أديبا، ومبدعا، ومختصّا...إلخ وبهذا تكون التّرجمة مهن وليست مهنة واحدة يحترفها المترجم.

3- ترجمة الحوار الرّوائيّ:

3-1- تقنيّات التّرجمة:

3-1-1 التّرجمة المباشرة: (la traduction directe) يعتمد عليها عندما تكون اللّغة المنقول منها قريبة من اللّغة المنقول إليها في المعنى والمبنى(التّركيب والمفهوم). وتتمثّل تقنيّاتها فيما يلي:

3-1-1-1الاقتراض:(l'emprunt)[1] هو نقل المفردة كما هي إلى اللّغة الهدف، ويلجأ إليها المترجم عندما يتعذّر عليه إيجاد المقابل، لافتقار اللّغة الهدف إلى مقابل، أو لوجود خصوصيّات محليّة، فأحيانا تفقد اللّفظة خصوصيتها عند ترجمتها، أو لأسباب إنشائيّة بلاغيّة. وهو :« أبسط أساليب التّرجمة(...) ويأتي في مقدّمة أساليب التّرجمة الّتي وضعها فيني ودرابلني.»[2] والأمثلة عن ذلك كثيرة في المدوّنة، والّتي سنراها لاحقا

3-1-1-2 النّسخ أو المحاكاة: (le calque)[3] هو نوع من الاقتراض، أو امتداد دلاليّ له؛ بمعنى اقتراض صيغة تركيبيّة موجودة في الأصل، وذلك بترجمة العناصر المكوّنة لهذا التّركيب (ترجمة حرفيّة للعناصر المكوّنة له) مثل sa compassion réchauffe le cœur. فنقول تعاطفه يثلج صدري وليس أدخل الدّفء إلى قلبي، أو تعاطفه يدفئ قلبي. في هذه الحالة لا يتمّ نقل الوحدات المعجميّة بل، العبارات مع احترام بنية التّركيب في اللّغة الهدف. ويأتي النّسخ على نوعين:« نسخ بنيويّ(calque de structure مثل science –fiction = علم الخيال أو نسخ تعبيريّ calque d'expression)»[4] والمثال الّذي سيق سابقا يوضّح النّسخ التّعبيريّ.

---

[1] ينظر: محمود عبد الغنيّ، معجم المصطلحات الأساسيّة في التّرجمة الأدبيّة، ص36.

[2] إنعام بيوض، التّرجمة الأدبيّة مشاكل وحلول، ط1، دار الفارابيّ، الجزائر2003. ص ص67، 133.

[3] ينظر: محمود عبد الغنيّ، المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[4] إنعام بيوض، المرجع نفسه، ص ص 72، 73.

3-1-1-3 التّرجمة الحرفيّة(la traduction littérale)[1]: هي تقنية تعتمد على استبدال كلمة بكلمة أخرى موازية لها في لغة النّصّ الهدف، وتكون شائعة في اللّغة الهدف. بمعنى احترام الخصوصيّة الشّكليّة في النّصّ الأصليّ، تركيبا ودلالة[2]، ولا يستخدم المترجم التّكييف في نقل ملامح الثّقافة والحضارة. ولكنّ هذه التّقنيّة قد تحرّف المعنى الصّحيح كما يحدث عند ترجمة جملة: Il a du pain sur la planche إذا ترجمت بـــ: لديه خبز على الرّفّ تكون هذه التّرجمة غير مطابقة للمعنى الصّحيح الّذي هو: لديه عمل كثير.

3-1-2 التّرجمة غير المباشرة: ومن تقنيّاتها ما يلي:

3-1-2-1 الإبدال: (la transposition): تغيير عنصر من أقسام الكلام أو ترتيبه بعنصر آخر مع الحفاظ على المعنى الإجماليّ، وتستعمل في الجانب الأسلوبيّ، وهذا ما تتطلّبه اللّغة المنقول إليها. ومن أوجهه إبدال جملة اسميّة في النّصّ الأصليّ إلى جملة فعليّة. ويكون إمّا ضروريّا عند انعدام صيغ أخرى، أو اختياريّا عند وجود عدّة وجوه لنفس العبارة.[3]

3-1-2-2 التّعديل أو التّطويع (la modulation) [4]: تغيير وجهة نظر أو في درجة الوضوح في الصّيغة الأصليّة، كاستعمال الجزء للتّعبير عن الكلّ، أو المجرّد للتّعبير عن الملموس، ويكون التّعديل اختياريّا أو ضروريّا. فالتّعديل الضّروريّ هو الموجود في المعاجم، والنّحو، أمّا الاختياريّ[5] مثل je n'ai plus soif لم أعد عطشان أو ارتويت.

3-1-2-3 التّكييف أو الأقلمة (l'adaptation): نقل موقف معيّن إمّا لغيابه في اللّغة الهدف أو تماشيا مع تقاليد اللّغة، ويتمّ التّعامل بهذه التّقنيّة عند غياب موقف مكافئ في الثّقافة المنقول إليها،

[1] ينظر: محمود عبد الغنيّ، معجم المصطلحات الأساسيّة في التّرجمة، ص20.

[2] ينظر: إنعام بيوض، المرجع نفسه، ص 77.

[3] ينظر: نفسه، ص 85.

[4] ينظر: محمود عبد الغنيّ، المرجع نفسه، ص26.

[5] ينظر: إنعام بيوض، المرجع نفسه، ص 88.

ويضطرّ المترجم في مثل هذه الحالات إلى ابتكار سياق جديد[1]. جملة brûler de soif المترجم العربيّ يقول:

عطش عطشا شديدا.

3-1-2-4 التّكافؤ:l'équivalence: تتجلّى هذه التّقنيّة في ترجمة الصّور البيانيّة، الحكم والأمثال، الأقوال المأثورة، والعبارات الجاهزة، بأمثال وحكم...إلخ للتّعبير عن الفكرة نفسها، وليس نقلا للكلمات بحرفيّتها[2]. مثل: Un chat échaudé craint l'eau froide تترجم بـ: لا يلدغ المؤمن من الجحر مرّتين. فهذه التّرجمة أنتجت مكافئا حسب الحالة أو الوضعيّة الإجماليّة للمعنى وليس حسب تفاصليه. إذ لا يمكن تقطيعها وترجمة أجزائها متفرّقة.

3-2- التّرجمة الأدبيّة:

إنّ الاختلاف بين اللّغات عمّق الصّعوبات في عمليّة التّرجمة، فلكلّ لغة منطقها الخاصّ وطريقتها الخاصّة في التّعبير، فالّذي يمكن في لغة ما قد يستحيل في لغة أخرى أو على الأقل لا ينقل بنفس الدّيباجة. وبما أنّ اللّغة هي المحور الأساسيّ في عمليّة التّرجمة، كان لزاما على المترجم أن يتسلّح بمجموعة من الكفاءات الّتي تسمح له بممارسة هذا النّشاط، كون اللّغة تتجاذبها مختلف الحقول المعرفيّة، إذ: « أصبح تحويل الشّفرة اللّغويّة هو مناط البحث في علم التّرجمة، ممّا يتطلّب مقارنات دائبة على جميع المستويات بين اللّغات، خصوصا في علم التّراكيب syntax والتّداوليّة pragmatics وعلوم اللّغويّات الثّقافيّة والنّفسيّة والاجتماعيّة الّتي تعتبر تخصّصات مشتركة interdisciplinary مع علوم طبيعيّة وإنسانيّة أخرى.»[3]

لا تطرح التّرجمة عامّة والأدبيّة خاصّة إشكاليّة على مستوى اللّغة فقط، أي أنّ المترجم لا يتسلّح فقط بالمعرفة اللّغويّة بجميع مستوياتها، وإنّما التّرجمة الأدبيّة في أصلها هي تمازج بين طريقتين مختلفتين في التّفكير، وعبقريّتين في أداء اللّغة في حالة الانحراف مقارنة باللّغة العامّة، وهذا يطرح

[1] ينظر: روبة آمنة، بن دالي محمّد الشّريف، التّكييف في ترجمة الفيلم الوثائقيّ، مجلّة التّرجمة واللّغات، المجلّد 18، العدد2، الجزائر 2019، ص 213.

[2] ينظر: إنعام بيوض، التّرجمة الأدبيّة مشاكل وحلول، ص 104.

[3] محمد عناني، التّرجمة الأدبيّة بين النّظريّة والتّطبيق، ط2، الشّركة المصريّة العالميّة للّنشر، لونجمان، مصر 2003. ص8.

إشكاليّة عميقة في التّعامل مع النّصوص الأدبيّة الّتي تتّسم بالأساليب الرّاقية على مستوى البيان والبديع والأساليب البلاغيّة الّتي تفرض معرفة أدبيّة، ونقديّة وثقافيّة، وفكريّة من جهة، ومنهجيّة خاصّة في التّعامل مع الأعمال الأدبيّة من جهة أخرى(أهليّة أدبيّة). وهي من أصعب أنواع التّرجمة، فهي إلى جانب نقل المعاني من لغة إلى أخرى يقوم المترجم بنقل الحالة الشّعوريّة الّتي عاشها المؤلّف الأصليّ:« يجب أن يكون مبدعا لمواجهة المشكلات المنبثقة عن أهمّيّة الجانب الإبداعيّ في النّصّ».[1]

إذن، تثير التّرجمة العديد من الإشكاليّات أدّت إلى غربلة الكثير من التّرجمات وتصنيفها على وفق جودتها ورداءتها في إطار ما يسمّى النّقد التّرجميّ:« لقد كُتب وقيل الكثير ضدّ ترجمة الأدب، ونحن نقرّ أن العمل الأدبيّ يفقد شيئا ما عند التّرجمة، ولكن تكفينا نظرة إلى بحر الأدب المترجم في لغات الأرض الكثيرة لندرك أنّ أكثر ما كتب وقيل مجرّد هراء نظريّ. لقد أصبح الكثير من التّرجمات الأدبيّة أعمالا أدبيّة عظيمة(...) وإن فقد الأصل شيئا فقد كسبت لغة أخرى ترجمة قد تداني الأصل عظمة، وقد تفوقه.»[2]

إنّ التّرجمة المثلى هي هدف كلّ مترجم جادّ من خلال سعيه نحو التّقرّب من الحدّ الريّاضيّ، ويقصد بذلك السّعي لتحقيق التّطابق التّام في التّفاصيل بين النّصّ الأصليّ والنّصّ المترجم.[3] ولكن على الطّرف النّقيض نجد أنّ مشكلة التّرجمة تطرح على مستوى الأمانة والخيانة فقول عبارة:« تقريب القارئ من الكاتب وتقريب الكاتب من القارئ.»[4] هي في حدّ ذاتها اعتراف بالاختلافات الّتي لا يمكن القفز عليها، ومنه استحالة وجود التّرجمة المثاليّة، والبعد عن الهدف المثاليّ.

بالعودة إلى ثلاثيّة محمّد ديب التّي ترجمها سامي الدّروبي نجد أنّ أمين الزّاوي قد قدّم رأيه حول هذه التّرجمة، إذ أشار إلى أنّ الدّافع إلى هذا العمل التّرجميّ هو مساندة الثّورة الجزائريّة، ما دفعه إلى

---

[1] أمبارتو أورتادو ألبير، التّرجمة ونظريّاتها، مدخل إلى علم التّرجمة، ترجمة: علي إبراهيم المنوفيّ، ط1، المركز القوميّ للتّرجمة، طبع بالهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة 2007. ص80.

[2] يوئيل يوسف عزيز، حسن عبد المقصود حسن وآخرون، التّرجمة العلميّة والتّقنيّة والصّحفيّة والأدبيّة، ج2، دط، الجمهوريّة العراقيّة، وزارة التّعليم العاليّ والبحث العلميّ، دب، دت، ص 383.

[3] ينظر: جن دى، التّرجمة الأدبيّة رحلة البحث عن الاتّساق الفني، ترجمة: محمّد فتحيّ كلفت، ط1، المركز القوميّ للتّرجمة، القاهرة 2009. ص ص 13، 350.

[4] بول ريكور، عن التّرجمة، ترجمة: حسين خمري، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر 2008. ص64.

طرح سؤال حول إذا ما كانت تلك التّرجمة هي ترجمة للعمل الأدبيّ الجزائريّ حقّا أم هي ترجمة للثّورة الجزائريّة؟ فالموقف المشرقيّ القوميّ هو الّذي أطّر تلك التّرجمة، ما جعل الدّروبي يتصرّف في النّص الأصليّ إلى درجة إعادة الإبداع.[1]

3-3- التّداوليّة وفعل التّرجمة:

إنّ التّرجمة ظاهرة معقّدة تقتضي الكثير من المجهودات والطّروحات من أجل الوصول إلى المقاصد كما هي في النّصوص الأصليّة. فهي بمثابة تحدّ صعب يستدعي الإلمام بكلّ عناصر الخطاب الأدبيّ إلى جانب آليات التّرجمة(التّرجمة التّداولية إن صحّ التّعبير). فكثيرا ما تصادف المترجم مشاكل حول الإحالة الّتي تستخدم للإشارة إلى الأشياء، إذ تستعمل مجموعة من الكلمات للدّلالة على شيء واحد في لغة ما، فيجد المترجم نفسه أمام مجموعة من الاحتمالات فيختار منها الأقرب تداوليّا، وقد أشار محمّد عنّاني إلى ذلك في حديثه عن المعنى الإحاليّ في قوله: « الاختلافات التّداوليّة أي الرّاجعة إلى تداول اللّغة واستخدامها pragmatics هي الّتي تملي على المترجم اللّفظ الّذي يختاره ويرتاح إليه.»[2] ومعرفة المعادلة بين الكلمتين من جانب تداوليّ هي في حدّ ذاتها تفوّق في التّرجمة. يقصد بالتّعادل التّداوليّ «التّعادل التّوصّليّ.»[3] وقد اصطلح نوجين نايدا(Eugene E.Nida) على هذا التّعادل بـــ: التّكافؤ الدّيناميكيّ أو تكافؤ التّأثير، الّذي يسعى إلى المطابقة التّأثيريّة؛ أي أنّ التّأثير الّذي يحدثه النّصّ الأصليّ هو نفسه في اللّغة الهدف.[4]

قبل ظهور التّداوليّة كانت التّرجمة تتعامل مع الجمل باعتبارها محورا أساسيّا في نظرية التّرجمة؛ لأنّها أساس بنية اللّغات وهيكلها مع إغفال الجانب الاستعماليّ لتلك اللّغة. وكانت تلك التّرجمات قاصرة على تبليغ المقاصد لهذا راحت تبحث عن مناهل أخرى تلمّ بجميع العناصر اللّغويّة، وبكلّ ما هو خارج عن تلك اللّغة، لهذا لقيت التّداوليّة اهتماما بالغا من قبل المترجمين لأنّها تهتمّ بالشّقّ

[1] ينظر: أمين الزّاوي، من التّرجمة إلى عودة النّصّ، سؤال في ترجمة الأدب الجزائريّ المكتوب بالفرنسيّة إلى العربيّة، مجلّة المترجم، العدد1، جوان2001.ص60.

[2] محمّد عناني، التّرجمة الأدبيّة بين النّظريّة والتّطبيق، ص 18.

[3] محمّد عناني، نظريّة التّرجمة الحديثة، مدخل إلى مبحث دراسات التّرجمة، ط1، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر، لونجمان، دار نوبان للطّباعة، القاهرة 2003. ص 77.

[4] ينظر: حسام الدّين مصطفى، أسس وقواعد صنعة التّرجمة، دط، دب 2011.ص89.

الاستعماليّ للّغة والسّياق الّذي يرد فيه الكلام. وقد تحدّث أمبارتو أورتادو ألبير عن البعد التّداوليّ(ترجمه مترجم الكتاب بالبعد البراجماتيّ) في التّرجمة والسّياق الاجتماعيّ في حديثه عن أبعادها في نظر حاتم وميسون، حيث ربطا النّشاط التّرجميّ بالنّشاط الاجتماعيّ، أي هناك اتّصال ينشأ في سياق اجتماعيّ للبحث عن المعاني في النّصّ الأصليّ وتقريبها من قارئ النّصّ المترجم مع مراعاة استعداد المتلقّي لتقبّل ما ترجم إليه، وقدرته على تأويله. إذ يعدّ تأويل المتلقّي للخطاب إجراء أساسيّ في التّداوليّة متعلّق بالقارئ المتعاون وتكون الأفكار المطروحة ملائمة له ولفكره ومستوى إدراكه. وهذه العمليّة لا تتمّ على مستوى اللّغة فقط، بل تتجاوز ذلك إلى الإلمام بكلّ الأطر الاجتماعيّة المختلفة لتحديد ملامح الغاية من الخطاب(القصد العامّ) ثمّ إعادة إنتاجها في التّرجمة (رؤية شاملة مرتبطة بكفاءة المترجم).[1] كما تمّ ربط نجاح التّرجمة بالحدث الكلاميّ(مباشر أو غير مباشر) والقدرة على تمثيله، حيث يتغيّر من ثقافة إلى أخرى، إضافة إلى تحقيق مبدأ التّعاون والتّفاعل بين المنتج والمتلقّي، فكلّ هذه العناصر (الحدث الكلاميّ بشقيه، القصد، التّعاون، التّواصل، التّفاعل) هي عناصر جوهريّة تعتبر الحجر الأساس في عمليّة التّرجمة من أجل اكتمال المعاني.[2]

وعلى هذا الأساس تقوم التّرجمة على التّعامل مع النّظريّة التّداوليّة ضمن نطاق استعمال اللّغة، أي العلاقة القائمة بين اللّغة ومتداوليها، وتحليل الكلام ووظائفه، وخصائصه عند التّواصل بين المتخاطبين: « ولاشكّ في أنّ التّرجمة من بين الممارسات الفكريّة الّتي كثيرا ما راحت في هذه العقود الأخيرة تمتح من المعارف التّداوليّة الّتي تعاقبت على مقاربتها نظريّات مختلفة طيلة القرن العشرين ما يمكّن العاملين في حقلها من تمثّل جديد لبعض المسائل المرتبطة بنقل المعنى من نصّ إلى آخر.»[3]

تعتبر التّرجمة في الأساس عمليّة تواصليّة من نوع خاصّ، يكون فيها المترجم وسيطا، وهذا التّواصل تنتجه القراءة، فالمترجم بصفته قارئا يحاول البحث عن الطّريقة الّتي أنتجت معاني نصّ ما

[1] ينظر: أمبارتو أورتادو ألبير، التّرجمة ونظريّاتها، مدخل إلى علم التّرجمة، ص ص 712، 713.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص ص 717، 718.

[3] مختار زواوي، فصول في تداوليّات ترجمة النّصّ القرآنيّ، ط1، ابن النّديم للنّشر والتّوزيع، دار الرّوافد الثّقافيّة ناشرون، بيروت، لبنان2017، ص102.

قصد تبليغها، وهنا يزداد مستوى الفهم لتيسير عمليّات التّحويل لإنتاج نصّ لقارئ ثان يمثّل قراءة قارئة لفهم المعاني. وهي طريقة تعتمد على تداول النّصوص يمكن تمثيلها بالشّكل الآتي:[1]

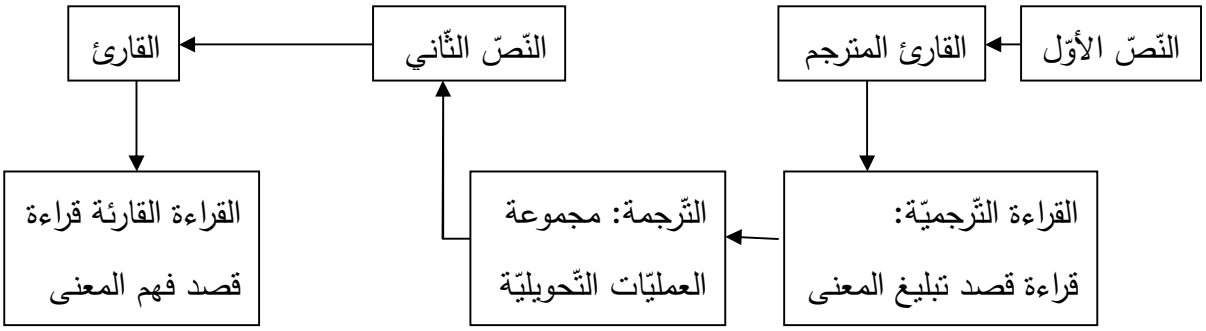

والحديث عن علاقة التّرجمة بالسّياق، فيعدّ هذا الأخير أمرا حاسما في عمليّة التّرجمة وتحليل المضامين، فتحليل الكلمات مرهون بالسّياق، وترجمتها تكون على نحو لصيق ومتلازم بخلفيّتها، وفي هذه الحالة: « فالمترجم ينطلق لا محالة من السّياق النّصّي لتحديد دلالة العلامات اللّسانيّة ثمّ تأويل هذا النّصّ وفقا لمؤشّرات السّياق العامّ حتّى يصوغ ترجمة قادرة على المحافظة على المعنى الإجماليّ والأثر الّذي يرجى تحقيقه في النّصّ الأصليّ.»[2] و لتحقيق التّعادل التّداوليّ لا يقتصر على التّعادل في المتغيّرات الخاصّة بالسّياق وإدراكها، بل يكمن في وظائف الملفوظات داخل السّياق، فمنح هذا البعد التّداوليّ للسّياق في فعل التّرجمة يبيّن الطّرق الّتي تدرك بها المقاصد كأفعال الكلام، الاستلزام الحواريّ،...إلخ. والمترجم:« بالإضافة إلى كونه محلّلا قديرا للمقاصد في النّصّ المصدر– قادرا على تقدير الأثر الّذي تحدثه التّرجمة في قرّاء / مستمعي النّصّ باللّغة الهدف.»[3]

إنّ المتخاطبين ينطلقون من معرفة مشتركة بينهما تسمّى بالافتراض المسبق، ويقصد به الخلفيّة الّتي يحتويها القول في صلب التّخاطب ولا يصرّح بها المتخاطبون. بمعنى أنّ الافتراض المسبق موجود عند المتخاطبين وليس في الكلام. ويحدث كثيرا سوء الفهم أثناء غياب هذا الافتراض المسبق،

[1] المرجع نفسه، ص126.

[2] مختار زواوي، فصول في تداوليّات ترجمة النّصّ القرآنيّ، ص 118.

[3] باسل حاتم وإيان ميسون، الخطاب والمترجم، ترجمة: عمر فايز عطاري، النّشر العلميّ والمطابع، دط، جامعة الملك سعود، الرّياض 1998. ص99.

وينتج عنه فشل عمليّة التّبليغ[1] وإن كانت هذه الاحتمالات واردة في كثير من الأحيان في الكلام المباشر، وعند تقارب المتخاطبين، فكيف تتمّ هذه العمليّة على مستوى الكلام المترجم؟

4- التّكافؤات التّداوليّة والخصوصيّة الثّقافيّة في حوارات الثّلاثيّة بين الأصل والتّرجمة:

إنّ الحديث عن تداوليّة الخطاب المترجم يعطي بالضّرورة انطباعا بأنّه تقييم للتّرجمة وتصحيح لها وتمثّل مبادئ غرايس أسسا إرشاديّة مفيدة للمترجم ولدارس التّرجمة، خاصّة مترجم الرّوايات الواقعيّة الّتي تكون أقرب إلى اللّغة العاديّة. إذ يأخذ المترجم بعين الاعتبار القارئ من حيث اللّغة والهدف وتكييف السّياق كي يتحقّق التّعاون.

إنّ توجّهات التّداوليّة مرتبطة بالأساس باللّغة الشّفويّة للخطاب، غير أنّ تلك القاعدة قابلة للتّطبيق على الخطابات المكتوبة، ويتعلق الأمر بحضور قارئ وهميّ في ذهن الكاتب، لضمان التّواصل والتّفاعل وفق تصوّراته:« بما أنّ التّواصل اللّغويّ تفاعليّ دائما فإنّه يمكن لهذا المبدأ أن يوسّع ليشمل أنواع الخطاب المكتوبة والمحكيّة كافّة، حتّى ولو كان التّعاون غير مباشر. ويتعاون المتكلّمون والمؤلّفون تحت تأثير الانطباع في أنّه يوجد هناك (أو أنّه سيوجد) مخاطب حقيقيّ أو محتمل، والّذي سيقبل الكلمات المحكيّة أو الأسطر المكتوبة بوصفها باعثا على المشاركة في التّواصل.»[2] ولن يكون التّواصل ناجحا إلّا إذا استنتج المخاطَب مقاصد المخاطِب.

على الرّغم من أنّ هذه المقولة التّداوليّة(التّعاون) الّتي تسبق(افتراض لابدّ منه) عمليّة إنتاج الخطابات الشّفويّة، قابلة للتّطبيق في تحرير النّصوص الأصليّة، وحتّى في الخطابات المترجمة، وذلك ببسط كلّ الخيارات الّتي تجذب القارئ للانضمام للخطاب وجعله جزءا منه. فهو فليس مجرّد نقل للنّصّ اللّغويّ فقط، بل يكون ذلك عن طريق عمليّات تحليليّة تركيبيّة تراعي المقاصد، وذلك أنّ كلّ لغة تعبر عن ذات المقصد بطرق مختلفة، وبذلك إذن، هذه العملية ليست :« مجرد نتاج ثابت جامد.»[3]

وسنعرض مجموعة من الأمثلة عن ذلك:

---

[1] ينظر: الجيلالي دلّاش، مدخل إلى اللّسانيّات التّداوليّة (لطلبة معاهد اللّغة العربيّة وآدابها)، ص 34.

[2] ألبرت نيوبرت، الترجمة وعلوم النّصّ، ترجمة: محي الدّين حميدي، ط2، النّشر العلميّ والمطابع، الرّياض 1429هـ. ص ص 100، 101.

[3] باسل حاتم وإيان ميسون، الخطاب والمترجم، ص 98.

- "C'est le déjeuner ?
- Oui, le déjeuner.
- A quelle heure allons- nous manger ? il est onze heures et demie.
- Nous mangerons quand ça sera prêt.
- Maudits soient les père et mère de ces cardons.
- Va. Les hommes ne sont pas faits pour la maison."[1]

"-أهذا هو الغداء؟..

- نعم هذا هو الغداء!..
- في أيّ ساعة نأكل؟.. هي الآن الحادية عشرة والنّصف. لعن الله أبا العكوب وأمّه!..
- اذهب. الرّجال لم يخلقوا للبيت."[2]

من خلال هذا الحوار نجد أنّ التّرجمة قد شملت على المعنى والقصد، فالكلام الأوّل حمل نفس القوّة وهي الاستفهام، كما أنّ التّرجمة حافظت أيضا على نفس القوّة. ولتحقيق التّكافؤ التّداوليّ وتقديم نفس الكمّ من المعلومات بين طرفي الحوار في اللّغة الهدف في الحالتين تمّ خرق قاعدة الكمّ. كما قام المترجم بترجمة اللّفظ وأضاف ترجمة المعنى للجمل المتلفّظ بها، ويظهر ذلك في علامة التّعجّب الواضحة في ترجمة الكلام الثّاني، إضافة إلى حذف الجملة (nous mangeons quand ça sera prêt) فحافظ على قصد المخاطِب. كما تمّ الحفاظ على نفس الاستلزام للتّعبير عن نفس القصد، ولا يعد هذا انحرافا لأنّ الكلمات المتوافرة تخدم التّرجمة وتفيد القصد، و: « يخضع المترجمون أيضا لمبدأ الكمّيّة عندما يعيدون خلق نصوصهم في اللّغة الهدف، فهناك حالات يضطر فيها المترجم لتوسيع أو تقليص صياغة النّصّ الهدف بالمقارنة مع ما يقابلها من تراكيب في النّصّ المصدر.»[3]

مبدأ الكيف: يمنح مبدأ الكيف للمترجم خيارات، فيكون إمّا ملزما بالحفاظ على نفس القيمة التّداوليّة لملفوظ معيّن، وإمّا يجعل النّصّ يحتوي على قيم تداوليّة أخرى، يتمتّع بها النّصّ المترجم، وطبعا تكون

[1] Mohamed Dib, la grande maison, éditions du seuil, 1952 et1996, pp.7,8.

[2] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص15.

[3] ألبرت نيوبرت، التّرجمة وعلوم النّصّ، ص102.

درجة التّكافؤ التّداوليّ إمّا مثاليّة أو أقلّ من تداوليّة النّصّ الأصليّ، وفي كلّ الحالات النّهج التّداوليّ هو المسار الوحيد لعملية الترجمة: « يجب على المترجم أن يعتمد صحّة النّصّ المصدر كما وردت، فإنّ التّرجمة بالنّسبة لمعظم النّصوص التّواصليّة البراغماتيّة هي تحويل يحتفظ بقيم الصّحّ أو الخطأ في النّصّ المصدر. وفي الحالات التي تبتعد فيها مقاصد النّصّ المصدر بشكل واسع عن تلك في

النّصّ الهدف، وفي هذه الحالات تصبح التّرجمة تحويلة تخلق قيم الصّحّ والخطأ.»[1]

مبدأ العلاقة: يحاول المترجم دائما ربط مفاهيم الأشياء بالموقف، لتتناسب المعاني التّداوليّة مع السّياق، فكثيرا ما نجد أنّ العديد منها تتشابه في لغات متعدّدة، ولكن هل أثناء نقلها إلى لغة أخرى تكون بنفس المعنى؟ وهنا يظهر الاختلاف بين المعاني الدّلاليّة الّتي تربط بين الدّوال ومدلولاتها، وبين المعاني التّداوليّة الّتي تكتسب معناها من خلال علاقة تلك الدّوال والمدلولات بناطقيها، فالمخاطِب في جماعة لغويّة محدّدة يمنح لذاك الشّيء معنى تداوليّا لتبدو مناسبة لمقام التّكلّم. هذا الأمر يؤدّي بالمترجم إلى الأخذ بالحسبان اختلاف المعاني التّداوليّة الّتي تتطابق مع الأشياء في لغات مختلفة: « إنّ من مسؤوليّة(مهمّة) المترجم خلق شبكة من العلاقات المعنويّة في النّصّ الهدف تتناظر مع بنية النّصّ المصدر. ويجب أن يصل قارئ النّصّ المترجم إلى القرارات نفسها أو النّتائج نفسها كما هو الحال عند قارئ النّصّ المصدر. وإذا تغيّر قصد التّرجمة يجب على المترجم أن يخلق علاقة جديدة تعكس قصد أو حاجات جمهور اللّغة الهدف. إن الالتزام بمبدأ العلاقة يقود المترجم إلى إعادة بناء العلاقات المعنويّة الموجودة في النّصّ الأصل من خلال استغلال المعرفة اللّغويّة والمعرفة بالعالم لدى مستخدم النّصّ الهدف.»[2]

الطّريقة: القواعد المتفرّعة عن مبدأ الطريقة(الاختصار، الوضوح، الانتظام) هي قواعد تحدّد حسب ثقافة المخاطَب، أي أنّ ما يمكن أن يكون مختصرا في ثقافة ما قد يكون عكس ذلك في ثقافة أخرى، وهذه القاعدة سارية على القواعد الأخرى.[3]

✓ ترجمة المعاني التّداوليّة:

[1] ألبرت نيوبرت، التّرجمة وعلوم النّصّ، ص 106.

[2] المرجع نفسه، ص ص 107، 110.

[3] ينظر: نفسه، ص 112.

في حوارات متعدّدة من الثّلاثيّة المكتوبة باللّغة الفرنسيّة وجدنا كلمة (bouh!) استعملت في أكثر من موضع، وهي كلمة تستعملها النّساء الجزائريّات (كلمة محليّة) للدّلالة على معنى التّعجّب من أمر ما، وفي المدوّنة أيضا وردت على لسان النّساء فقط، والمترجم لم يستطع نقلها إلى اللّغة العربيّة بحمولتها الدّلاليّة في اللّغة الأصل(اللّهجة المحليّة)، فترجمها ترجمات مختلفة وأحيانا حذفها في مواضع كثيرة، وحتّى كاتب الثّلاثيّة الأصليّ لم يعمد إلى ترجمتها إلى اللّغة الفرنسيّة، بل حافظ على خصوصيتها وكتبها بصيغتها الصّوتيّة الأصليّة. وردت هذه الكلمة في سياقات مختلفة مثل:

"– On t'endent du bout de la ville! Arrête– toi! **Bouh**".[1]

"– صوتك مسموع في أقصى المدينة. اسكتي... **أف**."[2]

"–Aïni, tais– toi s'écria Zina. **bouh**! Laisse– nous entendre ce qui se passe. Qu'est ce que cette catastrophe ?"[3]

"– اسكتي يا عيني، دعينا نسمع ما يجري... ما هذه المصيبة؟"[4] لم تترجم الكلمة في هذا الحوار.

"– **bouh**, **bouh** que va devenir mon frère ? Que vont–ils lui faire ? **bouh**, **bouh**, pour mon frère..."[5]

"– **ويلي عليك** يا أخي... ما الّذي سيقع لك؟... ما الّذي سيصنعونه بك؟ ...**ويلي عليك** يا أخي."[6]

"– **bouh**! **bouh**! Tais–toi, ya aïni. Les voisines entendent tout."[7]

"– اسكتي يا عيني، اسكتي يا عيني. الجارات يسمعن كلّ شيء."[8] (لم تترجم الكلمة)

---

[1] MOHAMMED DIB, le métier à tisser, éditions du seuil, 1957 et 1974, p.36.

[2] محمّد ديب، النّول، ص 298.

[3] MOHAMMED DIB, la grande maison, p .22.

[4] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 29.

[5] MOHAMMED DIB , la grande maison, p.25.

[6] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 33.

[7] MOHAMMED DIB, la grande maison, p.39.

[8] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 49.

"– Donne, réclama Lalla. Je ne suis pas venue pour camper des mois. Je suis montée à grand-peine. **Bouh**! Je n'ai plus la force d'arriver jusqu'ici, la fille de ma mère. Laisse, laisse. Je me trouve bien sur le pas de la porte.

Comment pouvez-vous vivren…ouf! ouf!"[1]

"– هاتي. ولكنّني ما جئت هنا لأعسكر شهورا. لقد أتعبني الصّعود كثيرا. **أف** .. لم يبق لي من القوّة ما يمكنني من الوصول إلى هنا، يا أختي. دعي، دعي. يريحني القعود هنا عند الباب: لا أدري كيف تستطيعون أن تعيشوا.. أف.. أف.."[2]

"– **Bouh**, Lala!"[3]

"– هوه.. لالا.."[4]

"– Lalla, que dis-tu ? **Bouh**! **Bouh**! Sa sœur, la mal-heureuse, comment s'en trouverait-elle?"[5]

"– لالا، ماذا تقولين؟ ..**أف**..**أف**.. ما عسى أن يصير إليه حال أخته المسكينة إذا هم سجنوه حقّا؟"[6]

"– Je ne peux pas. **Bouh**! Non, non, Aïni. Comment serais-je reçue par mes brus…il faut que je m'en aille. Si vous avez à manger, gardez-le pour vous ; il n'est point besoin que je le partage avec vous."[7]

---

[1] MOHAMMED DIB, la grande maison, p.45.

[2] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 54.

[3] MOHAMMED DIB, la grande maison, p.46.

[4] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 55.

[5] MOHAMMED DIB, la grande maison, p.46.

[6] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 56.

[7] MOHAMMED DIB, la grande maison, p.52.

"– لا أستطيع..**هف.. هف.** لا..لا. يا عيني وإلّا زعلت كنائني... يجب أن أذهب. وإذا كان عندك طعام فاحتفظي به لكم. ما من داع إلى أن أقاسمكم إيّاه."[1]

"– Ha haï! Mon frère. Ha haï! Mon frère. **Bouh! bouh! bouh!**"[2]

"– أي أخي، **ويلي**..أخي.. أي. أي. أي.."[3]

"– Mon Dieu, gémissait Aïni. **Bouh! bouh!** Faites-la taire, ou je ne sais pas ce que je lui ferai."[4]

"– يا رب، يا رب. **أوف أوف.** اسكتوها وإلاّ صنعت بها.."[5]

"– Nous en avons assez. Nous ne savons plus où les mettre. Le mauvais œil s'est manifesté en nous tant et plus... **Bouh! Bouh!**"[6]

"– حسبنا ما عندنا منها، لقد أصبحنا لا نعرف أين نضعها. لقد آذتنا العين الحسود بما فيه الكفاية وأكثر.. **هه..هه..**"[7]

"L'interrogatoire se poursuivit longuement : question, réponse. Leur colloque était ponctué tout au long d'exclamations de surprise : est ce Bien vrai? Regarde voir. Et, à n'en plus finir, de : **Bouh! Bouh!** de plaisir, dans lesquels pointait la honte devant un don si magnifique et si généreux. Aïni

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 63.

[2]MOHAMMED DIB, la grande maison, p.57.

[3] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 68.

[4] MOHAMMED DIB, la grande maison, p.70.

[5] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 82.

[6]MOHAMMED DIB, la grande maison, p.78.

[7] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص91.

se mit elle aussi à faire des clins d'œil, à gesticuler comme sa fille. Et de temps en temps, elle jetait des cris dubitatifs : Ha haï!"[1]

"سؤال فجواب فسؤال فجواب. وكانت تقطع الحديث صيحة دهشة لا تنقطع: صحيح؟ انظري. وما كان أكثر صرخات السّرور الّتي تشتمل على شيء من الشّعور بالخجل إزاء هدية تبلغ هذا المبلغ من الرّوعة والكرم. وطفقت عيني نفسها تطرف بعينها وتحرّك يديها كما تفعل ابنتها."[2](حذفت الكلمة).

"– **Bouh**! C'est mon cousin."[3]

"– **آه**.. إنّه ابن خالتي."[4]

"– **Bouh**! Ma."[5]

"– **هوه**..يا ما.."[6]

"– **Bouh**! C'est Zhor! C'est Omar!"[7]

"– **هه**..هذه زهور.. هذا عمر."[8]

"– **Bouh**! Aïni."[9]

"– **هه**! عيني.."[10]

"– **Bouh**! Ma! Dis-nous ce qui est arrivé. Ne nous laisse pas comme ça!

---

[1] MOHAMMED DIB, la grande maison, p.80.

[2] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 94.

[3] MOHAMMED DIB, la grande maison, p.82.

[4] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص95.

[5] MOHAMMED DIB, la grande maison, p.83.

[6] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 96.

[7] MOHAMMED DIB, l'incendie, éditions du Seuil,1954, p.16.

[8] محمّد ديب، الحريق، ص 122.

[9] MOHAMMED DIB, l'incendie, p.136.

[10] محمّد ديب، الحريق، ص 244.

Tu ne vois pas ? Toute la maison veut savoir ce qui s'est passé."[1]

-" **هوه!** ماما! قولي لنا ما حدث. لا تدعينا في هذه الحيرة. ألا ترين؟ البيت كلّه يريد أن يعرف ما حدث."[2]

"Franchissant la porte de la vaste cuisine, la femme, sur ces mots, fit un magistral bras d'honneur, sans se gêner, sous le regard de toutes les autres. Le vieux père ben Sari, qui entrait à ce moment-là dans la cour, la vit. Toutes ensemble poussèrent aussitôt des : **Bouh**! **Bouh**! horrifiés. L'effrontée se réfugia au fond de la cuisine."[3]

"قالت المرأة هذه الكلمات ثم اجتازت باب المطبخ الواسع وهي ترفع يدها بحركة بذيئة دون تحرّج على مرأى من سائر النّساء. وفي هذه اللّحظة دخل بن ساري إلى فناء البيت فرآها. فما كان من النّساء جميعا أن تصايحن دفعة واحدة مذعورات. **آه...آه..** وعادت السّفيهة فاعتصمت في قاع المطبخ."[4]

" - **Bouh**! tu en parles devant elle. Zhor, ne reste pas ici ; va dehors. Qui est-ce qui te l'a demandé ?"[5]

"- **هوه!** لم تقول هذا الكلام أمامها؟ زهور، لا تبقي هنا، اخرجي. من الّذي جاء يخطبها؟"[6]

من خلال الأمثلة السّابقة نجد أنّ المترجم كان بإمكانه أن يختار لفظة مناسبة وفق المعنى الّذي تحمله(حسب فهمه الخاصّ) ويكرّرها في كلّ مرّة كمقابل للفظة(bouh)، لكنّه لجأ إلى توظيف ألفاظ مختلفة مثل (أف، هف، يا ويلي عليك، هوه، هه، آه)، وقد انتبه المترجم إلى السّياق(الجانب التّداوليّ) الّذي وردت فيه اللّفظة الأصليّة، فمثلا لفظة (هه) وردت في سياق التّفطّن إلى أمر، أو إلى وجود شخص ما...إلخ ونقلها إلى سياق الانزعاج أو النّدبة يُبعد عن المعنى الصحيح، فشتّان بين

[1] MOHAMMED DIB, l'incendie, p.137.

[2] محمّد ديب، الحريق، ص 245.

[3] MOHAMMED DIB, l'incendie, p.140.

[4] محمّد ديب، الحريق، ص ص 248، 249.

[5]MOHAMMED DIB, l'incendie, p.156.

[6] محمّد ديب، الحريق، ص 262.

السّياق الأوّل والثّاني. إنّ الاختلاف بين استعمالات اللّفظة منحت حركيّة للمعاني وبناء المقاصد وفق حاجات المخاطَب العربيّ. وعلى الطّرف الآخر نجد المترجم قد اصطدم بالواقع التّداوليّ للّفظة الّتي تحفل بعادات واستعمالات دقيقة جدّا تتغلغل في عمق الهويّة الجزائريّة، فلجأ إلى حذفها في ثلاثة مواضع (ضحّى باللّفظة) والسّبب في حدود فهمنا هو عدم فهم القصد الّذي تؤدّيه في هذه السّياقات وليس تقصيرا في تحليل المعنى، أو أنّ السّبب هو استحالة تمثيل المعنى أو ظلال المعنى والأوجه المحتملة.

كما نجد بعض التّعابير الجزائريّة لا تمتلك مقابلا لها في اللّغة الفرنسيّة فتركها محمّد ديب كما هي حفاظا على خصوصيتها، ولكن قدّم شرحا لها أسفل الصّفحات. فرغم أنّه كتب باللّغة الفرنسيّة إلّا أنّ روحه بقيت جزائريّة، منحت طابعا محليّا للثّلاثيّة، فاللّغة الفرنسيّة كانت مجرّد أداة، حيث استقى مفردات من القاموس اللّغويّ الجزائريّ المألوف(من محيطه الاجتماعيّ) وكأنّ تلك الكتابة في حدّ ذاتها عمليّة ترجميّة، فالكاتب يترجم عن لغته الأمّ.

إنّ ترجمة الرّواية من طرف سامي الدّروبي الّذي ينتمي إلى مجتمع آخر يستدعي معرفة تامّة بالسّياق، والظّروف، والموروث الثّقافيّ الّتي أنتجت هذا الخطاب. لهذا المترجم الأجنبيّ عن تلك الثّقافة سيجد صعوبة مهما فاقت قدراته اللّغويّة في اللّغتين(العربيّة والفرنسيّة) في أنّ يغطي كلّ المعاني. ومن خلال بعض الأمثلة سنحاول الوصول إلى معرفة الإستراتيجيّة الّتي اعتمدها المترجم في نقلها. ومن تلك التّعابير مايلي:

(fellah, haïk, la meïda, le burnous, le cadi, le caid, le feddan, le douar, la gandoura, le foudouk, la gellaba, lalla, bouya, salam, oumima, dhor, gasba, taleb, sirat)

الأنموذج الأوّل- مصطلح حايك:

"Elle était devant lui sans son **haïk**

Ramassant son **haïk** autour d'elle"[1]

[1] MOHAMMED DIB, la grande maison, pp.19, 52.

"إنّها الآن أمامه **بملاءتها**.

تلملم أطراف **حايكها** عليها."[1]

"Drapée dans son haïk

Gesticula et voulut les entraîner par les pans du **haïk**"[2]

"متدثّرة **بحايكها**.

حرّكت يديها تريد أن تجرّها من أذيال **الحايك**."[3]

"Aïni avait jeté une serviette-éponge sur son **haïk**

(écartons son **haïk**, elle montra l'agent."[4]

"كانت عيني قد ألقت على **حايكها** منشفة.

وأزاحت المرأة **حايكها**، وأخرجت يدها تشير بها إلى الشّرطيّ."[5]

ما يلاحظ في التّرجمة أنّها متطابقة مع النّصّ المصدر لعدم اعتماد المترجم على الترجمة الحرفية في النص الهدف، ولكنّه حافظ على التّسمية الجزائريّة (حايك)، فمن باب تسمية هذا النوع من اللّباس باسمه هي حفاظ على الهويّة، كما تعكس هذه الكلمة تقاليد المجتمع الجزائريّ في تلك الفترة، فهو رمز جزائريّ صرف، له قيمة ثقافيّة تعبر عن جانب مهم من حياة الجزائريّين، فلم يجد تسمية أخرى تغطّي هذا اللّباس، ويستخدم في العاميّة الجزائريّة، كما يطلق على نوع من اللّباس أيضا، لكنّه لا يعني مفهوم الحايك بتفاصيله و بالمعنى المتعارف عليه في الجزائر. وكان بمقدور المترجم أن يلجأ إلى التّرجمة

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص ص 28، 63.

[2] MOHAMMED DIB, L'incendie, pp.15, 148.

[3] محمّد ديب، الحريق، ص ص 121، 250.

[4] MOHAMMED DIB, Le métier à tisser, pp.30, 148.

[5] محمّد ديب، النّول، ص ص293، 377.

التّفسيريّة، ويقابلها بعبارة تفسيريّة تفسّره، وربّما هدفه هو المحافظة على القصد من استعمال هذا المصطلح والمراد منه، فالقصد ليس فقط هو لباس خاص بالنّساء، وإنّما رمز ثقافيّ يحمل قيمة (اللّمسة المحليّة)، لهذا تعامل معه المترجم معاملة الأسماء الّتي تقع تحت الإكراه الثّقافيّ، الّتي لا يمكن تجاوزها، وجب الحفاظ عليها، لأنّها تدخل في صميم المعارف المتبادلة بين المتخاطبين في النّصّ الأصليّ.

الأنموذج الثّانيّ- مصطلح لالا:

"Il n'ya plus de pain, dit Aïni. Le pain que nous a apporté **Lalla** est fini depuis hier."[1]

"لم يبق عندنا خبز. الخبز الذي جاءتنا به **لالا** نفذ منذ أمس."[2]

"–Si tu avais vu, **Lalla**, le premier jour où les hommes de la police sont entrés tout à coup… Maintenant nous commençons à nous y habituer."[3]

"– ليتك رأيت يا **لالا** حين دخلت علينا الشّرطة فجأة أوّل مرّة... لقد بدأنا نعتاد هذا الأمر الآن."[4]

"Omar se rendait compte combien les vérités de **Lalla** étaient affligeantes."[5]

" وأحسّ عمر بمدى ما تولّده حقائق **لالا** في النّفس من حزن ممض."[6]

"**Lalla** avait dit un jour : « une femme seule s'use plus vite qu'une autre comme c'était vrai! Aïni aurait pu être la fille de **Lalla**."[7]

---

[1] MOHAMMED DIB, La grande maison, p. 30.

[2] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 37.

[3] MOHAMMED DIB, La grande maison, p. 47.

[4] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 56.

[5]MOHAMMED DIB, L'incendie, p. 146.

[6] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 235.

[7] MOHAMMED DIB, Le métier à tisser, p.30.

"لقد سبق أن قالت **لالا** في ذات يوم: " المرأة الوحيدة يدبّ إليها الهرم قبل غيرها" ما أصدق ذلك القول! إنّ عيني يمكن أن تكون بنت **لالا** سنا."[1]

لقد حافظ المترجم على مصطلح(Lalla) كما هو في نصّه الفرنسيّ، وهو مصطلح يحمل لمسة محليّة. فقد استطاع المترجم أن ينقل جانبا من جوانب العادات الّذي يحمله النّصّ الأصل. وأصل المصطلح هو من العاميّة الجزائريّة، ويعني "العمّة" كما يطلق على الأولياء الصّالحين أيضا، و يقابلها "سيدي" للرّجل. يشيع هذا المصطلح أكثر عند المغاربة، وبحكم متاخمة تلمسان للمغرب يرجّح سبب تسرّبها للمنطقة وتداولها. وتستعمل للدلّالة على احترام من هم أكبر سنّا، وكذا تعظيما لشأنهم. فكثيرا ما تستخدم وفق معايير محدّدة منها: أن تكون المقصودة كبيرة العائلة، يتمّ استشارتها في جميع القضايا، ويعتدّ بكلامها. إنّ اعتماد المترجم النّقل الحرفيّ للمصطلح ترك انطباعا مماثلا عند قراءتنا النّصّ الأصليّ، وربّما السّبب راجع إلى إدراكنا التّام لمدلوله.

وما يؤخذ على المترجم هو الرّسم الكتابيّ للمصطلح، فقد جعله على شكل نفي مكرّر لا يظهر فيه تفخيم أو ترقيق الأصوات، أو تضعيف، إذ يستحسن مقابلة (Lalla) بـ: (لالة)، حيث إنّ المدّ يقتصر فقط عند نطق الصّوت الأوّل(La= لا، وla= لَ أو لة).

✓ **تحليل بعض العبارات:**

تشيع في الاستعمال بعض التّعابير، وقد استعملها محمّد ديب نقلا عن هذا الاستعمال، حيث قام بترجمتها حرفيّا إلى اللّغة الفرنسيّة، وأسندها إلى الشّخصيّات في حوارات مختلفة، منها:

"– Je couperai du miel dans ta bouche."[2]

"عفوا إذا قاطعتك."[3]

"– par le sang qui est entre nous. restons unis"[4]

[1] محمّد ديب، النّول، ص 294.

[2] MOHAMMED DIB, L'incendie, p .42.

[3] محمّد ديب، الحريق، ص147.

[4] MOHAMMED DIB, L'incendie, p.119.

"فلنظل متّحدين بالدّم الّذي بيننا."[1]

"– qui creuse une fosse pour son frère, y tombera lui–même..."[2]

"من حفر حفرة لأخيه وقع فيها."[3]

"– bénis soient tes pères et mères.

–le maudit argents, maudit soit–il jusqu'aux confins du monde!

–tu as encore le lait de ta mère entre les dents.

– fils de votre mère."[4]

"– عافاك الله وبارك في أبيك وأمّك.

لعن الله المال..لعن الله المال إلى آخر الدّهر.

–لا يزال بين أسنانك لبن أمّك.

– أنتم يا أولاد أمّكم."[5]

"– présente– toi à Dieu dans ta nudité, il te vêtira.

– Du vent! Au bout du compte."[6]

"– من تقدّم إلى الله عاريا كساه.

---

[1] محمّد ديب، الحريق، ص 231.

[2] MOHAMMED DIB, L'incendie, p.43.

[3] محمّد ديب، الحريق، ص 231.

[4] MOHAMMED DIB, l'incendie, pp.45, 55, 58, 60.

[5] محمّد ديب، الحريق، ص ص 151، 161، 164، 166.

[6] MOHAMMED DIB, le métier à tisser, pp.131 ,28.

بقبض الرّيح!"[1]

إنّ الملفوظ الأوّل :"Je couperai du miel dans ta bouche " متداول في العاميّة الجزائريّة، ويعني طلب العفو عند مقاطعة المتكلّم" كلامك كي لعسل" وقد نقلها محمّد ديب بنفس الحمولة، فالمخاطَب الجزائريّ يفهم هذه العبارة حتّى وإن كانت باللّغة الفرنسيّة، لكن المترجم قام بترجمتها مراعيا المتلقّي العربيّ في النّصّ الهدف" عفوا إذا قاطعتك" وبهذا تمكّن من إيصال القصد بالرّغم من عدم وجود كلمات في الملفوظ الأصليّ الّتي تدلّ على المقاطعة وطلب والعفو، في هذه الحالة تحقّق **التّكافؤ التّداوليّ**" فلو قال:" سأقطع العسل في فمك" (ترجمة حرفيّة) لن يُفهم المعنى المقصود.

باللّغة الفرنسيّة لا وجود لجملة" tu as encore le lait de ta mère entre les dents (الملفوظ السّادس) وترجمت بـ: مازال حليب يمّاك في فمّك للدّلالة على أنّه مازال صغيرا. فلو نقل المترجم مثلا المعنى فقط دون اللّجوء إلى التّرجمة الحرفيّة (لا تزال صغيرا) لما حملت نفس القصد، فالقول بأنّ لبن أمّك بين أسنانك تحمل قصدا ضمنيّا غير الظّاهر، ويتمثّل في الانتقاص من قيمة المخاطَب. فقول مازالت صغيرا يحمل نصح الآخر بعدم ردّ الكلام أو التّدخّل فيما لا يعنيه، بينما التّرجمة الحرفيّة حملت القصد التّداوليّ الّذي يرغم المخاطَب على التّفكير بأنّ وراء الكلام كلاما غير الظّاهر، فمن غير المعقول أن يبقى حليب الأمّ بين الأسنان عند المراهق، بل من السّهولة ربط الحليب بالأسنان للدّلالة على الصّغر عند المتلقّي الغريب عن الثّقافة الجزائريّة، وهذا ما جعلنا نحكم على تداوليّة هذه العبارة المترجمة.

هذه العبارة(présente- toi à Dieu dans ta nudité, il te vêtira) نقلها ديب من العاميّة، وهي من الأقوال المأثورة (اخرج الربي عريان يكسّيك)، وترجمها سامي الدّروبي ترجمة حرفيّة (من تقدّم إلى الله عاريا كساه) ومدلول العبارة هو: التّعامل مع الغير دون تكلّف أو تصنّع، والله سبحانه وتعالى يتكفّل بك ويكفيك شرّ النّاس. فمن خلال تقريب المقصود نجد أنّ المعنى لا يخرج عن النّطاق الدّينيّ، وفي الدّين الإسلاميّ عبارات عديدة تتيح للدّروبيّ فرصة استعمال تقنيّة التّكافؤ، مادام ينزع دائما إلى المقابل العربيّ الفصيح. فالتّرجمة الحرفيّة الّتي لجأ إليها لم تنقل القصد من الكلام، فهل

[1] محمّد ديب، النّول، ص ص291، 366.

فعلا من يتقدّم إلى الله عاريا كساه؟ طبعا الجانب الضّمنيّ عكس ذلك. وهنا يظهر أنّ المترجم لم يكن عارفا للعاميّة الجزائريّة، فلجأ إلى التّرجمة الحرفيّة والنّقل عن طريق الكلام الفصيح هروبا من القوالب التّعبيريّة المحليّة.

في المثال (بقبض الرّيح) استعمل المترجم تقنيّة التّكافؤ، كما أنّ هناك عبارات في اللّغة العربيّة مكافئة لها كقولنا(عاد بخفيّ حنين...إلخ) وإذا قمنا بتحليل مضمون العبارة نجد أنّ قبض الرّيح من المستحيلات، أو لا فائدة من محاولة قبضه وهو نفس حال عامل المصنع (شول) الّذي أدّى عمله بكلّ أمانة وفي الأخير لم يستفد شيئا. فهذه العبارة استعملت مجازا لتعني استحالة تحقّق أمر ما. وعن طريق تقنية التّكافؤ تمّ توصيل القصد التّداوليّ للقارئ.

- ✓ **ترجمة بعض الأفعال الكلاميّة:**

"– **écoute**, **messire**, **cesse** de mêler des affaires des autres, ou je **t'arrache** les poils des moustaches!"[1]

"– **اسمع يا مسيو. دعك** من التّدخّل في شؤون غيرك، وإلّا نتفت لك شعر شاربيك."[2]

الملفوظان (اسمع ودعك) هما فعلي كلام غير مباشرين يتضمّنان قوّة إنجازيّة هي الأمر، وحمل معنى التّهديد. جاء سياق هذا القول في حوار سليمان مع قره، حيث قام هذا الأخير بترديد عبارات احتقار للفلّاحين وتوجيه نظرات دونيّة من جهة، وتعظيم الفرنسيّين وإنجازاتهم من جهة أخرى، فتضايق سليمان مهدّدا قره بالابتعاد عن الفلّاحين ومحاولة تعقّب تحرّكاتهم في كلّ مرّة. في نظر الفلّاحين فإنّ قره يعتبرونه جاسوسا للسّلطات الفرنسيّة، فهم ملزمون على احترامه كي لا يشي بهم. والأمر في هذا القول فعل إنجازيّ عمل عمل الفعل التّأثيريّ غرضه التّهديد، فقد استطاع سليمان أن يغيّر من موقف قره وسلوكه إذ ثارت ثائرته وتملّكه الغضب.

استطاع المترجم أن يحقّق التّكافؤ التّداوليّ، وأن يحدّد العلاقة بين طرفي الحوار عن طريق عبارة (مسيو) هذه الكلمة كتبت في مواضع مختلفة من المدوّنة بحرف الواو ولكن حسب اعتقادنا يجب أن يكون حرف الرّاء بدلا من الواو وتكون كلمة فرنسيّة مكتوبة بحروف عربيّة) فقد كان باستطاعته قول:

[1]MOHAMMED DIB, L'incendie, p.68.

[2] محمد ديب، الحريق، ص174.

(سيّدي المحترم) وهي التّرجمة الحرفيّة للعبارة، ولكن تلك الكلمة لا تناسب مقام التّهديد، حيث انقلبت الموازين بين الطّرفين، فأصبح الفلّاح المسكين سليمان في موضع تهديد للسّيّد قره صاحب ممتلكات و يشتغل رئيسا للفلّاحين، هنا تظهر كفاءة المترجم وفهمه الدّقيق للقصد. إذن، نقل الكلمة كما هي حفاظا على القصد غير المصرّح به وهو التّهديد، وبالتّالي مناسبتها للأفعال الأمريّة الواردة في الحوار(نفس القوّة الإنجازيّة).

"– Alors, toujours moi? Il n'y a que moi. Ici. Et pourquoi pas Aouïcha ou Meriem ?"[1]

"– دائما أنا؟ أليس في البيت أحد غيري؟ لماذا لا تكلّف عيّوشة أو مريم؟"[2]

نجد في الملفوظ باللّغة الفرنسيّة كلمة " alors" الّتي تستعمل في كثير من المواقف للدّلالة على التّذمّر وعدم الرّضا، سواء استعملت في بداية الكلام أو نهايته. بالرّجوع إلى سياق الحديث نجد أنّ السّبب وراء استعمالها هو تذمّر عمر من تكليفه بشراء الخبز، وكثرة طلبات والدته. كما عبّرت الجملة المترجمة عن هذا القصد من خلال استعمال الاستفهام(أليس؟)، فنجاح المترجم في نقل القصد هو تصرّفه في النّصّ الأصليّ، فلو اعتمد على التّرجمة الحرفيّة(هنا لا أحد غيري، لم لا عيوشة أو مريم؟) لما تحقّق القصد، فالاستفهام أقوى من النّفي لإظهار التّذمّر.

"– Omar, resteras-tu tranquille!"[3]

"– عمر ألا **تريد** أن تهدأ؟"[4]

نلاحظ في التّرجمة أنّ القوّة الإنجازيّة لفعل الكلام لم تتغيّر، رغم إضافة المترجم لجملة(ألا تريد؟) إذ يمكننا رصد نفس القصد من كلام عيني وهو التّوبيخ، بالعودة إلى سياق التّلفّظ نجد أنّ عمر كان جالسا أمام الموقد ويقوم بحركات من أجل التّدفئة ما أحدث اضطرابا في البيت، هذا ما جعل عيني تصدر كلاما بهدف التّوبيخ بالرّغم من أنّ الفعل الكلاميّ هو الاستفهام. لقد استعمل المترجم عبارة

[1] MOHAMMED DIB, La grande maison, p.95.

[2] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 109.

[3] MOHAMMED DIB, La Grande maison, p.15.

[4] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 23.

غير موجودة في الملفوظ الأصليّ(ألا تريد) إلّا أنّه لم يغيّر من قوّته الإنجازيّة، بل زادت من وضوح القصد أكثر من ترجمته بـ(ألّا تبقى هادئا أو ألّا تهدأ).

"– Moi, vieux **garagouz**! Tu crois que je t'envie,moi ?"[1]

"– **أنا؟** أنا أحسدك أيّتها العجوز الهرم؟ **أتظنّين** أنّني أحسدك؟"[2]

رغم إضافة المترجم الملفوظ(أنا؟) إلاّ أنّ القصد لم يتغيّر، ويتمثّل في الاستهزاء من العجوز الّتي اتّهمت عيني بأنّها السّبب في الفوضى الّتي تلازم البيت، كما يمكن أن نفهم أنّ هذا الاتّهام يؤدّي إلى الاستغراب، حيث نستطيع أن نلمس الاستفهام عن طريق نبرة صوت عيني ونقلها المترجم عن طريق هذه الإضافة(أنا؟) فهذا الاستفهام مفاده الاستغراب، وكأنّ القصد هو: ما علاقة الحسد بالفوضى؟ يبدو أنّ العجوز تكنّ حقدا دفينا لعيني، وتلك التّهمة ما هي إلّا تراكمات ترسّبت في ذهنها، بل تنتظر الوقت المناسب للإفصاح عنها. وهذا ما استطاع المترجم أن يصل إليه، ثمّ نقله لنا إلى اللّغة العربيّة. قصديّة الاستغراب تؤدّي إلى قصد آخر وهو الاستهزاء من العجوز، وقد عبّر عن ذلك محمّد ديب بكلمة(garagouz) المستوحاة من عمق الثّقافة الجزائريّة، ونقلها المترجم بكلمة (الهرم)، فلو نقلها حرفيّا لما حملت نفس القصد، ثمّ لو ترجمها بدميّة لن تكفي لنقل القصد، فالهرم أشدّ وقعا على النّفوس من الخيارات الأخرى للحفاظ على العلاقة التّداوليّة في التّرجمة. كما أنّ اكتشاف عيني لحقد العجوز جعلها تستعمل كلمة بالقوّة نفسها لضرب نفسيتها، حيث إنّ القراقوز يدلّ على أنّ العجوز قد خارت قواها، ولم يبق لها العظام في جسمها كلّه صار ملتويا كما تلتوي دمية القراقوز، وكلمة هرم أكثر دقّة لوصف بنية العجوز. نستطيع أن نقول إنّ المترجم نقل الحوار إلى مستوى غير مباشر، محافظا على القوّة الإنجازيّة نفسها للفعل، كما أنّ القصد لم يتغيّر أيضا.

"– moi ?"[3]

"– أنا؟"[4]

---

[1]MOHAMMED DIB, La Grande maison, p.56.

[2] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 67.

[3]MOHAMMED DIB, Le métier à tisser, p.24.

[4] محمّد ديب، النّول، ص288.

تمّ نقل الكلام بين عمر وزبيش إلى مستوى غير مباشر، حين طلب هذا الأخير من عمر أن يرتّب المكان قبل الخروج مساء، فجاء ردّ عمر(وأنت؟) ما جعل الصّبيّ زبيش يستغرب من سؤال عمر، وكيف تجرّأ على سؤاله، وقد حذّره سابقا أن ينصاع لأوامره دون قيد أو شرط أو ظرف، بحجّة أقدميّته في المصنع، إذ يجوز له إصدار الأوامر وأنّ ما على عمر إلّا الطّاعة، فالتّرجمة الحرفيّة للضّمير المتبوع باستفهام حافظت على القوّة نفسها الّتي تفيد الاستغراب، وعلى التّأثير نفسه.

"– comment pourrait-on la gâter ?"[1]

"– كيف يمكن إفساد النفس؟"[2]

دار حوار بين العمّال في المصنع، فتحدّث شول متمنّيا أن يشرب حتى الثّمالة في جوّ مليء بالمزاح، فتدخّل زبيش في هذا الحوار وقد أعجبه وهو صبيّ لم يصل بعد إلى مرحلة يدرك فيها معنى السّكر، ورأى حمدوش أنّ هذا الصّبيّ أيضا يعاني نفسيّا، يحتاج إلى شراب يشفي نفسّيته العليلة، ثمّ تدخّل آخر محاولا إفهامهم أنّهم هم من أفسدوا هذا الصّبيّ، فاحتجّ مصطفى الرّزّاق قائلا إنّ النّفس لا يمكن إفسادها. ويقصد بذلك أنّ المزاح لا يعكس أبدا ما بداخل الإنسان، فالنّفس كالنّور تشعّ.

الفعل الكلاميّ (comment pourrait-on la gâter ?) ترجم ترجمة حرفيّة إلى مقابل عربيّ (كيف يمكن إفساد النّفس؟) وهو فعل كلاميّ غير مباشر، يكون عند التّصريح به بقول (أسألك كيف يمكن إفساد النّفس)، فقوّته الإنجازيّة هي الاستفهام، والقصد التّداوليّ هو الاحتجاج. وهو نفس القصد الّذي يحمله في اللّغة الفرنسيّة، بالتّالي فإنّ الفعل الكلاميّ حافظ على قصده.

"– La ferme, putain! Ferme ta bouche, toi."[3]

"– اخرسي...، اخرس، اخرس أنت."[4]

---

[1] MOHAMMED DIB, Le métier à tisser, p. 63.

[2] محمّد ديب، النّول، ص317.

[3] MOHAMMED DIB, La grande maison, pp.17, 48.

[4] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص ص 26، 59.

في الحوار الّذي دار بين عيني وعمر استعمل ديب فعل الكلام غير المباشر، الّذي يشير إلى السّخط والغضب، وقد تمّ التّعبير عنه في التّرجمة بـأمر (اخرس...) متبوعا بنقاط ثلاث غير واردة في الملفوظ الأصليّ، حيث ساهمت في إظهار القصد إلى حدّ ما، فالأمر هنا يعني الالتزام بالهدوء أكثر ممّا يعني الالتزام بالصّمت والتّوقّف عن الكلام، وعادة استعمال هذا الفعل يعدّ وقاحة يقصد بها(أغلق فمك بإحكام). وبالعودة إلى السّياق الّذي وردت فيه هذه الأفعال الأمريّة نجد أنّها في حوارات يكون فيها المخاطِب غير راض عن مخاطَبه، الفعل الأوّل صدر من عمر تجاه عني عندما امتنعت عن الكفّ عن تصرفاتها، فما كان من عمر إلّا أن أمر والدته بالسّكوت وكان أمرا ممتزجا بالغضب من أفعالها نحو جدّته وليس نتيجة لتهديدات والدته له. وفي سياقات أخرى نتج فعل الأمر من عيني نحو عمر لإظهار السّخط والغضب، وقد تكرّر هذا الفعل عدّة مرّات في المدوّنة في سياقات مختلفة، يدلّ على أنّ عيني لا تحتمل التّحدّث مع أبنائها، فلا مجال لهم للمشاركة في حديثها، سريعة الغضب، امرأة متسلّطة وسليطة اللّسان، تتعمّد تعنيف أولادها جسديّا ومعنويّا. فاختيار المترجم الفعل (اخرس) بدل اغلق فمك أو اسكت هو إدراكه التّام بتلك العلاقات بين المتحاورين وربطها بالسّياقات الّتي وردت فيه واستحضاره لها(سياق التسلّط، ومتلازمة الغضب).

"– assez, idiote!"[1]

"– كفى غبيّة."[2]

أُرسل عمر لشراء الخبز فلمّا عاد خاف من الظّلام، فطلب مرافقة أخته، فسخرت منه بسبب خوفه فردّ عليها بأمر(كفى) ممتزج بكلمة (غبيّة) لأنّ عيوشة في نظره تمادت في وصفه بالبنت الصغيرة. يتضمّن الملفوظ(assez, idiote!)الفعل الكلاميّ(assez) المترجم إلى اللّغة العربيّة(كفى) وهو فعل ينتمي إلى صنف التّوجيهيّات، والتّصريح به يكون بصيغة (آمرك بالكفّ عن ذلك) حيث تلفّظ به عمر ليفصح عن غضبه حتى أنّه شتم أخته ووصفها بالغبيّة(idiote). وعليه فإنّ القصد المراد تبليغه من خلال هذا الأمر هو الّشتم، نقله المترجم بشكل صحيح.

"–Regardez– le ; il sait commander."[1]

[1]MOHAMMED DIB, La grande maison, p.99.

[2] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 114.

"– أُنظروا كيف يجيد إصدار الأوامر."[2]

عبّر عن الملفوظ بفعل كلاميّ هو الأمر، واستنادا إلى السّياق الّذي ورد فيه هو: لمّا عاد هذا الأخير وأحضر معه الرّغيف وقد أصبح الظّلام حالكا خاف ولم يتجرّأ أن يدخل إلى المنزل، فأخذ ينادي أخته لترافقه، ولمّا جاءت أخذ يؤنّبها ويشتمها، فردت عليه ساخرة. فإصدار الأمر مرتبط بالقوّة والسّلطة وهو قبل قليل كان خائفا يستنجد بأخته والآن بعدما شعر بالأنس أخذ يسترجل أمامها، فهذا الفعل يحمل قوّة إنجازيّة مستلزمة تفهم من سياق الكلام تمثّلت في السّخرية، ويتّضح ذلك أكثر من خلال ربطه بالفعل الّذي قبلة(كفى)، أين تظهر قوّة تأثير هذا الفعل على عمر. نلاحظ في هذا القول أيضا أن لا وجود للمخاطَبين ولكن الفعل جاء على صيغة الجمع(regardez). وعادة تستعمل بهذه الصّيغة في الاستعمال اليوميّ، وقد استعملت بنفس الصّيغة في التّرجمة(انظروا)، وتمّ حذف(le) في التّرجمة (لم يقل انظروا إليه) حيث وقع تركيز المترجم على تصرفات الشّخص في تحديد القصد وليس الشّخص نفسه.

"– Mes amis, le monde est déjà assez outragé comme ça!"[3]

"– يا أصحابي، كفى إهانة للحياة."[4]

يصبّ القصد في هذا الملفوظ في الغضب، فعندما أضرب الفلّاحون عن العمل في المزارع، فما كان عليهم إلّا أن اجتمعوا لمناقشة أوضاعهم الجديدة، فاسترسلوا في الحديث عن الفلّاح، وإهانته، وأن لا قيمة له ولكلامه، وجعل هذا الكلام بادعدوش ينتفض غاضبا من كلامهم، فأصدر أمرا بالكفّ عن تلك الإهانة؛ لأنّهم تمادوا في ذلك، وقد جاء هذا الأمر تأكيدا لما قاله في البداية(**إلّا أنّكم تهينون الحياة بهذا الكلام**)، وأعيد بصيغة الأمر لزيادة تأكيد سبب غضبه، فلم يستطع بادعدوش كظم غيظه فخاطبهم بكلام أكثر حدّة، يطالبهم بتقدير النّفس لكسب احترام الجميع. وهذا الفعل الإنجازيّ الّذي غرضه الغضب قد حقّق تأثيرا لدى المخاطَب، إذ لم يُبد أحد رغبة في الحديث بعد كلام بادعدوش. في الملفوظ الأصليّ لا وجود للفعل(كفى) وإنما أضافه المترجم ليوضح القصد من الكلام والمتمثل في

---

[1] MOHAMMED DIB, La grande maison, p. 99.

[2] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص114.

[3] MOHAMMED DIB, L'incendie, p. 40.

[4] محمّد ديب، الحريق، ص145.

الغضب، كما تمّ تغيير التّركيب الخبريّ الموجود في الملفوظ الأصليّ(le monde est déjà assez outragé comme ça)إلى تركيب إنشائيّ ليتمكّن من نقل تلك الحمولة التّداوليّة الّتي حملها الملفوظ الأصليّ. لو نقترح مثلا هذه التّرجمة(العالم مهان بما فيه الكفاية) لما ظهرت ضمنيّة الغضب.

"– Sens! Sens! Tu verras."[1]

"– شم، شم، فستجد أن ثمة رائحة كريهة."[2]

استنادا إلى السّياق الّذي ورد فيه الملفوظ الّذي يتضمن بعدا تلميحيّا، بجعل الرّائحة الكريهة هي سي قره يُظهر عن ذكاء قائله، فلم يشأ أن يكون وقحا مع مخاطَبه، اختار أن يلمّح عمّا يقصده، عن طريق نقل الكلام إلى مستوى الإضمار، إذ تضمّن قصدا آخر هو السّخرية بمعنى : إنّ أفعالك كريهة، ولم يكن يقصد فعلا فعل الشّمّ. لقد شكّلت كلمة الرّائحة الكريهة مفتاحا للإضمار الّذي يلحّ عليه المخاطِب، حيث نجد أنّها غير واردة في الملفوظ الأصليّ، لكنّ المترجم أضافها ليحاول إظهار القصد المضمر.

في نفس الموقف وبفعل آخر(الاستفهام) أفاد قصد الازدراء (**رائحة كريهة؟ شم رائحة كريهة؟– كيف يا مسيو قره**)(**ça sent mauvais ? sent mauvais ? comment, messire kara**) تظهر براعة المخاطِب في التّعامل مع الأفعال الكلاميّة(لعبة الأفعال).

"– Tu peux me fiche dedans si tu veux. Je regarde."[3]

"– ارم بي في السّجن إن شئت، أنا أنظر."[4]

في الملفوظ الأصليّ لا وجود لكلمة السّجن، وإنّما استعمل معنى(ارم بي إلى الدّاخل) بمعنى السّجن، والمترجم صرّح بذلك مباشرة، إذ نقل المعنى دون اللّفظ. إذ استطاع نقل الفعل بنفس القوّة الإنجازيّة(الأمر) ليحمل القصد نفسه وهو التّحدّي. وقد ورد في حوار رجل مع شرطيّ حين أمر هذا

[1]MOHAMMED DIB, L'incendie, p.64.

[2] محمّد ديب، الحريق، ص170.

[3] MOHAMMED DIB, Le métier à tisser, p.148.

[4] محمّد ديب، النّول، ص 377.

الأخير رجلا كان مع جمع من النّاس يحيطون بامرأة اقتيد زوجها إلى مركز الشرطة فوقفت هناك، ومن بين أولئك النّاس رجل يراقب ما يحدث، تقدّم منه شرطيّ وهدّده الشرطي بالانصراف وإلّا رماه في السّجن، فردّ عليه الرّجل متحدّيا، غير مبال، فهو لم يخطيء، وإنّما ما فعله سوى النّظر إلى ما يحدث مندهشا. **أنا أنظر:** لست مخطئا ما فعلته هو النّظر ارم بي في السّجن.

"–Des oliviers, des prés verdoyants, des vignobles. Vois, messire Kara."[1]

"– أُنظر يا مسيو قره إلى جنائن الزّيتون، والمراعي الخضراء، وكروم العنب."[2]

اعتمد المترجم في نقل الحوار على أولويّة الفعل في تركيب الجملة، بينما في النّصّ الأصليّ تمّ تأخير الجملة الفعليّة.

القصد من هذا الحوار هو إظهار الاعتراض في قول سليمان، بعدما وصف قره الفلّاحين بالقمل، وأنّ الرّائحة الّتي كانت من المفروض تنبعث من أعماله القذرة نسبها إلى الفلّاحين وأنّهم سبب القذارة، حتّى وإن سكنوا الجنّة سيوسّخونها، هذا ما جعل سليمان يطلب منه النّظر حوله ليرى ماذا صنعت أيدي أولئك الفلّاحين إذ حوّلوا الحقول إلى جنائن، فجاء قول سليمان معترضا على قول قره، وضدّ ما كان يتوهّمه. وتكمن القوّة القصدية للأمر في الاعتراض على احتقار قره للفلّاحين وردّا على كلامه، وتصدّر ذلك فعل الأمر(انظر) ويقصد بذلك انظر لترى الحقيقة. وقد استطاع المترجم عن طريق التّرجمة الحرفيّة نقل نفس القصد.

"– comment se peut–il que tes amis nous fassent tant de mal ?"[3]

"– فانظر مقدار الأذى الّذي ألحقه بنا أصدقاؤك."[4]

ألقى سليمان على مسامع قاره مجموعة من الأحداث السّلبيّة الّتي مرّت عليه وعلى عائلته، بنبرة الانتقاد وتحميل المسؤوليّة على عاتق قره، وتهجين تلك الأفعال الّتي تسبّبوا بها أسياده. وقد جاء ذلك في الملفوظ الأصليّ بقوّة إنجازيّة تمثّلت في الاستفهام الّذي يقصد من وراءه اللّوم، وترجمته تضمّنت

[1] MOHAMMED DIB, L'incendie, p.64.

[2] محمّد ديب، الحريق، ص 170.

[3] MOHAMMED DIB, L'incendie, p.68.

[4] محمّد ديب، الحريق، ص174.

القصد نفسه لكن بقوّة إنجازيّة أخرى هي الأمر(انظر...) مستأنفا كلامه كتعقيب على الفعل السّابق في المثال السّابق. فعند قراءة التّرجمة نجد أنّه لم يقصد فعلا الأمر بالنّظر، وإنّما يلومه هو وأمثاله الّذين خانوا وطنهم على ما حدث له، وهو ما عبّر عنه في الملفوظ الأصليّ.

"– Tu peux aller dire tout cela à tes autorités."[1]

"– اذهب إلى السّلطات فقل لها على لساني هذا الكلام كله."[2]

في نفس سياق حوار سليمان مع قره عندما غضب سليمان من قره، صبّ كلّ غضبه وأخرج كلّ ما بجعبته، طلب من قره الذّهاب للسّلطات لنقل كلامه، والدّليل على أن هذا الأمر حمل معنى التّحدّي استتبعه قوله هذا بجملة (**إنّني مستعدّ للذّهاب إلى المعتقل إذا لزم الأمر**) (**فلست أعبأ بذلك**)، فلو كان قوله على سبيل الأمر لا التّحدّي فسيتوقف كلامه عند الجملة الأولى، كما أنّ سليمان أراد أن يقول أنّني على علم يا قره أنّك ستنقل هذا الكلام، فالجميع يعلم أنّه عميل لدى السّلطات، سئموا من تجنّب الكلام أمامه.

نجح المترجم في التّعبير عن القصد(التّحدّي) باستعماله التّصريح بفعل الأمر(اذهب) بدلا من (يمكنك الذّهاب وقول هذا لسلطاتك) الّتي تبدو جملة أقلّ حدّة من المترجمة، كذلك جملة (على لساني هذا) توّضح قوّة التّحدّي.

"– **Laisse**, mon cœur est plein à déborder. J'ai besoin à pleurer."[3]

"– دعيني، لقد طفح قلبي.إنّني في حاجة إلى البكاء."[4]

كانت إحدى الزّوجات ترثي حالها بسبب ذهاب زوجها إلى الجهاد، فردّت الثّانية محاولة تهدئتها، فقالت الأولى آمرة **دعيني**. وقد ترجم ترجمة حرفيّة، بنقل الفعل الكلاميّ (Laisse) إلى اللّغة العربيّة بمقابله(دعيني) وهو فعل إنجازيّ توجيهيّ غير مباشر، قوّته الإنجازيّة الأمر، وبالنّظر إلى هذا الفعل تداوليّا، وباستحضار مقتضيات إنتاجه نجد أنّ القصد التّداوليّ يصبّ في الاعتراض على كلام المرأة،

[1] MOHAMMED DIB, L'incendie, p.68.

[2] محمّد ديب، الحريق، ص174.

[3] MOHAMMED DIB, l'incendie, p.95.

[4] محمّد ديب، الحريق، ص204.

وإظهار الرّغبة الملحّة في البكاء(دعيني أبكي)، وهو ما كانت تقصده الزّوجة وليس ظاهر الكلام بمعنى الانصراف والتّرك.

"– Chasse le Malin de ta pensée."[1]

"– اطردي إبليس من نفسك."[2]

استكمالا للموقف السّابق والسّياق نفسه نجد ردّ الثّانية على الأولى بفعل الأمر اطردي إبليس من نفسك، وتكمن قصديّة هذه العبارة في التّخفيف من حزنها، وأن تتقبّل قدرها: **هوّني عليك، اهدئي، هدّئي نفسك، لا تبك، تقبّلي الوضع...إلخ**

"– Arrêtez!"[3]

"– قفوا."[4]

في النّص الأصليّ ورد هذا الفعل " arrêtez" المفروض تترجم توقّفوا وليس قفوا. فعل كلاميّ غير مباشر. أفاد الأمر في هذا القول معنى آخر هو الكفّ عن عمل شيء وليس الوقوف.

"– Pitié! Je ne suis qu'un pauvre homme, obligé de gagné ma vie."[5]

"– ارحمني. ما أنا إلّا رجل فقير مضطرّ إلى كسب رزقه."[6]

إنّ الفعل الكلاميّ الوارد في هذا الملفوظ يتضمّن قوّة إنجازيّة مفادها الأمر، ويحمل قصدا مغايرا تماما لما قيل، إذ يفيد التّبرير ومحاولة تبرئة النّفس بسبب فعل إجراميّ قام به الشّرطيّ. بالاستناد إلى السّياق الّذي يشير إلى أنّ شرطيّا فرنسيّا حاوره حميد سراج كان ظالما ولم يتدخّل للدّفاع عن طفل مظلوم في الشّارع، وقد وصف حميد سراج الحادثة بوصف أولئك الّذين كانوا يضربون صبيّا في مشهد

---

[1] MOHAMMED DIB, L'incendie, p. 95.

[2] محمّد ديب، الحريق، ص 204.

[3] MOHAMMED DIB, L'incendie, p. 101.

[4] محمّد ديب، الحريق، ص212.

[5] MOHAMMED DIB, L'incendie, p.105.

[6] محمّد ديب، الحريق، ص 216.

بشع، فجاء ردّ الشّرطيّ بفعل الأمر ارحمني، فقد أراد الشّرطيّ أن يبرّر سبب رفضه التّدخّل لإنقاذ الطّفل بجملة (Pitié) التّي ترجمت ترجمة حرفيّة(ارحمني) وقد احتوت على القصد نفسه وهو: أنّ حاله كحال الموظّفين ما بيده حيلة فقد كان مجبرا على ذلك، وأنّ حميد سراج قد ظلمه بالحكم عليه.

"–Fille, laisse–moi souffler un peu."[1]

"– دعيني أتنفّس قليلا يا بنتي."[2]

عادت عيني أدراجها ولم تسافر إلى المغرب، فلمّا دخلت هرعت إليها ابنتها عيّوشة سائلة بإلحاح عن سبب عودتها، وكان ردّ عيني بأن تدعها تأخذ نفسا.

الفعل الكلاميّ(laisse–moi souffler un peu) ترجم ترجمة حرفيّة محضة، ونقل إلى اللّغة العربيّة بمقابله(دعيني أتنفّس قليلا)، وهو فعل إنجازيّ توجيهيّ غير مباشر، قوّته الإنجازيّة الأمر، وأفاد القصد التّداوليّ: الرّجاء والمبالغة في الطّلب، لأنّها في الأصل كانت تتنفّس ولم ينقطع تنفسها، وبدا يأتي المضمون كالتّالي (أترجّاك يا ابنتي أنت تضغطين عليّ، تلحّين، امنحيني وقتا كافيا)، وتفهم البنت مباشرة أنّ والدتها تريد وقتا حتى تسترجع قوتها لتسرد الواقعة. وهذا القصد غير المباشر حافظ عليه المترجم.

"– Va–t'en maintenant! Va!"[3]

"– اذهب الآن، اذهب.."[4]

لقد جرى هذا الحوار بين الأحمر وعمر، حيث وقع تشاجر بينهما أدّى إلى رشق عمر بمجموعة من الإهانات من طرف الأحمر وطلب منه الانصراف بفعل كلاميّ (va–t'en). هذا الملفوظ وراءه معنى مسكوتا عنه يستنطق من سياق الحوار وما يترتّب عنه لاحقا، فالأحمر لا يسعى إلى أمر عمر

[1]MOHAMMED DIB, L'incendie, p. 137.

[2] محمّد ديب، الحريق، ص 245.

[3] MOHAMMED DIB, Le métier à tisser, p.58.

[4] محمّد ديب، النّول، ص213.

بالذّهاب كما يشير إليه المعنى الحرفيّ، والّذي نقلته التّرجمة الحرفيّة بالفعل (اذهب)، بل يتوعّده، وهو ما يفسّر على مستوى السّياق. فهو لم يطلب منه الذّهاب، وإنّما القصد هو: أنت ذاهب الآن، لكنّك ستنال عقابك لاحقا. كما تجدر الإشارة إلى أن العنصر الإشاري (الزماني) " maintenat" ترجم حرفيا بـ:" الآن" يفسره السّياق ويوضّح المقصود منها تداوليّا، ويفسّر بزمان عقاب عمر (لاحقا)، الّذي تحقّق فعلا بالدّليل شجاره معه وتعنيفه وطرده من العمل. إنّ التّرجمة الحرفيّة المعتمدة في هذا الملفوظ جمعت كلّ العناصر المرتبطة بالسّياق الّذي يفسّر العنصر الإشاريّ.

"– Aïe! Ne disons pas, Zina ma chère, que nous avons déjeuné. Disons seulement que nous avons trompé la faim, nous souhaiterions, bien sûr ; nous souhaiterions.."[1]

"– لا تقولي، يا عزيزتي زينة، أنّنا تغذّينا. بل قولي أنّنا خادعنا الجوع. نحن نتمنّى لو نتغذّى، طبعا نتمنّى.."[2]

حسب السّياق الّذي ورد فيه النّهي، يتّضح أنّ جارة عيني قد جاءت عندها وقت الغداء فسألتها إن تغذيتم؟ فردّت عيني بجملة ناهية' لا تقولي" تعبيرا عن قصد تداوليّ هو: النّفي. والمقصود بالنّهي في هذا الحوار: التّصريح بنقيض الشّيء، إذ نجد أنّ عيني قد اتّكأت في قولها على جملة تحمل معنى يشير إلى عكس ما قالت الجارة (بل خادعنا الجوع) وهو قول يتّجه بنا إلى الجزم بقصديّة النّفي.

نلاحظ أنّ التّرجمة الحرفيّة نقلت الحوار نقلا حرفيّا لم يخل بقصد المخاطِب. كما جعلت القارئ يبني افتراضا بأنّهم تعوّدوا على الجوع من خلال ردّة فعل عيني، وهو الافتراض ذاته في اللّغة الهدف.

"– N’espère pas le bonheur. N’espère pas vivre tranquille, n’espère pas."[3]

"– لا تأمل في أن تصبح سعيدا، لا تأمل أن تعيش حياة مطمئنّة، لا تأمل."[4]

---

[1] MOHAMMED DIB, La grande maison, p. 31.

[2] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 39.

[3] MOHAMMED DIB, La grande maison, p.47.

[4] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 57.

يدور سياق هذا الملفوظ في أنّ عمر يرغب بالدّراسة وترك العمل، فردّت العمّة بتكرار النهي " لا تأمل" فالفعل الكلاميّ المكرر"N'espère pas " ترجم ترجمة حرفيّة وهو فعل توجيهيّ قوّته الإنجازيّة النّهي وغرضه التّداوليّ التّيئيس من الظّفر بالسّعادة والعيش الكريم إذا سلك طريق الدّراسة، وهو ما كانت تقصده العمّة بكلامها، حيث تريد أن تبرر سبب ذلك بأنّ الحياة، والرّجولة عمل، وشقاء، ووقوف ندّا للندّ أمام قسوة الآخرين، وهو الشّيء الذّي لا تمنحه له المدرسة. هي تريد أن تضعه أمام حقيقة هي في الواقع حقيقة أغلب الجزائريّين آنذاك.

لقد حافظ الفعل الكلاميّ على قوّته الإنجازيّة بعد ترجمته، كما حافظ على قصديته أيضا رغم النّقص الموجود على المستوى التّركيبيّ، إذ يمكن تفادي التّكرار وخلق رابط بين الجملتين، وبذلك يأتي الكلام على النّحو التّالي: (لا تأمل في أن تصبح سعيدا، وأن تعيش حياة مطمئنّة)، لكن المترجم راعى الجانب التّداوليّ على حساب التّركيبيّ لبيان المراد.

"– Vous êtes un agent de police, même si vous n'êtes plus maintenant qu'un esprit, et je crois que vous ne l'oubliez que trop."[1]

"– أنت شرطيّ، وإن لم تكن الآن إلّا روحا. لا تنس هذا."[2]

حميد سراج في حالة هذيان من شدّة التّعذيب لا يكاد يرى شيئا أمامه، وهو في حالة اللّاوعي سمع صوت الشّرطيّ يناديه ويحدّثه عن الصّبيّ عمر، فرفض حميد سراج تصديق ذلك، كونه شرطيّا لا شأن له بعمر، وما يؤكّد له ذلك هو أنّ ذلك الشّرطيّ(في اعتقاده) لا وجود له في الحقيقة مجرّد روح، فكيف يكون فعلا يعرف عمر إذ كان هو غير حقيقيّ أصلا؟ وهذا ما قصده بالنّهي(لا تنس هذا) بمعنى لا تنس أنّك غير موجود فكيف تدّعي معرفتك لعمر؟

الفعل الكلاميّ(Ne l'oubliez que trop) ترجم ترجمة حرفيّة ويقابله باللّغة العربيّة " لا تنس هذا) وهو من صنف التّوجيهيّات، ويكون التّصريح بالقصد" أنهاك عن ذلك" ولكن بالعودة إلى مقام التّواصل نجد أنّ حميد مجرّد سجين في مقابل شرطيّ يملك صلاحية أن يكون النّاهي والآمر...إلخ فالقصد التّداوليّ منه هو التّكذيب.

---

[1]MOHAMMED DIB, L'incendie, p. 104.

[2] محمّد ديب، الحريق، ص 215.

"– Avec moi, ne fais pas ton klir!"[1]

"– لا تحاولي أن تكوني معي كصاحبك كلير ! "[2]

يتضمّن هذا الحوار توجيها بمحاولة جعل المخاطَب يتصرّف بطريقة تجعل كلامه مهذّبا، وقد جاء هذا كردّ فعل على شتم زبونة عيني، واحتقار أبنائها، واتّهامها بصرف ثمن القماش الّذي كان من المفروض أن يكون ثوبا جاهزا لحضور الزّفاف، لهذا وصفت عيني المرأة بهتلر وهو وصف مقترن بتشابه تصرّفات الإثنين(احتقار الآخر). افتتحت عيني كلامها بنهي محمّل بغضب شديد يهيّء المتلقّي على فهم قصديّة عيني وهي: التّعبير عن الرّفض واستنكار سلوك المرأة.

يحتوي هذا الملفوظ على فعل كلاميّ هو "ne fais pas ton klir!" الّذي نقل نقلا معنويّا لا لفظيّا إلى اللّغة العربيّة " لا تحاولي أن تكوني معي كصاحبك كلير" قوّته الإنجازيّة هي النّهي والتّرك عن فعل شيء، وهو غير صريح وإلّا جاء على هذه الصيغة (أنهاك عن فعل ذلك) والقصد التّداوليّ منه هو كما أسلفنا (الاستنكار). فالفعل (ne fais pas) يقابله بالعربيّة (لا تحاولي) وهو الأنسب لتحقيق الغرض، لأنّ التّرجمة الحرفيّة (لا تفعلي) تكون أقرب إلى النّصح من الاستنكار، فهي في مقام الغضب، كما أنّ المترجم أضاف كلمة (صاحبك) الّتي لم ترد في النّصّ الأصليّ لتقريب المشابهة بين الشّخصين.

"– Alors, ne cherche pas à te distinguer, toi aussi."[3]

"– إذن لا تحاول أنت أيضا أن تجعل لنفسك ميزة."[4]

يتعلّق سياق حوار حمدوش مع عبّاس، عندما أخبرهم بضرورة زوال الفروق بين البشر، وأنّ من يعارض ذلك يُسحق، فشعر عبّاس بأنّه هو المقصود، لأنّه في سياق سابق اعترف عباس بوجود هذه الفروق رغم أنّهم جميعا بشر، كما تقبّل ذلك وجعله مقدّر عليه، مع ذلك ساير في هذا السّياق حمدوش في كلامه تفاديا الخوض في صراع معه لأنّه حادّ الطّبع، حيث قال له: **هذا رأيي أنا أيضا**. فردّ عليه

---

[1]MOHAMMED DIB, L'incendie, p.144.

[2] محمّد ديب، الحريق، ص251.

[3] MOHAMMED DIB, Le métier à tisser, p.143.

[4] محمّد ديب، النّول، ص 374.

حمدوش بأنّه كاذب ومدّع، وأنّ رأيه رأي جميع النّاس فلا داعي للتّضليل، ما جعل عبّاس ينهاه عن محاولة ادّعاءه الاختلاف مادام الجميع على رأي واحد(حسب ما قاله حمدوش) إذن لماذا أنت مختلف عن غيرك؟

الفعل الكلاميّ(ne cherche pas) ينتمي إلى صنف التّوجيهيّات، قوّته الإنجازيّة هي النّهي، قصده التّداوليّ هو: الاعتراف بالحقيقة. والمترجم ترجم ترجمه حرفيّة، فقد كان بإمكانه أن يقول: (لا تجعل نفسك مميزا) ويكون التّصرّف حاملا للمعنى العامّ، ولكن مراعاة للمقصد التّداوليّ لم يشأ إسقاط الفعل الرّئيسيّ الّذي يدلّ على محاولة الإخفاء، فجملة (لا تحاول أو لا تبحث عن...) أكثر تعبيرا عن الاعتراف بالحقيقة من الفعل(لا تجعل).

أمّا فيما يخصّ ترجمة الأحجية الّتي تحكى للأطفال، فهي في أصلها باللّغة العاميّة، وهذا يخلق نوعا من الإشكالية عند المترجم إذ يجد مجموعة من الخيارات، هل يعيدها إلى أصلها بالعاميّة؟ وإن كان الأمر كذلك، ألا يقلّل ذلك من حدود فهمها عند القارئ العربيّ؟

"– Jaune et fané, entouré de langes : devine–moi ce que c'est, ou va–t'en de mes cotés.

– le maïs! Le maïs! S'écria–t–il avant qu'elle eût fini."[1]

"– صفراء ذابلة تلفها غلف، ماهي؟ إن حزرت حزرت، وإن لم تحرز وقعت.

فصاح الفتى يقول قبل أن تكمل ماما كلامها:

– الذّرة، الذّرة."[2]

"– une maison de fer j'ai, par des nègres hantée : devine–moi ce que c'est, ou tu auras cent coups de mon fouet.

– la pastèque, idiot! Révéla Zhor."[1]

[1] MOHAMMED DIB, L'incendie, p.26.

[2] محمّد ديب، الحريق، ص 130.

"– عندي بيت من حديد، في داخله عبيد، إن حزرت أعطيتك، وإن لم تحرز بالسّوط ضربتك. ماهو؟

– هو البطّيخة يا مغفّل."[2]

الأحجية الأولى تحمل معنى أوّليّا هو الذّرة ومعنى آخر يحمل قصدا آخر مرتبط بسياق الرّواية؛ وهو أنّ الجزائر هي تلك الصّفراء الذّابلة، في حين إنّ الثّانية قصد بها الجزائر الّتي هي أشبه بسجن(بيت من حديد) والشّعب الجزائريّ داخله مثل العبيد الّذي سلبت حريّته. الملاحظ أنّ المترجم اعتمد إستراتيجيّة الحذف والتّغيير الممكن، مراعيا استجابة القارئ واستيعابه وتقبّله لما يماثله في النّصّ الأصليّ، فاستبدل جملة(ou tu auras cent coups de mon fouet.) وعوّضها بجملة (إن حزرت أعطيتك، وإن لم تحرز بالسّوط ضربتك) لضمان فهم القصد. فلو قلنا (سيكون لك مائة ضربة بسوطي) يصبح كلاما عاديا أقرب إلى اللّغة العاديّة من اللّغة الأدبيّة، فالجرس الصّوتيّ بين كلمتي(أعطيتك، ضربتك) أكثر إقناعا للمتلقّي، وجذبا له من التّرجمة الحرفيّة. كما أنّ محور اهتمام المترجم – في هذا المثال– هو الجانب التّداوليّ، وليست تلك الوحدات المعجميّة(الجانب اللّغويّ).

"Parbleu! Omar savait bien que c'était **encore** un mensonge. Il semblait être sur le point de dire quelque chose **encore**."[3]

"عجيب.. لقد كان عمر يعرف أن ذلك كذب. كان يلوح عليه أنه يهم بأن يقول شيئا آخر **أيضا**."[4]

قام المترجم بترجمة كلمة « encore» بـ"أيضا" وهي ترجمة حرفية مناسبة للكلمة الأصليّة، فبالتّالي جعل حضورها مصدرا من مصادر المحافظة على الافتراض المسبق، ودليلا للافتراض بأنّ أمرا آخر مخالفا لما قيل، ويحمل محتوى مضمرا قد صرّح عنه المعلّم بصوت خافت. وهو أنّ فرنسا ليست هي الأمّ.

"– Il n'ya rien de **nouveau**, Zahra. Tu peux rentrer chez toi."[5]

---

[1]MOHAMMED DIB, L'incendie, p.27.

[2] محمّد ديب، الحريق، ص130.

[3] MOHAMMED DIB, La grande maison, p. 12.

[4] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص21.

[5] MOHAMMED DIB, L'incendie, p.38.

"– ما من أخبار **جديدة** يا زهرة. عودي إلى البيت."[1]

في هذا المثال يظهر الافتراض المسبق في الملفوظ" ما من أخبار **جديدة**"، ومفاده أنّ زوج زهرة كان غائبا ومصيره مجهولا، وتنتظر عودته بفارغ الصّبر. ولو عدنا إلى التّرجمة نجد أنّ كلمة" **nouveau**" قد ترجمت ترجمة حرفيّة " جديد" ممّا حافظ على نفس الافتراض المسبق، حيث إنّ سياق الخطاب يبيّن أنّ زهرة في كلّ مرّة تمرّ على جماعة من الرّجال تحاول أن تأخذ أخبارا جديدة عن زوجها الّذي اعتقلته السّلطات الفرنسيّة.

"–Et moi, dit–elle. Je n'ai rien vu.. ?"[2]

"– وأنا؟ أتظنّين أنّني لم أر شيئا؟ ألم أقله **دائما؟**"[3]

من خلال الملفوظ باللّغة الفرنسيّة نفهم أنّ الجارة تدرك تمام الإدراك قول عيني، وهي تشتكي عن حالتها، فردّت جارتها بقولها السّابق، فقد كان بإمكانها القول إنّها رأت ذلك، ولكنّها عمدت إلى النّفي والاستفهام (ne, rien) فهو بمثابة البوح والتّأكيد والإقرار بالحقيقة عن تضحيّاتها المتكرّرة. والملفوظ المترجم(دائما) حمل نفس الافتراض، وعبّر عن نفس المحتوى الضّمنيّ، كذلك الجملة الاستفهامية(أتظنّين؟) غير واردة في الملفوظ الأصليّ، ولكن المترجم تعمّد إضافتها ليحافظ على القصد الضّمنيّ، فلو قال(ألم أر شيئا) لما استطاع أن ينقل لنا الافتراض المسبق بأنّ الجارة على علم بكلّ شيء، وأنّ ملاحظتها لمعاناة عيني كانت لازمة، وفي هذه الحالة يظهر جليّا ارتباط الجملة الاستفهاميّة بكلمة(دائما) وملازمتها لها.

- ✓ **اختصار وتصغير بعض العبارات:**

"– On pourrait avoir de la viande **Ma** ?"[4]

– نستطيع أن نشتري اللحم يا **أمي؟**"[1]

[1] محمّد ديب، الحريق، ص142.

[2] MOHAMMED DIB, La grande maison, p.31.

[3] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 40.

[4] MOHAMMED DIB, La grande maison, p.70.

"– N'est ce pas, **Ma** ?"[2]

"– أليس كذلك يا **أمي؟**"[3]

"– C'est vrai, **Ma** ?"[4]

"– صحيح يا **ما؟**"[5]

"– Tu verras, **Ma**"[6]

" – سترين يا **ما.**"[7]

"– **Ma**! **Ma**! **oumima**!"[8]

"– يا **ما** يا **ما** يا **دميمة.**"[9]

يحتوي الخطاب الأصليّ على كلمات ممزوجة بالعاميّة(oumima, ma, mama)، فقد أرجع الكثير من الكلمات إلى أصلها العاميّ في مقابل كلمات قياسيّة في اللّغة الفرنسيّة مثل: maman

وما يلاحظ في المدوّنة المترجمة أنّ المترجم قد استخدم كلمة أمّي في مواضع مختلفة عوضا عن (مّا)، لأنّه ينزع دوما إلى اللّغة الفصيحة، وأحيانا أخرى يستعمل(يا ما).

أمّي= maman، يا ما= ma.

---

[1] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 82.

[2] MOHAMMED DIB, La grande maison, p78.

[3] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 90.

[4]MOHAMMED DIB, La grande maison, p.79.

[5] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 91.

[6] MOHAMMED DIB, La grande maison, p. 79.

[7] محمّد ديب، الدّار الكبيرة، ص 92.

[8] MOHAMMED DIB, L'incendie, p. 137.

[9] محمّد ديب، الحريق، ص 126.

من خلال النّماذج المعروضة تبيّن التّغيير الّذي أحدثه المترجم على مستوى الملفوظات، وهذا التّصرّف في الخطاب الأصليّ هو في الحقيقة يندرج ضمن خياراته، وليست أخطاء ترجميّة؛ لأنّ هدفه الأساس هو تبليغ المقاصد.

خاتمة

من خلال هذه الدّراسة الّتي تناولنا فيها بالبحث تداوليّة الحوار في ثلاثيّة محمّد ديب وفق مبدأ التّعاون ونظرية أفعال الكلام، والتّفاعل الكلاميّ، توصّلنا إلى مايلي:

– كان محمّد ديب بارعا في استخدام الحوار، فبالرّغم من طوله أحيانا إلّا أنّنا لا نحسّ بانقطاع عند الانتقال إلى الحوار المواليّ، كما لا يحتاج إلى العودة لبداية الحوار لاسترجاع سبب القول مثلا أو تحديد أطراف الحوار رغم التّنويع في الشّخصيّات وتعدّد الأطراف.

– كشفت تقنيّة الحوار عن الرّغبة الملحّة في التّواصل مع كلّ الأطراف على اختلاف سنّهم وطبقاتهم ومستواهم الفكريّ، كلّ ذلك يظهر ما يريده محمّد ديب لمجتمعه.

– بعد تحليل المدوّنة وفق مبادئ غرايس وجدنا تجاوزا لحدود المعنى الصّريح، ففي كلّ مرة تختلّ قاعدة من قواعده– إلّا في بعض الحوارات–

– لكلّ عمليّة حواريّة هندسة معيّنة لكنّها لا تخرج عن نطاق النمطين الّلذين ذكرناهما في الفصل الأوّل.

– تقنيّة الحوار الّتي اعتمدها محمّد ديب أسهمت بشكل واضح في تحديد الأبعاد التّداوليّة.

– إنّ الشّخصيّات أثناء حواراتها قد ابتعدت عن مبدأ التّعاون، وهذا يعني اقترابها من تحقيق الاستلزام الحواريّ الّذي يناسب الأعمال الأدبيّة، ولعلّ السّبب في ذلك يعود إلى أنّ الثلاثية تعكس الواقع، لهذا اختار المخاطِب في كلّ مرة في حواراته طّريق الزّيف واللّامبالاة والمراوغة في تقديم المعلومات بعيدا عن الحقيقة، ليقترب أكثر ممّا يؤمن به هو، حتّى وإن كانت تلك الحقيقة يدركها المخاطَب. كما أنّ سياق الرّواية يفرض أن تكون تلك الشّخصيّات على تلك الصّورة.

– يحدث عدم احترام مبدأ التّعاون في اللّغة العاديّة أثناء تأسيس حوار حقيقيّ، إمّا لعدم كفاءة المخاطِب في توصيل قصده، أو لامبالاته، أو بسبب ارتكاب أخطاء أثناء الكلام، أو الرّفض التّام للتّعاون، لكن بالمقارنة مع الكلام الأدبيّ – مثلما هو الحال في الثّلاثيّة– يكون ذلك مقصودا لتقديم أنموذج ما ليفسّره، أو يقيّمه المتلقّيّ، فحتّى أثناء خرق تلك القواعد التّعاونيّة إلّا أنّ المبدأ ظل قائما ظاهرا في المستوى العميق، ينتظر قارئا ما يمكنه التّعرّف عليه.

– تبيّن من خلال المدوّنة أنّ وظيفة اللّغة في الحوارات لا تقتصر فقط على إيصال المعلومات، بل تكفّلت بتحويل الأقوال إلى أفعال صادرة وفق معطيات سياقيّة. ومن الأفعال الكلاميّة الأكثر حضورا في المدوّنة حسب تقسيم سيرل هي الأفعال التّوجيهيّة، إذ تراوح حضورها بين الاستفهام، والأمر، والنّداء، والنّهي، والّتي حملت مقاصد عديدة تتوافق ومضمون الثّلاثيّة الّتي تعالج قضايا اجتماعيّة وسياسيّة.

– إنّ الّتنوّع في استعمال الأفعال الكلاميّة تشير إلى حالة المخاطِب الدّاخليّة وعلاقته بالطّرف الآخر، ورغبتة في تحقيق هدف معيّن، ما جعله يستعمل قوى إنجازيّة مختلفة تضمن استمراريّة سلوك المتحاور، حيث رأينا كيف أنّ قوة الفعل الإنجازيّ قد تتحقّق لاحقا في الرّواية بفعل قوة إنجازيّة أخرى، وهذا ما يفسر تلك الرّغبة الّتي تدفع المخاطِب لتحقيق أهدافه وتوصيل مقاصده.

– من خلال تحليل نماذج مختلفة من المدوّنة تبيّن لنا أنّ هذه الأفعال الكلاميّة أغلبها غير مباشرة، تضمّنت أفعالا تأثيريّة تظهر إمّا في كلام المخاطَب، أو عن طريق تغيير في سلوكه، كما لا يمكن فكّ شفرات هذه الأفعال دون مراعاة العلاقة بين المتخاطبين.

– كشفت التّداوليّة عن جدواها في تحليل الحوار، فتلك الحوارات هي رسالة كلاميّة إمّا مباشرة تلتقط مضامينها بسهولة، أو بطريقة غير مباشرة تحتاج إلى الفهم العميق من قبل المخاطَب، إضافة إلى تفعيل الكفاية التّداوليّة، على اعتبار أنّ جوهر تلك الرّسالة تشكّل مجموع المعارف المشتركة بينهما، وانطلاقا من هذا فإنّ تلك الكفاية مشتركة بينهما، فالمخاطِب يدرك تمام الإدراك أنّ مخاطَبه قادر على فكّ الشّفرات.

– من خلال تصنيف الحوارات وتحليلها من زاوية المخاطِب والمخاطَب تبيّن لنا الهدف من التّفاعل، والمجهود العقليّ للمشاركين في العمليّة التّفاعليّة، كذلك المقاصد الواجب الوصول إليها، وكذلك واجب الالتزام بين المشاركين.

– تبيّن لنا أنّ الحوار لا يعني فقط ذلك التّبادل الكلاميّ بين المتحاورين، إذ هو عبارة عن رابط بينهم من حيث الموضوع والقصد من شأنه تقنين الحوار وتتابعه، وبذلك لا يسهم كلّ تدخّل في الحوار. كما جاءت مشاركة الأطراف في بعض الحوارات طويلة خاصّة فيما يتعلّق بتبادل الأفكار، وهذه الأخيرة هي أعلى مراتب التّواصل التي وصلوا إليها خاصّة في رواية الحريق والنّول.

– ظهر التّقارب والتّباعد بين المتحاورين حسب العلاقة الّتي تجمعهما، كما أظهرت بعض الحوارات في كثير من الأحيان درجة التّكامل، وهذا التّكامل كان نتيجة حتميّة للتّبادل التّام، ونقصد بذلك إعطاء المخاطِب الدّور الكامل للإدلاء برأيه والانصهار في موضوع الحوار، وقد خلق هذا سيرورة تواصليّة للكشف عن دلالات إضافيّة تبرز التشعّب والتّكامل بين الأفكار.

– كما تمّت الإشارة إلى أنّ التّركيز على الأفعال الكلاميّة غير المباشرة لبناء التّفاعلات قادنا إلى مفهوم الوجه، فقد جاءت بعض من هذه الأفعال مهدّدة لأوجه المشاركين، والبعض الآخر حافظت على ذلك الوجه، وهو ما بيّنته حوارات عمر مع زهور.

– بالرّغم من أنّ الثلاثية تتغيّر فيها الأماكن والشخصيّات...إلخ إلّا أنّها سارت على وفق تيمة المعاناة وهذا يظهر لنا جليّا أنّنا أمام خطاب واحد تطابق فيه الموضوع والهدف والدّور.

– وإذا كان مآل التّفاعل الكلاميّ هو البعد الحجاجيّ الّذي يرتبط بالمكانة الاجتماعيّة والسّياسيّة للمحاور، فقد منحت الحوارات نوعيّة جديدة للأفكار وأسهمت في الإقناع أثناء الحوار، وقد تبيّن ذلك من خلال اجتماع حميد سراج بالفلّاحين. فنتيجة لمكانة حميد سراج(الشّخص المثقّف ومعرفته بالآخر وتفتّحه على العالم من خلال زيارته لفرنسا وتركيا، كذلك نشاطه النّضاليّ) صار الإقناع لا يحتاج إلى أدلّة قويّة، بل المكانة الاجتماعيّة والتّشبّع بالأفكار السّياسيّة أسهمت بشكل كبير في ذلك. وهنا مكمن تجاوُز التّفاعل الإشراك في الاهتمامات الّذي كان الهدف الأوّل منه إلى هدف آخر هو الإقناع.

– لقد تمّت ترجمة القوّة الإنجازيّة للأفعال الكلاميّة بطريقة صحيحة، وتمّ التّمثيل لها في النّصّ الهدف، فما هو توجيهيّ فُسّر بفعل توجيهيّ، إذ لم يحدث التّغيير في وظيفتها أيضا في الحوارات. كما يجب أن نبرز أنّ نجاح التّرجمة لا يعني التّطابق بالاعتماد مثلا على التّلميح على مستوى الأفعال الكلاميّة بنفس مكوّنات الخطاب الأوّل، وإنّما لابدّ من مراعاة المعايير الثّقافيّة للخطابين فلا يّشترط وجوده ذلك في كلا الجانبين وإنما يّقصد بالتّطابق تحقيق القوّة بمجمل أفعال القول كوحدة كلّيّة. وأفضل دليل اعتمدناه للحكم على نجاح التّرجمة في الخطابات ذات التّوجّه التّداوليّ هو السّخريّة والتّهكّم...إلخ وفي مواضع كثيرة من الثّلاثيّة.

– أعادت ترجمة سامي الدّروبيّ للرّواية صياغة القصد من حوارات الخطاب الأصليّ محافظا على درجة التّأثير في متلقّي الخطاب المترجم، وحسب حاجات جمهور النّصّ الهدف، وذلك عن طريق تقنيّة التّرجمة الحرفيّة أو التّكافؤ. كما نقل القصد باستخدام الكلمات المتوافرة إمّا بالتّقليص أو التّوسّع. إذ راعى كميّة المعلومات المطلوبة لتحقيق القصد.

– الحكم على تداوليّة الثّلاثيّة المترجمة يبدو سهلا مقارنة بالخطابات الأخرى، والسّبب راجع إلى سهولة استقبال مضامينها، فهي رواية واقعيّة لم تعمد إلى التّنميق في الأسلوب والمبالغة في الرّمزيّة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1) القرآن الكريم، برواية ورش لقراءة نافع، كتبه الخطّاط عثمان طه، ط10، دار الفجر الإسلاميّ، بيروت 1423هـ- 2002م.

2) إبراهيم مصطفى، أحمد الزّيّات، حامد عبد القادر، محمّد علي النّجّار، المعجم الوسيط،(حور)، ط4، مكتبة الشّروق الدّوليّة، مجمع اللّغة العربيّة، مصر2004م.

3) أبو الحسين أحمد بن فارس، الصّاحبيّ في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، حقّقه وضبط نصوصه : عمر فاروق الطبّاع، ط1، مكتبة المعارف، بيروت1993.

4) أبو الفتح عثمان ابن جنّي، الخصائص، الجزء1، تحقيق: محمّد عليّ النّجّار، ط1، دار الكتب المصريّة، بيروت، لبنان2001.

5) أبو القاسم الزّمخشريّ، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السّود، ج1، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت1998.

6) أبو بكر ابن السرّاج، الأصول في النّحو، الجزء1، تحقيق: بدر الحسين الفتليّ، ط2، مؤسسة الرّسالة، بيروت1996.

7) أبو جمال قطب الإسلام نعماني، الترجمة: ضرورة حضارية، دراسات الجامعة الإسلامية شيتاغونغ، المجلد الثالث، ديسمبر 2006.

8) أبو يعقوب السّكاكيّ، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت 1987.

9) أحمد المتوكّل، آفاق جديدة في نظريّة النّحو الوظيفيّ، ط1، سلسلة بحوث ودراسات رقم 5، منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، الرّباط 1993.

10) أحمد المتوكل، الاستلزام التّخاطبيّ بين البلاغة العربيّة والتّداوليّات الحديثة ضمن التّداوليّات علم استعمال اللّغة، حافظ إسماعيل علوي، ط2، عالم الكتب الحديث الأردن2014.

11) أحمد المتوكّل، الوظائف التّداوليّة في اللّغة العربيّة، ط1، نشر وتوزيع دار الثّقافة، المغرب1985.

12) ألبرت نيوبرت، التّرجمة وعلوم النّصّ، ترجمة: محي الدّين حميدي، ط2، النّشر العلميّ والمطابع، الرّياض 1429هـ.

13) إلفي بولان، المقاربة التّداوليّة للأدب، ترجمة: محمّد تنفو، ليلى أحمياني، ط1، رؤية للنّشر والتّوزيع، القاهرة 2018.

14) أمبارتو أورتادو ألبير، التّرجمة ونظريّاتها، مدخل إلى علم التّرجمة، ترجمة: علي إبراهيم المنوفي، ط1، المركز القوميّ للتّرجمة، طبع بالهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة 2007.

15) آمنة روبة ، بن دالي محمّد الشّريف، التّكييف في ترجمة الفيلم الوثائقيّ، مجلّة التّرجمة واللّغات، المجلّد 18، العدد2، الجزائر 2019.

16) إميل بديع يعقوب، ميشال عاصي، المعجم المفصّل في اللّغة والأدب (نحو، صرف، بلاغة، عروض، إملاء، فقه اللّغة، أدب، نقد، فكر أدبيّ، المجلّد الأوّل، ط1، دار العلم للملايين، بيروت 1987.

17) أمين الزّاوي، من التّرجمة إلى عودة النّصّ، سؤال في ترجمة الأدب الجزائريّ المكتوب بالفرنسيّة إلى العربيّة، مجلّة المترجم، العدد1، جوان2001.

18) آن روبول وجاك موشلار، التّداوليّة اليوم علم جديد في التّواصل، ترجمة: سيف الدّين دغفوس، محمّد الشّيباني، ط1، المنظمة العربيّة للتّرجمة، لبنان2003.

19) إنعام بيوض، التّرجمة الأدبيّة مشاكل وحلول، ط1، دار الفارابيّ، الجزائر2003.

20) إيناس يوسف، هبة مسعد، مبادئ التّرجمة وأساسيّاتها، دط، دب، دت، 2005.

21) باتريك شارودو ودومينيك مانقونو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيريّ، حمّاد صمّود، دط، دار سيناترا، تونس 2008.

22) باسل حاتم وإيان ميسون، الخطاب والمترجم، ترجمة: عمر فايز عطّاري، دط، مطابع جامعة الملك سعود، الرّياض 1998.

23) بثينة العيسى، بين صوتين، فنّيّات كتابة الحوار الرّوائيّ، ط1، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، دب 2014.

24) بدر الدّين محمّد بن عبد الله الزّركشيّ، البرهان في علوم القرآن،ج2، دط، دار الكتب العلميّة، بيروت 2001.

25) بشير إبرير، مفهوم التّبليغ وبعض تجلّياته التّربوية في التّراث اللّسانيّ العربيّ، مجلّة التّواصل، العدد 2، المجلّد 9، عنّابة 2003.

26) بوتمر فتيحة، سهام سعداوي، التّداخل المصطلحيّ في تحديد مفهوم المحادثة، مجلّة مقامات للدّراسات الأدبيّة والنّقديّة، المجلّد 5، العدد2، الجزائر 2021.

27) بول ريكور، عن التّرجمة، ترجمة: حسين خمري، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر 2008.

28) بول غرايس، المنطق والمحادثة، ترجمة: محمّد الشّيبانيّ، سيف الدّين دغفوس، ضمن كتاب إطلالات على النّظريّات اللّسانيّة والدّلاليّة في النّصف الثّانيّ من القرن العشرين، الجزء2، ط2، المجمع التّونسيّ للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس2012.

29) بيار بونت وميال ايزار وآخرون، معجم الاثنولوجيا والأنتروبولوجيا، ترجمة وإشراف: مصباح الصّمد، ط2، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع" مجد"، بيروت2011.

30) تمام حسّان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ط1، دار الثّقافة، المغرب1994.

31) تون أ فان دايك، علم النّصّ مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق، سعيد حسن بحيري، ط1، دار القاهرة للكتاب، القاهرة 2001.

31) جاك موشلار، آن روبول، القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عزالدّين المجدوب، دط، دار سيناترا، تونس2010.

32) جان سيرفوني، الملفوظيّة، ترجمة: قاسم المقداد، دط، اتّحاد كتّاب العرب، دمشق1998.

33) جلال الدّين القزوينيّ، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تحقيق: عبد المنعم خفّاجي ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت2002.

34) جمال الدّين أبو الفضل بن منظور، لسان العرب، مادّة(حور)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت2003م.

35) جن دى، التّرجمة الأدبيّة رحلة البحث عن الاتّساق الفنّيّ، ترجمة: محمّد فتحي كلفت، ط1، المركز القوميّ للتّرجمة، القاهرة 2009.

36)جواد ختام، التّداولية أصولها واتّجاهاتها، ط1، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، عمان2016.

37) جورج طرابيشي، الأعمال النّقديّة الكاملة، الرّجولة وإيديولوجيا الرّجولة، أنثى ضدّ الأنوثة، الرّوائيّ وبطله، ج3، ط1، دار مدارك للنّشر، دبي2013.

38) جورج يول، التّداوليّة، ترجمة، قصي العتّابيّ، ط1، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، دار الأمان، الرّباط 2010.

39) جون أوستن، القول من حيث هو فعل(نظريّة أفعال الكلام)، ترجمة: محمّد يحياتن، ط2، عالم الكتب للنّشر والتّوزيع، الجزائر2010.

40) جون أوستين، نظريّة أفعال الكلام العامّة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قنيني، دط، أفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء 1991.

41) جون سيرل، العقل واللّغة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، ط1، المركز الثّقافيّ العربيّ، المغرب2006.

42) الجيلالي دلّاش، مدخل إلى اللّسانيّات التّداوليّة (لطلبة معاهد اللّغة العربيّة وآدابها) ترجمة: محمّد يحياتن، دط، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر1992.

43) جيوفري ليتش، مبادئ التّداوليّة، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشّرق، المغرب 2013.

44) حامد عبد الهوال، السّخريّة في أدب المازني، دط، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر1982.

45) حسام الدّين مصطفى، أسس وقواعد صنعة التّرجمة، دط، دب 2011.

46) حسن صعب، علم السّياسة، ط8، دار العلم للملايين، بيروت1985.

47) حسن عطية طمان، المرجم مؤهّلاته وإعداده، مجلّة الفيصل، العدد239، السّعوديّة 1996.

48) الحسين سليم محسن، مقدّمة في التّرجمة، ترجمة: مجدي عبد الله الشّلفوح، مجلّة كليّة الآداب، العدد6.

49) حميد لحميداني، أسلوبيّة الرّواية، مدخل نظريّ، ط1، منشورات دراسات سيميائيّة أدبيّة لسانيّة، الدّار البيضاء1989.

50) دومينيك مانقونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمّد يحياتن، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر2008.

51) ذهبية حمّو الحاج، لسانيات التّلفّظ وتداوليّة الخطاب، ط2، دار الأمل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، تيزي وزو2012.

52) رومان جاكبسون، قضايا الشّعريّة، ترجمة: محمّد الوليّ ومبارك حنون، ط1، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، المغرب 1988.

53) سعاد بسناسي، السّمعيّات العربيّة في الأصوات االلّغويّة، طبعة خاصّة، دار أمّ الكتاب للنّشر والتّوزيع، الجزائر 2012.

54) سعاد عبد الكريم الوائلي، طرائق تدريس الأدب والبلاغة والتعبير بين التنظير والتطبيق، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن2004.

55)سعد البازعي وميجان الرّويلي، دليل النّاقد الأدبيّ، ط3، المركز الثّقافيّ العربيّ، المغرب2002.

56) سعود بن غازي أبو تاكي، صور الأمر في العربيّة بين التّنظير والاستعمال، ط1، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة 2005.

57) سيزا قاسم، بناء الرّواية، دراسة مقارنة في "ثلاثيّة" نجيب محفوظ، دط، مهرجان القراءة للجميع، القاهرة 2004.

58) صالح علماني، التّرجمة الأدبيّة مهمّة شاقّة لكنّها ممتعة، مؤتمر التّرجمة وإشكالات المثاقفة، ط1، الدّوحة2014.

59) طالب سيّد هاشم الطّبطبائيّ، نظريّة الأفعال الكلاميّة بين فلاسفة اللّغة المعاصرين والبلاغيّين العرب، دط، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت1994.

60) طه عبد الرّحمن، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقليّ، ط1، المركز الثّقافيّ العربيّ، المغرب1998.

61) طه عبد الرّحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثّقافيّ العربيّ، المغرب2000.

62) طه وادي، الرّواية السّياسيّة، دط، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر، لونجمان، القاهرة 2003.

63) عادل فاخوري، الاقتضاء في التّداول اللّسانيّ، مجلّة عالم الفكر، العدد3، المجلّد20، الكويت1989.

64) عبد الحليم عيسى، تداوليّة مبدأ التّأدّب في إنجازيّة الفعل الكلاميّ، المجلّة الجزائريّة للدّراسات الإنسانيّة، المجلّد 1، العدد 1، الجزائر2019.

65) عبد الرّحمن مُنيف، رحلة ضوء، ط3، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، دار الّتنوير للطّباعة والنّشر، الأردن 2012.

66) عبد السّلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، مقاربة تداوليّة معرفيّة للآليات التّواصل والحجاج، دط، أفريقيا الشّرق، المغرب2006.

67) عبد القادر عواد، آليات التّداوليّة في الخطاب، الخطاب الأدبيّ أنموذجا، مجلّة علامات، ج74، مج19، 2011.

68) عبد الملك مرتاض، في نظريّة الرّواية، بحث في تقنيّات السّرد، دط، عالم المعرفة، الكويت 1998.

69) عبد النّبيّ ذاكر، ترجمة الآلة ومراجعة الإنسان، مجلّة علامات، العدد22، المغرب 2004.

70) عبد الهادي بن ظافر الشّهريّ، استراتيجيّات الخطاب(مقاربة لغويّة تداوليّة)، ط1، دار الكتب الجديدة المتّحدة، دب. دت.

71) عبده الرّاجحيّ، التّطبيق النّحويّ، ط2، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة 1997.

72) علي محمود حجّي الصرّاف، في البراجماتيّة، الأفعال الإنجازيّة في العربيّة المعاصرة، دراسة دلاليّة في معجم سياقيّ، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة 2010.

73) علي يحي السّرحانيّ، التّرجمة الآليّة، النّدوة الدّوليّة(اللّغة العربيّة وآدابها: نظرة عامّة)، قسم اللّغة العربيّة جامعة كيرالا، الهند 2015.

74) عمر بلخير، الخطاب وبعض مناهج تحليله، مجلّة CAMPUS، العدد1، جامعة مولود معمريّ، تيزي وزّو، الجزائر2006.

75) عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحيّ في ضوء النّظريّة التّداوليّة، ط2، دار الأمل، تيزي وزّو2013.

76) عمر بلخير، نظريّة الأفعال الكلاميّة وإعادة قراءة التّراث العربيّ، مجلّة الأثر، عدد خاصّ: أشغال الملتقى الدّوليّ الثّالث في تحليل الخطاب.

77) عمر بلخير، نوارة بوعياد، تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصّحافيّ الجزائريّ المكتوب باللّغة العربيّة، مجلّة الأثر، العدد13، 2012.

78) عمرو محمّد فرج مذكور، التّرجمة الآليّة مفهومها، مناهجها، نماذج تطبيقيّة في اللّغة العربيّة، مجلّة كليّة دار العلوم، العدد 26، 2011.
79) العيّاشي أدراوي، الاستلزام الحواريّ في التّداول اللّسانيّ، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر 2011.

80) غادة السّمّان، ليلة المليار (رواية)، منشورات غادة السّمّان، دب، دت.
81) فاتح عبد السّلام، الحوار القصصيّ، تقنيّاته وعلاقاته السّرديّة، ط1، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت1999.
82) فان دايك، النّصّ والسّياق، استقصاء البحث في الخطاب الدّلاليّ والتّداوليّ، ترجمة: عبد القادر قنيني، دط، دار أفريقيا الشّرق، المغرب2000.

83) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التّداوليّة، ترجمة: سعيد علواش، دط، مركز الإنماء القوميّ، الرّباط1986.
84) فرناند هالين، التّداوليّة، ترجمة: زياد عز الدّين العوف، مجلّة الآداب العالميّة، العدد125، 2006.
85) فيليب بلانشيه، التّداوليّة من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، ط1، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، اللّاذقية، سوريا2007.

86) كاترين كربرات أوركيوني، فعل القول من الذّاتيّة في اللّغة، ترجمة: محمّد نظيف، أفريقيا الشّرق، دط، المغرب 2007.

87) كاترين كيربرات أوركيوني، المضمر، ترجمة: ريتا خاطر، مراجعة جوزيف شريم، ط1، المنظّمة العربيّة للتّرجمة، ديسمبر 2008.
88) الماشطة وأمجد الرّكابيّ، مسرد التّداوليّة، ط1، دار الرّضوان للنّشر والتّوزيع، عمّان2018.

89) محمّد أبو زهرة، تاريخ الجدل، ط1، دار الفكر العربيّ، مصر 1934.
90) محمّد أحمد منصور، التّرجمة بين النّظريّة والتّطبيق، مبادئ ونصوص وقاموس للمصطلحات الإسلاميّة، ط2، دار الكمال للطّباعة والنّشر، القاهرة 2006.

91) محمّد السّيديّ، إشكال المعنى من الإستعارة إلى الاستلزام الحواريّ، مجلّة فكر ونقد، العدد25، 2000.

92) محمّد العبد، النّصّ والخطاب والاتّصال، دط، الأكاديميّة الحديثة للكتاب الجامعيّ، القاهرة 2014.

93) محمّد العبد، تعديل القوّة الإنجازيّة دراسة في التّحليل التّداوليّ للخطاب، مجلّة فصول(مجلّة النّقد الأدبيّ)، ملفّ العدد النّظرية الأدبيّة الآن، مجلّة تصدر عن الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، العدد 65، خريف 2004، شتاء 2005.

94) محمّد القاضي وآخرون، معجم السّرديّات، ط1 دار محمّد عليّ للنّشر، تونس 2010.

95) محمّد بن عبد الله المشهوري، الحوار في شعر محمّد حسن فقّي، دراسة تداوليّة، دط، سلسلة الدّراسات الجامعيّة، جامعة الملك سعود، الرّياض2012.

96) محمّد بن يزيد المبرّد، المقتضب، ج2، تحقيق: محمّد عبد الخالق عضيمة، دط، مطابع الأهرام التّجاريّة، القاهرة 1415هـ- 1994م.

97) محمّد حسن يوسف، كيف تترجم؟!، ط1، شركة معاهد التّدريب والتّعليم الأهليّ، الكويت 1997.

98) محمّد ديب، الدّار الكبيرة، الحريق، النّول ترجمة: سامي الدّروبي، دط، دار الوحدة، بيروت1985.

99) محمّد ديب، الدّار لكبيرة، الحريق، المنسج، دط، مطبعة الفنون الجميلة، الجزائر 2011.

100) محمّد عبد الّله المشهوريّ، الحوار في شعر محمّد حسن فقّي، دراسة تداوليّة، دط، فهرسة مكتبة الملك فهد أثناء النّشر الرّياض 2013.

101) محمّد عناني، فنّ التّرجمة، ط5، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر- لونجمان، القاهرة 2000.

102) محمّد عناني، التّرجمة الأدبيّة بين النّظريّة والتّطبيق، ط2، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر، لونجمان، مصر 2003.

103) محمّد عناني، نظريّة التّرجمة الحديثة، مدخل إلى مبحث دراسات التّرجمة، ط1، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر، لونجمان، دار نوبان للطّباعة، القاهرة 2003.

104) محمّد قويدر رحماني، فاطمة وكّال، الاستلزام الحواريّ من لغة المنطق إلى المنطق اللّغويّ، مجلّة المدوّنة، العدد 3 سبتمبر 2021.

105) محمّد لطفي الزّليطني، نحو منهج تداوليّ في تحليل الخطاب الأدبيّ، دط، دب دس.

106) محمّد نظيف، الحوار وخصائص التّفاعل التّواصليّ، دراسة تطبيقيّة في اللّسانيّات التّداوليّة، دط، أفريقيا الشّرق، المغرب 2010.

107) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغويّ المعاصر، دط، دار المعرفة الجامعيّة، مصر2002.

108) محمود إسماعيل صيني، التّرجمة الآليّة، مجلّة الفيصل، العدد239، السعودية 1996.

109) محمود طلحة، تداوليّة الخطاب السّرديّ دراسة تحليليّة في وحي القلم للرّافعيّ، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن2012.

110) محمود عبد الغنيّ، معجم المصطلحات الأساسيّة في التّرجمة الأدبيّة، إنكليزيّ، فرنسيّ، عربيّ، ط1، منشورات المتوسّط، بغداد2017.

111) محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللّغة، دط، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان1985.

112) مختار زواوي، فصول في تداوليّات ترجمة النّصّ القرآنيّ، ط1، ابن النّديم للنّشر والتّوزيع، دار الرّوافد الثّقافيّة ناشرون، بيروت، لبنان2017.

113) مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللّسانيّ العربيّ، ط1، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت 2005.

114) مصطفى ولد يوسف، رواية ضباب آخر النّهار، دار الأمل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، تيزي وزّو، الجزائر 2018.

115)ميخائيل باختين، الخطاب الرّوائيّ، ترجمة: محمّد برادة، ط1، دار الفكر للدّراسات والنّشر والتّوزيع، القاهرة1987.

116) ميرود سعاد، الاستلزام الحواريّ في سورة "طه" تحليل تداوليّ وفق نظريّة غرايس، مجلّة المدوّنة، المجلّد الخامس، العدد الأوّل،الجزائر 2018.

117) نجم عبد اللّه كاظم، مشكلة الحوار في الرّواية العربيّة، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن2008.

118) نعمان بوقرّة، المدارس اللّسانيّة المعاصرة، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر2004.

119) نعمان بوقرّة، المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النّصّ وتحليل الخطاب، دراسة معجميّة ، ط1، جدارا للكتاب العالميّ، عمّان، الأردن2009.

120) هاتف بريهي شياع، أدب التّخاطب مبادؤه وقواعده واستراتيجيّاته، مجلّة العلوم الإنسانيّة، كليّة التّربية للعلوم الإنسانيّة، المجلّد 23، العدد 3، العراق 2016.

121) هشام عبد الله الخليفة، نظريّة التّلويح الحواريّ، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت 2013.

122) يان هوانغ، معجم أوكسفورد للتّداوليّة، ترجمة وتقديم: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتب الجديدة المتّحدة، بيروت جوان 2020.

123) يوئيل يوسف عزيز، حسن عبد المقصود حسن وآخرون، التّرجمة العلميّة والتّقنيّة والصّحفيّة والأدبيّة، ج2، دط، الجمهوريّة العراقيّة، وزارة التّعليم العاليّ والبحث العلميّ، دب، دت.

1) Dominique Maingueneau, pragmatique pour le discours littéraire, Bordas, Paris1990.

2) Emile Benveniste, problèmes de linguistique générale, Gallimard, 1966.

3) Geoffrey Neil, Leech, principles of pragmatics, Longman, 1983.

4) John AUSTIN, how to do things with words, oxford at the clarendon press1962.

5) John Austin, quand dire c'est faire, édition du seuil, France1970.

6) John Searle, sens et expression (étude des actes de langage) édition Minuit, Paris.

7) Katherine Kerbrat-Orecchioni, l'implicite, Armand Colin, 2ème tirage, éditeur, Paris 1986.

8) Katherine Kerbrat-Orecchioni, la conversation, édition du Seuil, Juin1996.

9) Katherine Kerbrat-Orecchioni, Les interactions verbales, Approche interactionnelles et structure des conversations, Tome1, 3ème édition, ARMAND COLIN, Masson, Paris1990 ,1998.

10) Mohamed Dib, l'incendie, éditions du Seuil, 1954.

11) Mohamed Dib, la grande maison, éditions du seuil, 1952 et1996.

12) Mohamed Dib, la trilogie, édition du Seuil,1952 et 1996.

13) Mohamed Dib, le métier à tisser, éditions du seuil, 1957 et 1974 .

14) Ozwald Ducrot, dire et ne pas dire, principe sémantique linguistique, collection savoir Herman, éditeur de sciences des arts, 3ème édition, Paris1991.

15) Paul, GRICE, logic and conversation, in cole and moyan (eds) syntaxe and semantics3, speech acts, academic press.

16) Penelope Brown and Stephen C. Levinson, politeness: Some universals in language usage, Cambridge: Cambridge University Press, 1987.

17) Robin Lakoff, the logic of politeness or minding your p's and q's, in papers from the minths regional, meeting Chicago linguistic society, 1973.

فهرست الموضوعات

إهداء

مقدّمة 5

مدخل: استقراء المصطلحات وضبط المفاهيم.....12-43

1- مصطلح التّداوليّة (la pragmatique).....12

2- مصطلح القصديّة (l'intentionnalité).....14

3- مصطلح الحوار (le dialogue).....16

4- أنواع الحوار.....26

5- الحوار وعلاقته بمصطلحات أخرى.....32

6- الحوار الرّوائيّ وخصائصه.....40

الفصل الأوّل: الخصائص التّداوليّة لحوارات الثّلاثيّة.....45-130

1- تقديم المدوّنة:.....45

2- تحليل حوارات الدّار الكبيرة.....47

2-1-حوارات عمر.....48

2-2- حوارات عيني.....55

2-3- حوارات نساء الدّار الكبيرة.....72

2-4- حوارات سي صلاح.....74

2-5-حوار لالا زهرة مع ابنتها منون.....75

2-6- حوار الرّجال في الشّارع.....76

2-7- حوار التّلميذ إدريس مع بقيّة التّلاميذ.....77

2-8- حوار الأستاذ حسن مع التّلاميذ.....78

2-9- حوار سكّان الدّار الكبيرة.....78

3- تحليل حوارات الحريق.....79

3-1- حوارات عمر.....79

3-2- حوارات عيني.....84

3-3- حوارات قره علي.....87

3-4- حوارات بادعدوش.....93

3-5- حوارات حميد سراج.....97

3-6- حوارات ماما.....102

3-7- حوارات رجال القرية.....103

3-8- حوار رجل مع قدّور.....106

3-9- حوار معمّر الهادي مع الرّجال.....106

3-10- حوار الرّجال مع زهرة.....107

3-11- حوار عيسى وبوشناق ومحمّد النّجّار مع بن أيّوب.....108

3-12- حوار علي بن رباح مع سليمان.....109

3-13- حوار زوجة بن أيّوب مع امرأة عجوز.....110

3-14- حوار المضربين مع بعضهم.....111

3-15- حوار عزّوز مع الرّجال.....112

3-16- حوار فاطمة مع الجارات.....113

حوار السّلطات مع الفلّاحين.....114

4- تحليل حوارات النّول.....113

4-1- حوارات عمر.....115

4-2- حوار باصقالي مع عامل المصنع.....123

4-3- حوار الشّاب الأحمر مع شول.....123

4-4-حوار الرّجال في المصنع.....125

4-5- حوار عكاشة مع حمدوش.....126

4-6- حوار حمزة مع عكاشة.....126

4-7- حوار صاحب المطعم مع جمال طراز.....127

4-8- حوار أحد زبائن المطعم مع متسوّل.....127

الفصل الثّانيّ: تداوليّة أساليب الحوار في الثّلاثيّة.....131-202

أولا: الأفعال الكلاميّة غير المباشرة والاستلزام الحواريّ.....132

1- مفهوم القوّة، القيمة، الغرض.....132

2- مفهوم الجملة الإنشائيّة، الفعل الكلاميّ والفعل الإنجازيّ.....134

3- مفهوم الاستلزام الحواريّ.....138

ثانيا: ترجيح مقاصد الأفعال غير المباشرة في أساليب الثّلاثيّة.....143

1- تداوليّة الاستفهام.....144

2- تداوليّة الأمر.....159

3- تداوليّة النّهي 171

4- تداوليّة النّداء 178

ثالثا: التّفاعل الكلاميّ في حوارات الثّلاثيّة.....186

1- المشاركون.....188

2- الإطار الزّمانيّ والمكانيّ.....188

3- الهدف.....189

الدّور.....189

الفصل الثّالث: تداوليّة حوارات الثّلاثيّة بين الأصل و التّرجمة.....205-256

1- تداوليّة الخطاب الأدبيّ.....205

2- تداوليّة الخطاب الأدبيّ المترجم.....210

3- ترجمة الحوار الرّوائيّ.....216

3-1- تقنيات التّرجمة.....217

3-2- التّرجمة الأدبيّة.....219

3-3-التّداوليّة وفعل التّرجمة.....221

4- التّكافؤات التّداوليّة والخصوصيّة الثّقافيّة في حوارات الثّلاثيّة بين الأصل والتّرجمة.....223

خاتمة.....257

قائمة المصادر والمراجع.....262

فهرست الموضوعات.....274

الملخّص باللّغة العربيّة.

الملخّص باللّغة الفرنسيّة.